



مجموعة
رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة
رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

مجموعة
رسائل الإمام الشهيد
حسن البنا

دار الشهاب



شكر وتقدير

هذا الكتاب

ظهرت الطبعة الأولى منه فى بيروت عن المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ، وبذل القائمون عليها فى سبيل ذلك جهداً وافراً وسعياً مشكوراً .

وإذا كانت دار الشهاب تعيد اليوم طبعة فى القاهرة – بناء على إلحاح الكثيرين – فإنها تتقدم بوافر الشكر وصادق التقدير للمؤسسة الإسلامية والقائمين عليها ... جزاهم الله عنا خير الجزاء ونفع بهم وبجهودهم ونصرهم نصراً عزيزاً مؤزراً .

دار الشهاب

دعوتنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مصارحة

نحب أن نصارح الناس بغايتنا . وأن نجلي أمامهم منهاجنا ، وأن نوجه إليهم دعوتنا ، في غير لبس ولا غموض ، أضوأ من الشمس ، وأوضح من فلق الصبح ، وأبين من غرة النهار .

بــراءة

ونحب مع هذا أن يعلم قومنا ـ وكل المسلمين قومنا ـ أن دعوة الأخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة ، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية ، واحتقرت المنافع المادية ، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض ، ومضت قدماً في الطريق التي رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين اليه : ﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعُو إلى الله على بَصيرةٍ أنا ومن اتَّبعني وسبحانَ الله وما أنا من المشركين ﴾ يوسف.فلسنا نسأل الناس شيئاً ، ولا نقتضيهم مالاً ولا نطالبهم بأجر ، ولا نتزيد بهم وجاهة ، ولا نريد منهم جزاء ولا شكوراً ، إن أجرنا في ذلك إلا على الذي فطرنا .

عاطفة

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا ، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء ، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء . وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنا ، وملكت علينا مشاعرنا ، فأقضت مضاجعنا ، وأسالت مدامعنا . وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس ، فنحن نعمل للناس في سبيل الله اكثر مما نعمل لأنفسنا ، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب ، ولن نكون عليكم يوماً من الأيام .

لله الفضل والمنة

ولسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً ، وإنما نعتقد قول الله تبارك وتعالى : ﴿ بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ الحجرات . ولكم نتمنى - لو تنفع المنى - أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا ، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم والإشفاق عليهم والتفاني في صالحهم ؟ .

وهل يجدون إلا ألماً مضنياً من هذه الحال التي وصلنا اليها ؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله ، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد ؛ بيده أزمَّة القلوب ومفاتيحها . من يهدِ الله فلا مضلَّ له ومن يضلل الله فلا هادي له ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . إليس الله بكافٍ عبده ؟ .

أصناف أربعة

وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة :

مؤمن

إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا ، ورأى فيها خيراً اطمأنت اليه نفسه وسكن له فؤاده ، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام الينا والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين ، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل ، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها الى تحقيقها والتضحية في سبيلها ،وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيه حق جهاده ، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر ، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .

متردد

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق ، ولم يتعرف في قولنا معنى الاخلاص والفائدة ، فهو متوقف متردد ، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى اخواننا ، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله ، وكذلك كان شأن المترددين من اتباع الرسل من قبل .

نفعـــي

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا اذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البـذل له من مغنــم فنقــول له : حنانيك ليس عندنــا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت ، والجنة إن علم فيك خيراً ، أما نحن فمغمورون جاهاً فقراء مالاً ، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا ، ورجاؤ نا رضوان الله وهو نعم المولى ونعم النصير ، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤ اده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم الى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله في العقبى وما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وإن كانت الأخرى فالله غني عمن لا يرى لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته ، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده ، فما كان جوابه صلى الله عليه وسلم إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

متحامـل

وإما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه ، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم ، ولا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك ، ويأبى إلا أن يلج في غروره ويسدر في شكوكه ويظل مع أوهامه ، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يلهمنا وإياه الرشد . ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانه أهل الرجاء ، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم في صنف من الناس ﴿إنك لا تهدي من أَحببتَ ولكنَّ الله يهدي من يشاء ﴾ القصص . وهذا سنظل نحبه ونرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا ، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا اليه المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

نحب أن يكون الناس معنا واحداً من هؤ لاء ، وقد حان الوقت الذي يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته ، ويعمل الى هذه الوجهة حتى يصل الى الغاية ، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية والقلوب الساهية والانصياع الأعمى واتباع كل ناعق فما هو من سبيل المؤ منين في شيء .

فناء

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ التوبة .

فهي دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به ، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين ويكون مع المخلفين ويقعد مع القاعدين ، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين ﴿ أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ المائدة .

وضوح

نحن ندعو الناس إلى « مبدأ » . . مبدأ واضح محدود مسلم به منهم جميعاً ، هم جميعاً يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم . . . مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ صلاحيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود .

إيمانان

والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه ، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين . ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا في نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانا يخيَّل للناس حين نتحدث إليهم عنها أننا ستحملنا على نسف الجبال وبذل النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا ، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسي كل إيمانه وغفل عن فكرته ، فهو لا يفكر في العمل لها ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد في سبيلها ، بل إنه قد يبالغ في هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر ؟ أولست تضحك عجباً حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة

في ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحداً مع الملحدين وعابداً مع العابدين !

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل فيه ما شئت هو الذي جعلنا نحاول أن نوقظ « مبدأنا » وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا في نفوس هؤلاء القوم المحبوبين .

دعوات

وإذن سأعود إلى أول كلمتي فأقول إن دعوة الاخوان المسلمين دعوة مبدأ ، وفي الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادىء وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم ، وكل منها يزينه أهله ويقوم بالدعاية له أبناؤه وأتباعه وعشاقه ومريدوه ، ويدّعون له المزايا والمحاسن ويبالغون في هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلاً خلاباً رائعاً .

دعاة

والدعاة اليوم غيرهم بالأمس فهم مثقفون مجهزون مدربون اخصائيون ـ ولا سيما في البلاد الغربية ـ حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربة توضح غامضها وتكشف عن محاسنها وتبتكر لها وسائل النشر وطرائق الدعاية ، وتتلمس لها في نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع .

وسائل

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلك ، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى في خطبة أو اجتماع أو كلمة تكتب في رسالة أو خطاب ، أما الآن فنشرات ومجلات وجرائد ورسالات ومسارح (وخيالات) وحاك ومذياع ، وقد ذلل ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعهم ، نساء ورجالاً في بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسائل جميعاً حتى يأتي عملهم ثمرته المطلوبة .

وما لي ولهذا الاستطراد ؟ سأعود مرة ثانية فأقول إن العالم الآن في حال تخمة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية ، فأين دعوة

الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله ؟ .

سيدعوني ذلك إلى أن أتكلم لك في أمرين : أولهما هيكل دعوتنا الإيجابي المجرد ، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات .

ولا تؤاخذني بهذا الإستطراد في القول فقد أخذت على نفسي أن أكتب كما أتحدث ، وأن أتناول موضوعي بهذا اللون من ألوان الكتابة في غير تكلف ولا عناء ، وإنما أريد أن يفهمني الناس كما أنا ويصل كلامي إلى نفوسهم خالياً من التزويق والتقسيم .

إسلامنا

اسمع يا أخي : دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها ﴿ إسلامية ﴾ ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس . فإنا نعتقد أن الاسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة جميعاً ، ويفتي في كل شأن منها ويضع له نظاما محكماً دقيقاً ، ولا يقف مكتوفاً أمام المشكلات الحيوية والنظم التي لا بد منها لاصلاح الناس . فهم بعض الناس خطأ أن الاسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية ، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور .

ولكنا نفهم الاسلام على غير هذا الوجه فهما فسيحا واسعاً ينتظم شؤون الدنيا والأخرة ، ولسنا ندعي هذا ادعاء أو نتوسع فيه من أنفسنا ، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله وسيرة المسلمين الأولين ، فإن شاء القارىء أن يفهم دعوة الاخوان بشيء أوسع من كلمة ﴿ الاسلامية ﴾ فليمسك بمصحفه وليجرد نفسه من الهوى والغاية ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الأخوان .

أجل : دعوتنا ﴿ إسلامية ﴾ ، بكل ما تحتمل الكلمة من معان ، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك وأنت في فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين . فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته ،وأما سنة رسوله فهي مبينة الكتاب وشارحته ، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه وهم المثل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم .

موقفنا من الدعوات

وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الافكار أن نزنها بميزان دعوتنا ، فما وافقها فمرحباً به وما خالفها فنحن براء منه ، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه .

الوطنية

افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة والقومية تارة أخرى وبخاصة في الشرق حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها وأخذت من مالها ومن دمها ، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربي الذي فرض عليها فرضاً ، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد ، فانطلقت ألسن الزعماء وسالت أنهار الصحف ، وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية .

حسن ذلك وجميل ، ولكن غير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشعوب الشرقية وهي مسلمة أن ذلك في الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا في تقليدهم يعمهون ، وزعموا لك أن الاسلام في ناحية وهذه الفكرة في ناحية أخرى ، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة ويضعف رابطة الشباب .

هذا الوهم الخاطىء كان خطراً على الشعوب الشرقية من كل الوجهات ، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الاخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية ، ذلك الموقف الذي ارتضوه لأنفسهم والذي يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم .

وطنيـة الحنيـن

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين اليها والانعطاف نحوها فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة ، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى ، وإن بلالا الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بواد وحولي إذْ خر وجليلُ
وهل أردَن يوماً مياه مجنةٍ وهل يبدُوَنْ لي شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف مكة من « أصيل » فجرى دمعه حنيناً إليها وقال : يا أصيل دع القلوب تقر .

وطنيـة الحريـة والعـزة

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادىء العزة والحرية في نفوس أبنائه ، فنحن معهم في ذلك أيضاً ، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى : ﴿ ولله العزةُ ولرسوله وللمؤ منين ولكنَّ المنافقين لا يَعلمون ﴾ المنافقون . ويقول : ﴿ ولن يجعلَ الله للكافرين على المؤ منين سبيلا ﴾ النساء

وطنية المجتمع

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهـم الى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فذلك نوافقهـم فيه أيضـاً ، ويراه الاسـلام فريضة لازمة فيقول نبيه صلى الله عليه وسلم « وكونوا عباد الله إخوانا » ويقول القرآن الكريم ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتَّخذوا بطانة من دونِكم لا يألونكم خبَالا ودّوا ما عنِتُّم قد بَدَت البغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفي صدورُهم اكبرُ قد بيَّنا لكم الأياتِ إن كنتم تعقلون ﴾ آل عمران

وطنيـة الفتـح

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقـد فرض ذلك الإسـلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وقاتِلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ لله ﴾ الانفال

وطنيـة الحزبيـة

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحـر وتتضاغـن وتتراشـق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض ، وتتشيع لمناهج وضعية أملتهـا الأهـواء وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية ، والعدو يستغـل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل ،

ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره ، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس . فها أنت ذا قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية ، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على البلاد والعباد ، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام .

حـدود وطنيتنـــا

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية ، فكل بقعة فيها مسلم يقول ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره ، وكل المسلمين في هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس باحساسهم . ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك ، فلا يعنيهم الا امر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض ، ويظهر ذلك الفارق العملي فيما اذا أرادت أمة من الامم ان تقوي نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أي قطر اسلامي وإنما نطلب القوة لنا جميعاً ، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون في ذلك بأساً، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العدو بعضهم ببعض .

غايـة وطنيتنـــا

هذه هي واحدة . والثانية أن الوطنيين فقط ، جلّ ما يقصدون اليه ، تخليص بلادهم ، فاذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك ، اهتموا بالنواحي المادية كما تفعل أوربا الآن ، اما نحن فنعتقد أن المسلم في عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها تلك هي هداية البشر بنور الإسلام ، ورفع علمه خفاقاً على كل ربوع الأرض ، لا يبغي بذلك مالاً ولا جاهاً ولا سلطاناً على احد ولا استعباداً لشعب ، وإنما يبغي وجه الله وحده و أسعاد العالم بدينه وإعلاء كلمته ، وذلك ما حدا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم الى هذه الفتوح القدسية التي أدهشت الدنيا وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل .

وحـــدة

وأحب أن أنبهك الى سقوط ذلك الزعم القائل إن الجري عن هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة التي تتألف من عناصر دينية مختلفة ، فإن الاسلام وهو دين الوحدة والمساواة كفل هذه

الروابط بين الجميع ما داموا متعاونين على الخير : ﴿ لا ينهاكم الله على الذين لم يقاتِلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَروهم وتُقسِطوا اليهم إن الله يحب المقسِطين ﴾ الممتحنة . فمن أين يأتي التفريق إذن ؟ .

أفرأيت بعد هذا كيف أننا متفقون مع أشد الناس غلواً في الوطنيةفي حب الخير للبلاد والجهاد في سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها ، ونعمل ونؤ يد كل من يسعى في ذلك بإخلاص ، بل أحب ان تعلم ان مهمتهم ان كانت تنتهي بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة ، ويبقى بعد ذلك ان يعملوا لترفع راية الوطن الإسلامي على كل بقاع الأرض ، ويخفق لواء « المصحف » في كل مكان .

القومية

والآن سأتحدث اليك عن موقفنا من مبدأ القومية .

قومية المجد

ان كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب ان ينهجوا نهج الأسلاف في مراقي المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وان تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة ، وأن عظمة الأب مما يعتز به الإبن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة ، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به ، وهل عُدَّتنا في إيقاظ همة الحاضرين إلا ان نحدوهم بأمجاد الماضين ؟ ولعل الإشارة الى هذا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » فها أنت ذا ترى ان الاسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل .

قومية الامة

واذا قصد بالقومية ان عشيرة الرجل وأمته اولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك ومن ذا الذي لا يرى اولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم ؟

لعمري لرهط المرء خير بقية   عليه وإن عالوا به كل مركب

وإذا قصد بالقومية أننا جميعاً مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقي إن شاء الله في ساحة النصر فنعم التقسيم هذا ، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كل في ميدانها حتى نلتقي جميعاً في بحبوحة الحرية والخلاص ؟

كل هذا وأشباهه في معنى القومية جميل معجب لا يأباه الاسلام ، وهو مقياسنا ، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه .

قوميـــة الجاهليـــة

أما ان يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرت ، والتحلل من عقدة الاسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتـزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول في المغالاة بتحطيم مظاهر الاسـلام والعروبـة ، حتـى الاسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة ، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية ، فذلك في القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيء المغبة ، يؤدي بالشرق الى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله ، ولا يضر ذلك دين الله شيئاً : ﴿ وإن تَتَولَّوا يَستَبدِلْ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ محمد .

قوميـــة العدوان

وأما ان يراد بالقومية الاعتـزاز بالجنس الى درجـة تؤدي الى انتقـاص الأجنـاس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها في سبيل عزة أمة وبقائها ، كما تنادي بذلك ألمانيا وايطاليا مثلا ، بل كما تدعي كل أمة تنادي بأنها فوق الجميع فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الانسانية في شيء ، ومعناه ان يتناحر الجنس البشري في سبيل وهم من الاوهـام لا حقيقة له ولا خير فيه .

دعامتـــان

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ولا يقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ولا شيئاً من هذه الالقاب والاسماء التـي يتنابـز بهـا النـاس ، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل بل أكمل معلم علّم الانسان الخير : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » ما أروع هذا وأجمله وأعدله ، الناس لآدم فهم في ذلك أكفاء والناس يتفاضلون بالاعمال فواجبهم التنافس في الخير ؛

دعامتان قويمتان لو بنيت عليهما الانسانية لارتفعت بالبشر الى علياء السموات ؛ الناس لآدم فهم اخوان فعليهم ان يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضاً ويرحم بعضهم بعضاً ويدل بعضهم بعضاً على الخير ، والتفاضل بالاعمال . فعليهم ان يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الانسانية ، فهل رأيت سمواً بالانسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية ؟ .

خواص العـــروبـة

ولسنا مع هذا ننكر خواصَّ الامم ومميزاتها الخُلُقية ، فنحن نعلم ان لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق ، ونعلـم أن الشعـوب في هذا تتفـاوت وتتفاضـل ، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الاوفى والاوفر ، ولكن ليس معنى هذا ان تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة الى العدوان ، بل عليها ان تتخذ ذلك وسيلة الى تحقيق المهمة السابقة التي كلفها كل شعب ، تلك هي النهوض بالانسانية ، ولعلك لست واجداً في التاريخ من أدرك هذا المعنى من شعوب الارض كما ادركتـه تلك الكتيبـة العـربية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا استطراد اقتضاه السير في البحث ، ولا أحب أن اتابعه حتى لا يشط بنا القول ولكن أعود بك الى ما نحن بسبيله .

ربـاط العقيــدة

أما إذ عرفت هذا فاعلم ـ أيدك الله ـ ان الاخوان المسلمين يرون الناس بالنسبـة اليهم قسمين : قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثة رسوله وما جاء به ، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط ، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطـة الـدم ورابطة الأرض ، فهؤلاء هم قومنا الاقربون الذين نحنُّ اليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال ، في اي ارض كانوا ومن أية سلالة انحدروا . وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط ، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا ، ونعتقد ان بيننا وبينهم رابطة هي رابطة الدعوة ، علينا ان ندعوهم الى ما نحن عليه لانه خير الانسانية كلها ، وأن نسلك الى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل ، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين . أما اذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع :

١ ـ ﴿ انما المؤمنون إخوةَ فأصلحوا بين أخَوَيْكم ﴾ الحجرات .

٢ ـ ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تَبَروهم وتُقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوْهم ﴾ الممتحنة .

ولعلي اكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها في نفسك ملتبسة أو غامضة ،لعلك بعد ذلك عرفت الى أي قبيل ينتسب الاخوان المسلمون .

أمام الخلافات الدينية

أتحدث اليك الآن عن دعوتنا أمام الخلافات الدينية والآراء المذهبية .

تجمـــع ولا تفـرق

فاعلم ـ فقهك الله ـ أولا أن دعوة الاخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب الى طائفة خاصة ، ولا تنحاز الى رأي عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة ، وهي تتوجه الى صميم الدين ولبه ، ونود ان تتوحد وجهة الانظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والانتاج أعظم واكبر . فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون ، وهي مع الحق أينما كان تحب الاجماع وتكره الشذوذ ؟ وأن اعظم ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة ، ولن يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها ؛ هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم ، وعقيدة راسخة في نفوسنا ، نصدر عنها وندعو اليها .

الخـلاف ضـروري

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه ضرورة ، ولا يمكن ان نتحد في هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة :

منها اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وادراك الدلائل والجهل بها والغوص على اعماق المعاني . وارتباط الحقائق بعضها ببعض ، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأي في حدود اللغة وقوانينها ، والناس في ذلك جد متفاوتين فلا بد من خلاف .

ومنها سعة العلم وضيقه . وان هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك . وقد قال مالك لأبي جعفر : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة .

ومنها اختلاف البيئات حتى ان التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة ، وإنك لترى الإمام الشافعي رضي الله عنه يفتي بالقديم في العراق ويفتي بالجديد في مصر ، وهو في كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق في كليهما .

ومنها اختلاف الاطمئنان القلبي إلى الرواية عند التلقين لها ، فبينا نجد هذا الرواي ثقة عند هذا الإمام تطمئن اليه نفسك وتطيب بالأخذ عنه ، تراه مجروحا عند غيره لما علم عن حاله .

ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدماً على خبر الآحاد مثلا وذاك لا يقول معه به وهكذا .

الاجماع على أمر فرعي متعذر

كل هذه اسباب جعلتنا نعتقد ان الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل ، بل هو يتناف مع طبيعة الدين ، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان ، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد .

نعتذر لمخالفينا

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبداً حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير ، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته ؛ ألسنا مسلمين وهم كذلك ؟ وألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك ؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا ؟ ففيم الخلاف إذن ؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرأيهم عندنا ؟ ولماذا لا نتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم ؟ .

هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخالف بعضهم بعضا في الافتاء ، فهل أوقع ذلك اختلافا بينهم في القلوب ؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم ؟ اللهم لا وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد .

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهداً بالنبوة واعرفهم بقرائن الاحكام ، فما بالنا نتناحر في خلافات تافهة لا خطر لها ؟ وإذا كان الأئمة وهم أعلم

الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضهم مع بعض وناظر بعضهم بعضا فلم لا يسعنا ما وسعهم ؟ وإذا كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط .

وثَمَّ أمر آخر جدير بالنظر ، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة فيقضي بينهم ويرفع حكمه الخلاف ، أما الآن فأين الخليفة ، وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضي ثم يعرضوا قضيتهم عليه ، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم الا الى خلاف آخر .

يعلم الاخوان المسلمون كل هذه الحيثيات ، فهم لهذا أوسع الناس صدرا مع مخالفيهم ، ويرون ان مع كل قوم علما ، وفي كل دعوة حقا وباطلا ، فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويحاولون في هوادة ورفق اقناع المخالفين بوجهة نظرهم ، فإن اقتنعوا فذاك ، وإن لم يقتنعوا فإخوان في الدين نسأل الله لنا ولهم الهداية .

ذلك منهاج الأخوان المسلمين أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله ، يمكن أن أجمله لك في أن الاخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي ، ويحاولون الوصول الى الحق ، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب .

إلى العلاج

يا أخي : إعلم وتعلَّم أن مَثَلَ الأمم في قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء ، فالفرد بينما تراه قوياً معافى صحيحاً سليما ، إذا بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام وهدَّت بنيته القوية الأمراض والآلام ، ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله تبارك وتعالى بطبيب ماهر ونطاسي بارع يعلم موطن العلة ويحسن تشخيصها ويتعرف موضع الداء ويخلص في علاجه ، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له صحته ، ربما كان بعد هذا العلاج خيراً منه قبله . قل مثل ذلك في الأمم تماماً ، تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها ويصدع بنيانها ويسري في مظاهر قوتها سريان الداء ، ولا يزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون وينال منها الغاصبون ، فلا تقوى على رد غاصب ولا تمنع من مطامع طامع ، وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة : معرفة موطن

الداء ، والصبر على آلام العلاج ، والنطاسي الذي يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه الغاية ويتمم الشفاء والظفر .

الأعــراض

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الامم الشرقية متشعب المناحي كثير الاعراض قد نال من كل مظاهر حياتها . فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب اعدائها ، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها ، وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الاجنبية على مواردها وخيراتها . وهي مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها ، وفي ناحيتها الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الانسانية التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها ، وبالتقليد الغربي يسري في مناحي حياتها سريان لعاب الأفاعي فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها ، وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرما ولا تؤدب معتديا ولا ترد ظالما ، ولا تغني يوما من الأيام غناء القوانين السماوية التي وضعها خالق الخلق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها ، وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها . وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وخمول مميت وجبن فاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل وتقف حجابا دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين الى اللاهين اللاعبين .

وماذا يرجى من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها وأشد اعراضها : الأستعمار والحزبية ، والربا والشركات الاجنبية ، والإلحاد والإباحية وفوضى التعليم والتشريع ، واليأس ، والشح ، والخنوثة والجبن ، والاعجاب بالخصم اعجاباً يدعو الى تقليده في كل ما صدر عنه وبخاصة في سيئات اعماله .

إن داء واحداً من هذه الأدواء يكفي لقتل امم متظاهرة ، فكيف وقد تفشت جميعاً في كل أمة على حدة ؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الامم الشرقية التي جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد ، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمناً طويلاً حتى باضت وأفرخت ، لولا ذلك لعفت آثارها ولبادت من الوجود . ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون .

يا أخي : هذا هو التشخيص الذي يلمسه الاخوان في أمراض هذه الأمة ، وهذا هو الذي يعملون في سبيل أن يبرئها منه ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشباب .

أمــل وشعــور

وأحب أن تعلم يا اخي قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا ، وأننا نأمل خيراً كثيراً ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس ، فإذا قوي الأمل في نفوسنا فسنصل الى خير كثير إن شاء الله ، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله .

وكل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين ، إنك اذا دخلت على مريض فوجدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه ، فإذا انعكس الأمر واخذ يتدرج من صمت الى كلام ومن همود الى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه في طريق الصحة والعافية . ولقد أتى على هذه الأمم الشرقية حين من الدهر جمدت فيه حتى ملها الجمود وسكنت حتى أعياها السكون ، ولكنها الآن تغلي غلياناً بيقظة شاملة في كل مناحي الحياة ، وتضطرم اضطراماً بالمشاعر الحية القوية والأحاسيس العنيفة . ولو لا ثقل القيود من جهة والفوضى في التوجيه من جهة أخرى لكان لهذه اليقظة اروع الآثار ، ولن تظل هذه القيود قيوداً أبد الدهر فإنما الدهر قُلّب ، وما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال ، ولن يظل الحائر حائراً ، فإنما بعد الحيرة هدى وبعد الفوضى استقرار ، ولله الأمر من قبل ومن بعد . لهذا لسنا يائسين أبداً ، وآيات الله تبارك وتعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته تعالى في تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء ، وما قصه علينا من ذلك في كتابه ، كل ذلك ينادينا بالأمل الواسع ، ويرشدنا الى طريق النهوض الصحيح ولقد علم المسلمون ـ لو يتعلمون ـ .

وإنك لتقرأ الآية الكريمة في أول سورة القصص : ﴿طسم . تلك آيات الكتابِ المبينِ . نتْلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل اهلها شيعا يستَضْعِفُ طائفة منهم يُذبح أبناءَهم ويَسْتَحيي نساءَهم إنـه كان من المفسدين . ونُريد أن نَمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهـم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكّنَ لهم في الأرض ونُريَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ تقرأ هذه الآية الكريمة فترى كيف يطغى الباطل في صولته ويعتز بقوته ، ويطمئن إلى

جبروته ويغفل عن عين الحق التي ترقبه ، حتى إذا فرح بما أوتي أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين فإذا الباطل منهار من أساسه ، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان وإذا أهله هم الغالبون . وليس بعد هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر في اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه ، فمتى يتفقه المسلمون في كتاب الله ؟

لمثل هذا يا أخي وهو كثير في دين الله لم ييأس الإخوان المسلمون من أن ينزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقبات ، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل المجد والله المستعان .

أما الوسيلة التي وعدتك الكلام عليها فهي أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان :

أولها ـ المنهاج الصحيح : وقد وجده الاخوان في كتاب الله وسنة رسوله وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات فعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة .

وثانيها ـ العاملون المؤمنون : ولهذا اخذ الاخوان انفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقا لا هوادة فيه ولا لين ، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم مطمئنون إلى غايتهم واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له يعملون وعلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرون .

وثالثها ـ القيادة الحازمة الموثوق بها : وقد وجدها الاخوان المسلمون كذلك ، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون .

ذلك يا أخي مجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا وهو تعبير له تعبير ، وأنت يوسف هذه الأحلام ، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سوياً في هذا السبيل ، والله ولي توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير .

والله أكبر ولله الحمد

إلى أي شيء ندعو الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قد تتحدث الى كثير من الناس في موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الايضاح وأبنت كل الابانة ، وانك لم تدع سبيلاً الى الكشف عما في نفسك إلا سلكتها ، حتى تركت من تحدثهم على المحجة البيضاء وجعلت لهم ما تريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح أو كالشمس في رابعة النهار كما يقولون . وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك ان القوم لم يفهموا عنك ولم يدركوا قولك .

رأيت ذلك مرات ولمسته في عدة مواقف . وأعتقد أن السر فيه لا يعدو أحد أمرين : إما ان الذي يقيس به كل منا ما يقول وما يسمع مختلف ، فيختلف تبعاً لذلك الفهم والإدراك ، وإما ان يكون القول في ذاته ملتبسا غامضا وإن اعتقد قائله أنه واضح مكشوف .

المقياس

وأنا اريد في هذه الكلمة ان اكشف للناس عن دعوة الإخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها في صراحة ووضوح وفي بيان وجلاء. وأحب أولاً أن أحدد المقياس الذي نقيس به هذا التوضيح ، وسأجتهد في ان يكون القول سهلاً ميسوراً ، لا يتعذر فهمه على قارىء يحب ان يستفيد ، وأظن ان احداً من الأمة الاسلامية جميعاً لا يخالفني في ان يكون هذا المقياس « كتاب الله » نستقي من فيضه ونستمد من بحره ونرجع إلى حكمه .

يا قومنا . .

إن القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية ، فيه أوامر وفيه نواه . فهل عمل المسلمون بما في القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات ، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات ؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية والحيوية على تصرفاتهم في شؤون حياتهم ؟ إن انتهينا من

بحثنا أنهم كذلك فقد وصلنا معاً الى الغاية ، وإن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره فاعلم ان مهمتنا ان نعود بأنفسنا وبمن تبعنا الى هذا السبيل .

غاية الحياة في القرآن

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها ، فبينَ أن قوماً همهم من الحياة الأكل والمتعة ، فقال تبارك وتعالى :

﴿والذين كفَروا يتَمتَّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مثوىً لهم﴾ محمد .

وبيَّن ان قوماً آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى :

﴿زُيِّن للناس حبُّ الشهواتِ من النساء والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضة والخيل المسوَّمةِ والأنعام والحرثِ ذلك متاعُ الحياة الدنيا واللهُ عندَهُ حُسْنُ المآب﴾ آل عمران .

وبينَّ ان قوماً آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم :

﴿ومن الناسِ مَنْ يُعجبُك قولُه في الحياة الدنيا ويُشهدُ اللهَ على ما في قلبه وهو الدُّ الخصام ، وإذا تولى سعى في الارض ليُفسد فيها ويُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحب الفساد﴾ البقرة .

تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى ، وألقى على عاتقهم واجباً اسمى ذلك الواجب هو : هداية البشر الى الحق ، وإرشاد الناس جميعاً الى الخير ، وإنارة العالم كله بشمس الاسلام ، فذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبُدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تُفلحون . وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جَعَلَ عليكم في الدين من حرج مِلة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعمَ المولى ونعم النصير﴾ الحج .

ومعنى هذا أنَّ القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الاسلام لا لمدنية المادة .

وصاية المسلم تضحية لا استفادة

ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن في سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شيء ، وإنما هي وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها الى قلوب الناس وذلك قوله تعالى :

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ .

ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفاً على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته .
ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذاً يتصف بكل ما يجب ان يتحلى به الاستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة ، وكان الفتح الاسلامي فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم ، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربي الآن ؟

أين المسلمون من هذه الغاية ؟

فبربك يا عزيزي هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم ، وتحرروا من رق المادة ،وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء ،وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد ، ووجهوا وجوههم لله الذي فطر السموات والارض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون في سبيله ، وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته ، أم هم هؤلاء اسرى الشهوات وعبيد الأهواء والمطامع ، كل همهم لقمة لينة ومركب فاره وحلة جميلة ، ونومة مريحة ، وامرأة وضيئة ، ومظهر كاذب ولقب أجوف ؟

رضُوا بالأماني ، وابتلوا بحظوظهم   وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

الغاية اصل والأعمال فروع لها

وبما أن الغاية هي التي تدفع الى الطريق ، ولما كانت الغاية في أمتنا غامضة مضطربة كان لا بد من ان نوضح ونحدد ، وأظننا وصلنا إلى كثير من التوضيح ، واتفقنا على ان

مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الانسانية كلها الى نظم الاسلام الصالحة وتعاليمه التي لا يمكن بغيرها ان يسعد الناس .

مصادر غايتنا

تلك هي الرسالة التي يريد الاخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة الاسلامية حق الفهم ، وتهب لانفاذها في عزم وفي مضاء . لم يبتدعها الاخوان المسلمون ابتداعاً ، ولم يختلقوها من أنفسهم ، وإنما هي الرسالة التي تتجلى في كل آية من آيات القرآن الكريم ، وتبدو في غاية الجلاء والوضوح في كل حديث من أحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وتظهر في كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الاسلام وإنفاذ تعاليم الاسلام . فإن شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذلك دليل الايمان والاسلام الصحيح ، وإن رأوا فيها حرجاً أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى ، حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا : ﴿ربَّنا افتَحْ بيننا وبين قومِنا بالحقِ وأنت خيرُ الفاتحين﴾ الأعراف .

استطـراد

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا ، ووقفنا لخيرهم والعمل لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا ، وفنينا في هذه الغاية ، غاية إسعاد أمتنا وإخواننا ، عن أموالنا وأنفسنا ، وذهلنا في سبيلهم عن أبنائنا والحلائل . وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الاخوان المتسائلون على شباب الاخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والناس نيام ، وشغلت نفوسهم والخليون هُجَّع ، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً ومفكراً مجداً ، ولا يزال كذلك طول شهره ، حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده مورداً لجماعته ، ونفقته نفقة لدعوته ، وماله خادماً لغايته ، ولسان حاله يقول لبني قومه الغافلين عن تضحيته : لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الله . ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ولها وإنما نتوسل إليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا وتستجيب لندائنا .

من اين المال ؟

يتساءل هؤلاء الاخوان المحبوبون الـذين يرمقـون الاخـوان المسلمـين على بعـد

ويرقبونهم عن كثب قائلين : من أين ينفقون ؟ وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة ؟

وإني أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال ، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة ، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعاً . وإن في مال الإخوان المسلمين القليل الذي يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم ، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم ، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعاف فينفقه في سبيل الله ؛ فإذا لم يجد بعضهم شيئاً تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون . في هذا المال القليل والإيمان الكبير ولله الحمد والعزة ، بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين ، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في القرش الواحد من قروش الإخوان و ﴿يمحَقُ اللهُ الربا ويُربي الصدقات﴾ البقرة .

﴿وما آتيتُم من زكاةٍ تُريدون وجْهَ الله فأولئك هم المضْعِفون﴾ الروم .

نحن والسياسة

ويقول قوم آخرون إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية ، ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى . ولا ندري إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب ، وتترك يقينا يؤيده الواقع في سبيل ظن توحيه الشكوك ؟

يا قومنا : إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا ، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا ، وندعوكم الى الاسلام وتعاليم الاسلام وأحكام الاسلام وهدى الاسلام ؛ فان كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا ، وإن كان من يدعوكم الى هذه المبادىء سياسياً فنحن أعرق الناس والحمد لله في السياسة ، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات .

يا قومنا : لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق ، ولا الأسماء عن الغايات ، ولا الأعراض عن الجواهر ، وإن للإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة ؛ وتلك هي سياستنا لا نبغي بها بديلا فسوسوا بها أنفسكم ، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

قوميتنا وعلى أي اساس ترتكز

أيها الأخ : تعال نصغ معاً إلى صوت العزة الإلهية يدوّي في أجواء الآفاق ، ويملأ الأرض والسبع الطباق ، ويوحي في نفس كل مؤمن أسمى معاني العزة والفخار ، حين يسمع هذا النداء الذي تستمع له السموات والأرض ومن فيهن منذ أن بلغه الأمين إلى هذا الوجود ، إلى حيث لا نهاية ، إذ كتب له الخلود :

﴿اللهُ وليُّ الذين آمنوا﴾ .

أجل أجل يا أخي : هذا نداء ربك اليك . فلبيك اللهم لبيك . وحمداً وشكراً لك لا نحصي ثناء عليك ، أنت أنت ولي المؤمنين ونصير العاملين والمدافع عن المظلومين الذين حوربوا في بيوتهم وأخرجوا من ديارهم ، عز من لجأ اليك وانتصر من احتمى بحماك .

﴿ولينصرَنَّ اللهُ من ينصرُه إن الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ الحج .

أجل أجل يا أخي : تعال نستمع معاً الى صوت القرآن الكريم ، ونطرب بتلاوة الآيات البينات ، ونسجل جمال هذه العزة في صحائف ذلكم الكتاب المطهر .

إليَّ إليَّ يا اخي واسمع قول الله تبارك وتعالى :

١ ـ ﴿الله وليُّ الذين آمنوا يخرجُهم من الظلماتِ الى النور﴾ البقرة .

٢ ـ ﴿بل الله مُولاكم وهو خيرُ الناصرين﴾ آل عمران .

٣ ـ ﴿إنما وليُّكم اللهُ ورسولُهُ والذين آمنوا الذين يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتون الزكاةَ وهم راكعون﴾ المائدة .

٤ ـ ﴿إن وليِّيَ اللهُ الذي نَزَّلَ الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ الاعراف .

٥ ـ ﴿قلْ لن يُصيبنا إلا ما كَتَبَ اللهُ لنا هو مولانا وعلى اللهِ فليتوكل المؤمنون﴾ التوبة .

٦ ـ ﴿ألا ان أولياءَ الله لا خَوْفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتَّقون﴾ يونس .

٧ ـ ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

ألست ترى في هذه الآيات البينات ان الله تبارك وتعالى ينسبك الى نفسه ويمنحك فضل ولايته ويفيض عليك من فيض عزته ؟

﴿ولله العزةُ ولرسولهِ والللمؤمنينَ ولكنَّ المنافقين لا يعلمون﴾ المنافقون .

وفي الحديث الشريف الذي يرويه المختار صلى الله عليه وسلم عن ربه ما معناه : « يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة : يا بني آدم جعلت نسبا وجعلتم نسبا فقلتم فلان ابن فلان ، وقلت : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبَكم » .

لهذا أيها الأخ الكريم فضَّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتَهم الى الله تبارك وتعالى ، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فينادي أحدهم صاحبه :

لا تَدْعُني إلا بيا عبْدَها ... فإنه أشرفُ أسمائي

في حين يجيب الآخرُ من سأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي :

أبـي الإسلامُ لا أبَ لي سواه ... إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تميم

ليس بعد ذلك عزة

أيها الأخ العزيز . إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف في أعمال جدودهم ، ولما يقصدون اليه من نفخ روح العزة والكرامة في نفوس أبنائهم ، ليس وراء هذين المقصدين شيء ، أفلا ترى ان في نسبتك الى الله تبارك وتعالى أسمى ما يطمح اليه الطامحون من معاني العزة والمجد : ﴿فإنَّ العزةَ لله جميعاً﴾ وأولى ما يرفع نفسك الى عليين ، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين ، وأي شرف أكبر وأي رافع الى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيا ، بالله صلتك وإليه نسبتك ، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسون﴾ آل عمران .

اعظم مصادر القوة

وفي النسبة الى الحق تبارك وتعالى معنى آخر يدركه من التحق بهذه النسبة ، ذلك

هو الفيض الأعم من الايمان ، والثقة بالنجاح الذي يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخشى الناس جميعاً ولا ترهب العالم كله إن وقف أمامك يحاول أن ينال عقيدتك أو ينتقص من مبدئك :

﴿الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخْشَوهم فزادهم إيمانا وقالوا حَسْبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل﴾ آل عمران .

ولأمر ما كان الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل اللجب والجيش اللهام ، فلا يرهب صولته ولا يخشى أذاه لأنه لا يخشى أحداً إلا الله ، وأي شيء أعظم من تلك القوة التي تنسكب في قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله تعالى : ﴿إن ينصرْكم الله فلا غالبَ لكم﴾ .

قوميتنا نسبة عالمية

وهناك معنى من معاني السمو الاجتماعي في انتساب الناس إلى الله تبارك وتعالى ، ذلك هو تآخي الشعوب وتآزر الجماعات والقضاء على تلك المطامع التي توحي بها العصبية ويؤرِّث نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر ، فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله . . ؟

احلام الأمس حقائق اليوم

هذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه فقد يكون غامضاً عليهم غير مفهوم لديهم . وقد يقول قائل : ما لهؤلاء الجماعة يكتبون في هذه المعاني التي لا يمكن ان تتحقّق ، وما بالهم يسبحون في جو الخيال والأحلام ؟

على رسلكم أيها الإخوان في الاسلام والملة ، فإنَّ ما ترونه اليوم غامضاً بعيداً كان عند أسلافكم بدهياً قريباً ؛ ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم ، وصدقوني ان المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرأوه ونزل فيهم ، ما ندلي به اليوم إليكم ونقصه عليكم .

وأصارحكم بأن عقيدة الاخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ويموتون

عليها ، ويرون فيها كل ما تصبو اليه نفوسهم من متعة وجمال وإسعاد وحق : ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشَعَ قلوبهُم لذكر الله وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب من قبْلُ فطالَ عليهم الأمَدُ فقسَتْ قلوبهُم وكثيرٌ منهم فاسقون﴾ الحديد .

أيها الإخوان : إذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم الى الله تبارك وتعالى يفرض عليكم ان تقدروا المهمة التي ألقاها على عاتقكم ، وتنشطوا للعمل لها والتضحية في سبيلها ، فهل أنتم فاعلون ؟

مهمة المسلم

ان مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى في آية واحدة من كتابه ، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات ، فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلمين في الحياة فهي قول الله تبارك وتعالى :

﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجُدوا واعبُدوا ربكم وافعلوا الخيرَ لعلكم تُفلِحون . وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جَعَلَ عليكم في الدين من حَرَجٍ مِلَّةَ أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناس ، فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير﴾ الحج .

هذا كلام بيّن لا لبس فيه ولا غموض ، ووالله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور ، يملأ الآذان ويدخل على القلوب بغير استئذان ، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن ؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقفالا فلا تعي ولا تتدبر ؟

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التي هي لب العبادة وعمود الاسلام وأظهر مظاهره ، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا . وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاكم بذلك عن الشر ، وإن من أول الخير ان تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب عليه أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة .

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا في الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان ، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا   فالحرب أجدى على الدنيا من السَّلَمِ

حراسة الحق بالقـوة

وما أحكم ذلك القائل : « القوة أضمن طريق لإحقاق الحق ، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب » ، فهذا الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، فضلا عن الاحتفاظ بمقدسات الإسلام ، فريضة الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر ، وألزمهم إياها وندبهم إليها ، ولم يعذر في ذلك أحداً فيه قوة واستطاعة ، وإنها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة زاجرة :

﴿إنفِروا خِفافاً وثِقالا وجاهِدوا بأموالِكم وأنفُسِكم في سبيل الله﴾ التوبة .

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف وحكمة هذه الفريضـة التـي افترضهـا على المسلمين بعد هذا الأمر ، فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سوّاس خلقه وأمناءه على شريعته وخلفائه في أرضه ، وورثة رسوله ﷺ في دعوته ؛ ومهد لهم الدين وأحكم التشريع وسهل الأحكام وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم ، وترى فيها الإنسانية أمنيتها المرجوة وأملها المنتظر : ﴿هو اجتْباكم ومـا جَعَلَ عليكم في الدين من حَرَج ملةَ أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على النـاس﴾ الحـج . وتلك هي المهمـة الاجتماعية التي ندب الله إليها المسلمين جميعاً ، أن يكونوا صفاً واحداً وكتلة وقوة ، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذي ينقذ الإنسانية ويهديها سواء السبيل .

رهبان بالليل وفرسان بالنهار

ثم أوضح الحق تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطة بين التكاليف من صلاة وصوم بالتكاليف الاجتماعية وأن الأولى وسيلة للثانية ، وأن العقيدة الصحيحة أساسها معاً ، حتى لا يكون لأناس مندوحة من القعود عن فرائضهم الفـردية بحجـة أنهـم يعملـون

للمجموع ، وحتى لا يكون لآخرين مندوحة من القعود عن العمل للمجموع بحجة أنهم مشغولون بعباداتهم مستغرقون في صلتهم بربهم ، فما أدق وما أحكم ﴿ومن أحسنُ من الله حديثاً﴾ ؟

أيها المسلمون ، عبادة ربكم والجهاد في سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هي مهمتكم في الحياة ، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون ، وإن أديتم بعضها أو اهملتموها جميعاً فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى : ﴿أفحسِبْتُم أنما خلقناكم عَبَثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون فتعالى الله الملك الحق﴾ المؤمنون .

لهذا المعنى جاء في أوصاف اصحاب محمد ﷺ وهم صفوة الله من خلقه والسلف الصالح من عباده : « رهبان بالليل فرسان بالنهار » ترى أحدهم في ليله ماثلا في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : « يا دنيا غري غيري » فإذا انفلق الصباح ودوى النفير يدعو المجاهدين ، رأيته رئبالا على صهوة جواده ، يزأر الزأرة فتدوي لها جنبات الميدان .

بالله ما هذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها وشؤون الآخرة وروحانيتها ؟ ولكنه الإسلام الذي جمع من كل شيء أحسنه .

استعمار الاستاذية والاصلاح

ولهذا المعنى أيها المسلمون نفر المسلمون ، بعد أن اختار نبيه ﷺ الرفيق الأعلى ، في أقطار الأرض . قرآنه في صدورهم ومساكنهم على سروجهم وسيوفهم بأيديهم ، حجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم يدعون الناس إلى إحدى ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال . فمن أسلم فهو أخوهم له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن أدى الجزية فهو في ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ويرعون عهده ويوفون له بشرطه ، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه : ﴿ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره﴾ .

ما فعلوا ذلك لسلطان ، فزهادتهم في الجاه والشهرة معروفة عند الخاص والعام ؛ ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التي يستمتع بها أقوام على حساب آخرين ، فكان خليفتهم كأحدهم ، يفرض له من المال والعطاء ما لرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم ، لا تميزه إلا بما أفاض الله عليه من جلال الايمان وهيبة اليقين . ولم يكن ذلك لمال ، فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته وجرعة يطفىء بها ظمأته ، والصوم لديهم

قربة ، والجوع أحب عندهم من الشبع ، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته ، وكتابهم يناديهم بقول الله تعالى :

﴿والذين كفروا يتَمتَّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مثوىً لهم﴾ محمد .

ونبيهم يقول لهم : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد ، وإنما كان لأداء رسالة خاصة هي رسالة نبيهم ﷺ التي تركها أمانة بين أيديهم ، وأمرهم أن يجاهدوا في سبيلها : ﴿حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كله لله﴾ .

آن لنا أن نتفهم

كان المسلمون يفهمون هذا قديماً ويعملون له ويحملهم إيمانهم على التضحية في سبيله ، أما في هذه الأيام فقد تفرق المسلمون في فهم مهمتهم واتخذوا من التأويل والتعطيل سناداً للقعود والكسل ، فمن قائل يقول لك : مضى وقت الجهاد والعمل . وآخر يثبط همتك بأن الوسائل معدومة والأمم الإسلامية مقيدة ، وثالث رضي من دينه بكلمات يلوكها لسانه صباح مساء ، وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء .

لا لا أيها الإخوان ، القرآن بينكم يناديكم بوضوح وجلاء :

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورَسوله وجاهَدوا بأموالهم وأنفُسِهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ الحجرات .

وأما السنة فيقول لكم الرسول ﷺ : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » رواه الامام أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمر .

وأنتم تقرأون في كتب الفقه ما ألف منها قديماً أو حديثاً متى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون فرض عين ، وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم ، فما هذا الخمول الذي ضرب بجرانه ؟ وما هذا اليأس الذي قبض على القلوب فلا تعي ولا تفيق ؟ هذا أيها المسلمون عصر التكوين فكوِّنوا أنفسكم وبذلك تتكون امتكم .

إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوساً مؤمنة وقلوباً سليمة ، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صدوركم ، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة عرضها السموات والأرض .

من ايـن نبدأ

إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادىء تحتاج من الأمة التي تحاول هذا أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة امور : إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره . على هذه الأركان الأولية التي هي من خصوص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادىء وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلاً .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الاصلاح فيه ، فهو شعب عابث مسكين ، لا يصل إلى خير ولا يحقق أملا . وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام : ﴿إن الظن لا يُغني من الحق شيئاً﴾ .

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا :

﴿إنَّ اللهَ لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفُسهم﴾ الرعد .

وهو أيضاً القانون الذي عبر عنه النبيﷺ في الحديث الشريف الذي رواه أبو داود : « يوشِكُ الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلةُ الى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاء السيل ،وليَنْزِعَنَّ الله من صُدور عدوِّكم المهابة منكم ، وليقذفَنَّ في قلوبكم الوهْن ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهْن ؟ قال : حبُّ الدنيا وكراهية الموت » .

أَولستَ تراهﷺ قد بيَّن أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهْنُ نفوسها وضعفُ قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة ، وإن كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها .

وإن الأمة إذا رتعت في النعيم وأنست بالترف وغرقت في أعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا ، ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة في سبيل الحق ، فقل على عزتها وآمالها العفاء .

بـين القوتـــين

يظن كثير من الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الأمم التي سلبت حقه وهضمت أهله . ذلك صحيح ومهم ، ولكن أهم منه وألزم : القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والايمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية ، والتضحية في سبيل الواجب والوفاء الذي تنبني عليه الثقة والوحدة ، وعنهما تكون القوة .

لو آمن الشرق بحقه وغيَّر من نفسه واعتنى بقوة الروح وعني بتقويم الاخلاق ، لأتته وسائل القوة المادية من كل جانب ، وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين .

يعتقد الاخوان المسلمون هذا تمام الاعتقاد ، وهم لهذا دائبون في تطهير أرواحهم وتقوية نفوسهم وتقويم أخلاقهم ، وهم لهذا يجاهدون بدعوتهم ويريدون الناس على مبادئهم ويطالبون الأمة بإصلاح النفوس وتقويم الاخلاق .

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعاً شأنهم في كل ما يقولون ، ولكنهم يستمدونه من القاموس الأعظم والبحر الخضم والدستور المحكم والمرجع الأعلى ، ذلك هو كتاب الله تبارك وتعالى ، وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلكم القانون :

﴿إن اللهَ لا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفُسِهم﴾ الرعد .

ولقد كشف القرآن عن هذا المعنى في كثير من آياته ، بل إنه ضرب لنا مثلاً تطبيقياً خالداً واضحاً كل الوضوح صادقاً كل الصدق في قصة بني إسرائيل ، تلك القصة الرائعة التي ترسم لكل أمة يائسة طريق التكوين .

المنـهاج واضـح

يعتقد الاخوان المسلمون ان الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده ان يتبعوا محمداً ﷺ ورضي لهم الاسلام ديناً ، وضع في هذا الدين القويم كل الاصول اللازمة لحياة

الأمم ونهضتها وإسعادها ، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى :

﴿الذين يتَّبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونَه مكتوباً عندَهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحِلُّ لهم الطيباتِ ويحرِّم عليهم الخبائثَ ويضَع عنهم إصْرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم﴾ الأعراف .

ومصداق قول الرسول ﷺ في الحديث الشريف ما معناه : « والله ما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه » .

وأنت إذا أمعنت النظر في تعاليم الاسلام وجدته قد وضع أصح القواعد وأنسب النظم وأدق القوانين لحياة الفرد رجلا وامرأة ، وحياة الأسرة في تكوينها وانحلالها ، وحياة الأمم في نشوئها وقوتها وضعفها ، وحلل الفكر التي وقف أمامها المصلحون وقادة الأمم .

فالعالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة ، والصلة بين المنتج والمستهلك ، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة الى هذه البحوث التي تشغل بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع ، كل هذه نعتقد ان الاسلام خاض في لبها ، ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن ، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات . وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال ، فإنما نقول ما نعتقد ونبين للناس ما ندعوهم إليه ، ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقوله .

لا بد من أن نتبع

وإذا كان الإخوان المسلمون يعتقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على ان تكون قواعد الاسلام الاصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة . ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الاسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة ، ستخرج منها الأمة بتضحيات كبيرة في غير فائدة ، فخير للامم التي تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطريق باتباعها أحكام الاسلام .

والاخوان المسلمون لا يختصُّون بهذه الدعوة قطراً دون قطر من الأقطار الاسلامية ، ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء في كل قطر يدين أبناؤه بدين الاسلام . وإنهم لينتهزون لذلك هذه الفرصة التي تتحد فيها الأقطار الاسلامية وتحاول بناء مستقبلها على دعائم ثابتة من أصول الرقي والتقدم والعمران .

احذروا الانحراف

وإن أكبر ما يخشاه الإخوان المسلمون أن تندفع الشعوب الشرقية الإسلامية في تيار التقليد ، فترقع نهضاتها بتلك النظم البالية التي انتقضت على نفسها وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها . إن لكل أمة من أمم الإسلام دستوراً عاماً فيجب أن تستمد مواد دستورها العام من أحكام القرآن الكريم ، وإن الأمة التي تقول في أول مادة من مواد دستورها : إن دينها الرسمي الإسلام ، يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة ، وكل مادة لا يسيغها الإسلام ولا تجيزها أحكامه يجب أن تحذف حتى لا يظهر التناقض في القانون الأساسي للدولة .

أصلحوا القانون

وإن لكل أمة قانوناً يتحاكم إليه أبناؤها ، وهذا القانون يجب أن يكون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية مأخوذاً عن القرآن الكريم متفقاً مع أصول الفقه الاسلامي . وإن في الشريعة الاسلامية وفيما وضعه المشترعون المسلمون ما يسد الثغرة ويفي بالحاجة وينقع الغلة ، ويؤدي إلى أفضل النتائج وأبرك الثمرات . وإن في حدود الله لو نفذت لزاجراً يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام ، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان ، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة ، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده ، وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه ، والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه : ﴿ومَنْ لم يحكمْ بما أنزلَ الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة .

أصلحوا مظهر الاجتماع .

وإن في كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات ، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره . إن البغاء الرسمي لطخة عار في جبين كل أمة تقدِّر الفضيلة ، فما بالك بالأمم الإسلامية التي يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزناة بشدة :

﴿ولا تأخذْكم بهما رأفةٌ في دينِ الله إنْ كنتم تؤمنون بالله واليومِ الآخرِ وليَشْهد عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين﴾ النور .

إن حانات الخمر في أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها ، وتلك اللوحات الطويلة لعريضة عن المشروبات الروحية ، وهذه الاعلانات الظاهرة الواضحة عن ام الخبائث ظاهر يأباها الدين ، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم .

حاربوا الاباحية

وإن هذه الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث في الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع ، يناقض ما أوصى الإسلام :اتباعه من عفة وشهامة وإباء وانصراف الى الجد وابتعاد عن الإسفاف .

« ان الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها »

فكل هذه المظاهر وأشباهها ، على الأمم الاسلامية أن تبذل في محاربتها ومناهضتها كل ما في وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود ، لا تني في ذلك ولا تتواكل .

نظموا التعليم

وإن لكل أمة وشعب إسلامي سياسة في التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل ، الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة ، فيجب أن تبنى هذه السياسة على اصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية ، ومعرفة بأحكام دينهم ، واعتداداً بمجده الغابر وحضارته الواسعة .

هذا قليل من كثير من الاصول التي يريد الإخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الإسلامية في بناء النهضة الحديثة ، وهم يوجهون دعوتهم هذه إلى كل المسلمين شعوباً وحكومات . ووسيلتهم في الوصول إلى تحقيق هذه الغايات الإسلامية السامية وسيلة واحدة : أن يبينوا ما فيها من مزية وإحكام ، حتى إذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه : ﴿قلْ هذه سَبيلي أدعو إلى الله على بَصيرة أنا ومن اتبعني وسُبحانَ الله وما أنا من المشركين﴾ يوسف .

انتفعوا باخاء اخوانكم

ينادي الإسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم :

﴿واعتَصِموا بحبل الله جميعاً ولا تفَرَّقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ آل عمران .

ويقول القرآن الكريم في آية أخرى :

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وفي آية أخرى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياءُ بعض﴾ التوبة .

ويقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « وكونوا عباد الله إخواناً » وكذلك فهم المسلمون الاولون ـ رضوان الله عليهم ـ من الاسلام هذا المعنى الاخوي، وأملت عليهم عقيدتهم في دين الله اخلد عواطف الحب والتآلف ، وأنبل مظاهر الاخوة والتعارف ، فكانوا رجلاً واحداً وقلباً واحداً ويداً واحدة ، حتى امتن الله بذلك في كتابه فقال تبارك وتعالى : ﴿وألَّفَ بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم ولكنَّ الله ألَّفَ بينهم﴾ الانفال .

تطبيق،

وإن ذلك المهاجر الذي كان يترك أهله ، ويفارق أرضه في مكة ويفر بدينه ، كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرون وكلهم شوق إليه وحب له وسرور بمقدمه ، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم صلة ، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو عمومة ، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة . وإنما هي عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به ، ويعدونه جزءاً من أنفسهم ، وشقيقاً لأرواحهم ، وما هو الا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج ، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه ويفديه بروحه وعياله ، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع ، حتى روى الإمام البخاري ما معناه : « ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرْعة » .

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر ، فما زال يبدو غرة مشرقة في جبين السنين في قول الله تبارك وتعالى : ﴿والذين تبوأوا الدارَ والإيمانَ مِنْ قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويُؤثرون على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الحشر .

وعلى هذا درج أبناء الإسلام وخص الرعيل الأول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الايمانية ، لا فرق بين مهاجرهم وأنصاريهم ، ولا بين مكيِّهم ويمنيِّهم ، حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه :

« نعم القوم الأشعريون . إذا جهدوا في سفر أو حضر جمعوا ما عندهم فوضعوه في

زادتهم ثم قسموه بينهم بالسوية » .

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم ، وأحاديث النبي العظيم صلى الله عليه وسلم ، وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين ، رأيت من ذلك ما يقر عينيك ويملأ سمعك وقلبك .

أخوة تعلن الانسانية :

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لا بد لنا من أن نجنيهما ونتحدث إليك عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة ، فأما الأولى منهما فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامي لم يشبهه استعمار في التاريخ أبداً ، لا في غايته ولا في مسالكه وإدراته ولا في نتائجه وفائدته ، فإن المستعمر المسلم انما كان يفتح الأرض حين يفتحها ليُعلي فيها كلمة الحق ، وينير أفقها بسنة القرآن الكريم ، فإذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ومحيت المظالم ، وشملها العدل والإنصاف والحب والإخاء ، ولم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب ، ولكن إخوان متحابون متآلفون ، ومن هنا تذوب فكرة القومية ، وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمام فكرة الأخوة الاسلامية التي يبثها القرآن في نفوس من يتبعونه جميعاً .

إن ذلك الفاتح المسلم قبل أن يغزو من غزا ، ويغلب من غلب ، قد باع نفسه وأهله ، وتجرد من عصبيته وقوميته في سبيل الله ، فهو لا يغزو لعصبية ولا يغلب لقومية ولا ينتصر لجنسية ، ولكنه يعمل حين يعمل (لله) ولله وحده لا شريك له ؛ وإن أروع ما أثر من الإخلاص في الغاية ، وتجريد النفس من الهوى ما جاء في الحديث الشريف ما معناه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أحب أن أجاهد في سبيل الله ، وأحب أن يُرى موقفي ، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه ، فنزلت الآية الكريمة :

﴿فمن كان يرجو لقاءَ ربه فليَعْمَلْ عملا صالحا ولا يُشركْ بعبادَةِ ربه أحداً﴾ الكهف . أرأيت كيف اعتبر الاسلام تطلع هذا الشخص إلى الثناء والمدح وهما من طبائع النفوس شركا خفيا يجب أن يتنزه عنه ويسمو بشرف الغاية النبيلة عنه ؟ وهل هناك أخلص من أن ينسى الانسان نفسه في سبيل غايته ؟ وهل تظن أن رجلا يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه ويكبت عواطفها وميولها وأهواءها حتى يكون جهاده خالصاً لله وحده ، يفكر بعد هذا في أن يجاهد لعصبية أو يغزو لجنس أو قومية ؟ اللهمَّ لا .

إن ذلك المغلوب الذي شاء له القدر أن يسعد بالاسلام ويهتدي بهديه ، ما ترك بلده وأرضه لأجنبي عنه يتحكم فيها ويسخره تسخير العبد الذليل ، ويستأثر دونه بخيراتها ، ولكنه ترك ما ترك لأنه يخلطه بنفسه ويمزجه بروحه ويناديه بإخلاص : لك ما لنا وعليك ما علينا ، وكتاب الله تبارك وتعالى يفصل بيننا ، فكلاهما فني في غايته وضحى في سبيل مبدئه ، وترك ما ترك ليعم الانسانة نور الله ، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم ، وفي ذلك تمام إسعادها وكمال رقيها لو كانوا يعلمون .

افق الوطن الاسلامي

أما الثمرة الثانية فإن الأخوة الاسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض ، فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم ، قطعة من الأرض الاسلامية العامة التي يفرض الاسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها ، فكان من ذلك أن اتسع أفق الوطن الاسلامي وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى وطنية المبادىء السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونوراً ، والاسلام حين يُشعر ابناءه بهذا المعنى ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الاسلام من عدوان المعتدين ، وتخليصها منن غصب الغاصبين ، وتحصينها من مطامع المعتدين .

طريق طويلة

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات في بيان دعوة الاخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم ، وأبانت لهم ولو الى حد ما عن مناهجهم في السير الى هذه الغاية ، وقد تحدثت من قبل إلى كثير من إخواننا الغيورين على الاسلام وبجده حديثاً طويلا هو أشبه بهذه الكلمات التي رآها القراء تحت عنوان : « إلى اي شيء ندعو الناس » .

ولقد اصغى إلي من حدثتهم إصغاء مشكوراً ، وكنا نتفهم القول تباعاً أولا فأولا ، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تماماً بشرف الغاية ونجاح الوسيلة . وكم كانت دهشتي عظيمة حين رأيت منهم شبه إجماع على ان هذه السبيل مع التسليم بنجاحها طويلة ، وأن التيارات الجارفة الهدامة في البلد قوية ، مما يجعل اليأس يدب الى القلوب والقنوط يستولي على النفوس . وحتى لا يجد القراء الكرام في أنفسهم هذا الشعور الذي وجده أولئك المتحدثون من قبل ، أحببت أن تكون هذه الكلمة مفعمة بالامل ، فياضة باليقين في

النجاح إن شاء الله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ؛ وسأحصر الموضوع في نظرتين إيجابيتين :

نظرة فلسفية اجتماعية

يقول علماء الاجتماع إن حقائق اليوم هي أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد . وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان ، بل هي محور تقدم الانسانية وتدرجها مدارج الكمال ، فمن ذا الذي كان يصدق أن يصل العلماء الى ما وصلوا اليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين ، بل إن أساطين العلم أنفسهم أنكروها لأول عهدهم بها ، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان ، والمثل على ذلك كثيرة ، وهي من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الاطالة بذكرها .

نظرة تاريخية

إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر اليها ان وصولها الى ما تبتغي ضرب من المحال . ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ ان الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل الى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح . ومن ذا الذي كان يصدّق أن الجزيرة العربية وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان ، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسي على أعظم دول العالم ؟ ومن ذا الذي كان يظن ان أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين ، وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره في أمرهم ، يستطيع ان يُخرج في يوم واحد أحد عشر جيشاً تقمع العصاة وتقيم المعوج ، وتؤدب الطاغي وتنتقم من المرتدين ، وتستخلص حق الله في الزكاة من المانعين؟ ومن ذا الذي كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بني عليٍّ والعباس تستطيع ان تقلب ذلك الملك القوي الواسع الأكناف ما بين عشية أو ضحاها ، وهي ما كانت يوماً من الأيام الا عرضة للقتل والتشريد والنفي والتهديد ؟ ومن ذا الذي كان يظن ان صلاح الدين الأيوبي يقف الأعوام الطوال ، فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين ، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم ، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكا من ملوكهم الأكابر ؟

ذلك في التاريخ القديم . وفي التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك ، فمن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا

الملك ببضعة وعشرين رجلاً ، ثم يكون بعد ذلك أملا من آمال العالم الاسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته ؟ ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألماني (هتلر) يصل الى ما وصل اليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية ؟ .

هل هناك طريق أخرى

وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها ، وتوجهان قلب الغيور الى العمل توجيها قويا صحيحا . أولاهما : ان هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها في بناء النهضات بناء صحيحا وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية .

الواجب أولاً

وثانيتهما ان العامل يعمل لأداء الواجب أولا ، ثم للأجر الأخروي ثانيا ، ثم للإفادة ثالثا ، وهو إن عمل فقد أدى الواجب ، وفاز بثواب الله ما في ذلك من شك ، متى توفرت شروطه ؛ وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله ، فقد تأتي فرصة لم تكن في حسابه تجعل عمله يأتي بأبرك الثمرات ، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه أثم التقصير ، وضاع منه أجر الجهاد وحرم الإفادة قطعا فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في صراحة ووضوح في الآية الكريمة : ﴿لِمَ تَعظون قوماً الله مُهلكهم أو مُعذبهم عذاباً شديداً قالوا مَعذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون. فلما نَسُوا ما ذُكروا به أنجينا الذين يَنْهَوْنَ عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس بما كانوا يفسقون﴾ الأعراف .

قصة أمة تتكوّن

ضعف

نحن الآن أمام جبار متكبر يستعبد عباد الله ويستضعفهم ويتخذهم خدما وحشما وعبيداً وخولا ، وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار ، ثم أراد الله تبارك وتعالى أن يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة وكرامته المغصوبة ومجده الضائع وعزه البائد ، فكان أول شعاع من فجر حرية هذا الشعب إشراق شمس زعيمه العظيم (موسى) على الوجود طفلا رضيعاً : ﴿نَتْلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤ منون . ان فرعون عَلا في الأرض وجعل أهلها شيَعاً يستَضْعفُ طائفةً منهم

يذبّح أبناءهم ويَستحيي نساءَهم إنه كان من المفسدين . ونُريد أن نَمُنَّ على الّذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلَهُم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض﴾ القصص .

زعامــة

ونحن بعد هذا أمام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى ، وتولته العناية الالهية بعد أن أنفت نفسه الظلم وعافت الضيم ، ففر بنفسه وهرب بحريته ، حيث اصطنعه الله لنفسه وحمله عبء رسالتـه ، وأسنـد إليه خلاص شعبـه ؛ فآب مملوءاً بالايمـان مؤيداً باليقين ، يواجه ذلك الجبار فيطلب إليه أن يعيد إلى شعبه حريته ويترك له كرامته ويؤمن به ويتبعه . وما أروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكي القرآن الكريم قول الرسـول العظيم : ﴿وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أنْ عبَّدْتَ بَني إسرائيل﴾ أيها الجبار المتحكم في عباد الله لا عبادك ، هل من النعمة التي تذكرني بها والجميل الذي تسديه إلي أن تستعبد شعبي وتحقر أمتي وتمتهن قومي ؟ . إنها صيحة الحق دوت من فم النبي الكريم فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكـه : ﴿فأْتِيا فرعون فقولا إنا رسولُ رب العالمين ، أنْ أرسِلْ معنا بني إسرائيل ، قال ألمْ نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عُمُرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلتَ وأنت من الكافرين ، قال فعلتُهـا إذاً وأنا من الضالين . ففَرَرْتُ منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾ الشعراء .

صــراع

ونحن الآن نشهد غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه وتنتقم منه وتعذب أهله وتقهر مناصريه ، ثم كيف يصبر أهل الحق على كل ذلك ، وكيف يعللهم رؤساؤهـم بالآمال الحلوة والأماني العذبة حتى لا يجد الخور إلى نفوسهم سبيلا : ﴿وقال الملأ من قوم فرعونَ أتذَرُ موسى وقَوْمَهُ ليُفسدوا في الأرض ويَذَرَكَ وآلهتك قال سَنُقَتِّلُ أبناءهم ونستَحْيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ، قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ؛ إن الارضَ لله يورثُها من يشاءُ من عباده والعاقبةُ للمتقين﴾ الأعراف .

ايــمان

وما أروع ان نشهد ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر ، والاستمساك بعروة الحق ، والاستهانة بكل شيء حتى الحياة في سبيل الايمان والعقيدة من أتباع هذا الزعيم

الذين آمنوا بدعوته ، وقد تحدوا هذا الجبار في استهانة واستماتة : ﴿فاقْضِ ما أنت قاضٍ إنما تَقْضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفرَ لنا خطايانا وما أكرهتَنا عليه من السحر والله خيرٌ وأبقى﴾ طه .

انتصــــار

فإذا رأينا كل ذلك رأينا عاقبته في القسم الخامس وما أدراك ما هي ؟ فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المهضومين ، وأمل يتحقق للحالمين ، وصيحة الحق المبين تدوّي في آفاق الأرض : ﴿يا بني إسرائيلَ قد أنجيناكم من عدوِّكم﴾ طه .



نحو النّور

تقدمة

في رجب من سنة ١٣٦٦ الهجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنّا ، المرشد العام للإخوان المسلمين ، بهذا الخطاب إلى الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان ، وإلى مصطفى النحاس (باشا) رئيس حكومتها حينذاك ، وإلى ملوك وأُمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة ؛ كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية . وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن ، فلا زالت كثير من النظرات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم ، نسأل الله تحقيقها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (ربنا آتنا من لدنْكَ رحمة وهيّء لنا من أمرنا رَشَدا) القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦ هـ .

حضرة صاحب . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة في توجيه الأمة التي استرعاكم الله أمرها ، ووكل إليكم شأنها في عهدها الجديد ، توجيهاً صالحاً يقيمها على أفضل المسالك ويرسم لها خير المناهج ويقيها التزلزل والاضطراب ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة .

ولسنا نبغي من وراء ذلك شيئاً إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة . . . وثواب الله خير وأبقى .

تبعة الراعي

يا صاحب . . .

إن الله وكل إليكم أمر هذه الأمة ، وجعل مصالحها وشؤونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم ، وأنتم مسؤولون عن ذلك كله بين يدي الله تبارك وتعالى ، ولئن كانِ الجيل الحاضر عدتكم ، فإن الجيل الآتي من غرسكم ؛ وما اعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة : « وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . وقديماً قال الامام العادل : « لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسؤولاً عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لمَ لمْ أسوِّ لها الطريق ؟ وصوَّر الإمام عمر بن الخطاب عظيمَ التبعة في جملة فقال : « لوددت أن أخرج منها كفافاً لا لي ولا عليّ » .

مقدمات

(أ) عهد الانتقال :

وإن أخطر العهود في حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال . إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التي يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها ؛ فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة ، وبشر قادتها إلى هذا الفوز ، وأدلتها في هذا الخير ، بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة .

(ب) على مفترق طريقين :

ولقد كانت المهمة ذات شطرين :

أولهما : تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها ، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها .

وثانيهما : بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم ، وتنافس غيرها في درجات الكمال الاجتماعي .

والآن وقد وضع النضال السياسي أوزاره إلى حين ، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهداً جديداً ، فانكم سترونَ أمامكم طريقين ، كل منهما يهيب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله ، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه . فأما الاول فطريق الاسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته ، وأما الثاني فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها .

وعقيدتنا أن الطريق الاول طريق الاسلام وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذي يجب ان يسلك وأن توجه إليه الامة الحاضرة والمستقبلة .

(ج) مزايا التوجه الاسلامي :

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا ان نحصل على فوائد كثيرة ؛ منها ان المنهاج الاسلامي قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته ، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الانسانية جميعاً ؛ وله من قدسيته

واستقراره في نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا إليه ، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والاشادة بالوطنية الخالصة . إذ أننا نبني حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا . وفي ذلك أفضل معاني الاستقلال الاجتماعي والحيوي بعد الاستقلال السياسي .

وفي السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية أولاً ثم للوحدة الاسلامية ثانياً ، فيمدنا العالم الاسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده ، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه ، وفي ذلك ربح أدبي كبير لا يزهد فيه عاقل .

وهذا المنهاج تام شامل ، كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة في الامة عملية وروحية . وهذه هي الميزة التي يمتاز بها الاسلام ، فهو يضع نظم الحياة للامم على أساسين مهمين : أخذ الصالح وتجنب الضار .

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية التي وقعت فيها الدول الاخرى ، التي لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه ، بل استطعنا أن نحل كثيراً من المشكلات المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الحالية ، وإنا نذكر هنا كلمة برنارد شو :

« ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجاناً من القهوة » .

وبعد ذلك كله فإننا إذا سلكنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا يقوينا عند الوهن ، وينقذنا في الشدائد ويهون علينا المشاق ويهيب بنا دائماً إلى الأمام :

﴿ ولا تَهِنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ النساء .

(د) المدنية الغربية الآن :

ومن تمام هذا البحث أن نقول : إن مدنية الغرب التي زهت بجمالها العلمي حيناً من الدهر ، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه ، تفلس الآن وتندحر ، وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها ، فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات ، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الازمات ، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين ، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادىء الشاذة والثورات المندلعة في كل

مكان ، وقد حار القوم في علاج شأنها وضلوا السبيل . مؤتمراتهم تفشل ، ومعاهداتهم تخرق ، ومواثيقهم تمزق ، وعصبة امهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له ، ويد العظيم فيهم توقّع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة في ناحية ، بينما تلطمه اليد الثانية في ناحية اخرى أقسى اللطمات.وهكذا أصبح العالم بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة كسفينة في وسط اليم ، حار ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان . الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة ، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة ، فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الاسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة .

لقد كانت قيادة الدنيا في وقت ما شرقية بحتة ، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية ، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية الى الشرق مرة ثانية . ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة ، فكانت سنة الله التي لا تتخلف ، وورث الغرب القيادة العالمية ، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط ، فلم يبق إلا ان تمتد يد « شرقية » قوية يظللها لواء الله وتخفق على رأسها راية القرآن ويمدها جند الإيمان القوي المتين ، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة ، وإذا بالعوالم كلها هاتفة : ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ﴾ الأعراف .

ليس ذلك من الخيال في شيء ، بل هو حكم التاريخ الصادق ، إن لم يتحقق بنا ﴿ فسوف يأتي اللهُ بقوم يحبُّهم ويحبونَهُ أذلَّة على المؤمنين أعزَّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائم ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء ﴾ المائدة .

بيد أننا نحرص على ان نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة ، ويكتبون في ديوان هذا الشرف ﴿ وربُك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ القصص .

الاسلام كفيل بامداد الامة الناهضة بما تحتاج اليه

ليس في الدنيا نظام يمد الامة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الاسلام بذلك كله أممه الناهضة ، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة ، وضرب الأمثال فيها بالاجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى ، وعالج هذه النواحي علاجاً دقيقاً واضحاً ، لا تأخذ به أمة حتى تصل الى ما تريد .

(ا) الاسلام والأمل

تحتاج الأمة الناهضة الى الأمل الواسع الفسيح ، وقد أمد القرآن أمه بهذا الشعور بأسلوب يخرج من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم ، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً الى الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال ؛ وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى : ﴿ ونُريد ان نَمنَّ على الذين استُضْعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمـة ونجعلَهُـم الوارثـين ، ونمكّنَ لهم في الأرض ﴾ القصص .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تَهنوا ولا تحزَنوا وأنتم الأَعْلَوْنَ إن كنتم مؤمنين ، إن يَمسَسْكم قَرْحٌ فقد مسَّ القومَ قَرْحٌ مثله وتلك الأيام نُداولها بين الناس ﴾ آل عمران .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخْرَجَ الذين كفروا من أهل الكتابِ من ديارهـم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرُجوا وظنوا أنهم مانِعتُهم حصونهُم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعْبَ يُخْربون بيوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار ﴾ الحشر .

وقوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكم مَثَلُ الذين خلَوْا من قَبْلِكم مسَّتْهم البأساءُ والضرّاءُ وزُلزلوا حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنو معه متى نصرُ الله ألا إن نصرَ الله قريب ﴾ البقرة .

إن أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله ، وقرأت ما إليه من قصص تطبيقية واقعية ، لا بد ان تخرج بعد ذلك اقوى الأمم إيماناً وأرواحاً ، ولا بد ان ترى في هذا الامل ما يدفعها الى اقتحام المصاعب مهما اشتدت ، ومقارعة الحوادث مهما عظمت ، حتى نظفر بما تصبو إليه من كمال .

(ب) الاسلام والعزة القومية

وتحتاج الأمم الناهضة الى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها ، حتى تنطبع الصورة في نفوس الابناء ، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم ، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده . هذا المعنى لن نراه واضحاً في نظام من النظم عادلاً فاضلاً رحيماً كما هو في الاسلام الحنيف ، فإن الامة التي تعلم ان كرامتها وشرفها قد قدسه الله في سابق علمه وسجله في محكم كتابه ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ كنتم

خيرَ أمة أُخْرِجَتْ للناس﴾ وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا ﴾البقرة ﴿ولله العزةُ ولرسوله وللمؤ منين﴾ لهي أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها .

ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعاً ؛ ومن هنا سعمنا : « المانيا فوق الجميع » ، « وإيطاليا فوق الجميع » ، « وسودي يا بريطانيا واحكمي » . ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ الاسلامي وبين الشعور الذي املته هذه الكلمات والمبادىء ، ان شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله ، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول فقط من جهة ، ومن جهة اخرى فإن الاسلام حدد الغاية من خلق هذا الشعور وشدد في التزامها ، وبيّن انها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم الى الخير ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿تأمُرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤ منون بالله﴾ آل عمران . ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة ومقارعة الرذيلة واحترام المثل الاعلى وملاحظته عند كل عمل ، ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أُثر عن الامم من عدالة ورحمة . أما مبدأ السيادة في نفس الامم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة ، ولهذا انتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة . فكان المبدأ الاسلامي أخذ خير ما في هذه الناحية ، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤ ه ، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان . ولقد وسع الاسلام حدود الوطن الاسلامي ، وأوصى بالعمل لخيره والتضحية في سبيل حريته وعزته ، فالوطن في عرف الاسلام يشمل :

١) القطر الخاص أولاً .

٢) ثم يمتد الى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار .

٣) ثم يرقى الى الامبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الاسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله ، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد ؛ فكل هذه الاقاليم يُسأل المسلم بين يدي الله تبارك وتعالى لماذا لم يعمل على استعادتها .

٤) ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً ؛ ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾الانفال .

وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعاً : ﴿ يأيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ الحجرات .

(ج) الاسلام والقوة الجندية :

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة الى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية ، ولا سيما في هذه العصور التي لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب ، والتي صار شعار أبنائها جميعاً : « القوة أضمن طريق لإحقاق الحق » .

والاسلام لم يغفل هذه الناحية ، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه ، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء ، وليس في الدنيا كلها نظام عني بهذه الناحية ، لا في القديم ولا في الحديث ، كما عني بذلك الاسلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ وسيرته ، وإنك لترى ذلك ماثلاً واضحاً في قوله تعالى :

﴿ وأَعِدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم ﴾ الأنفال . وفي قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرْه لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً هو شرٌ لكم ﴾ البقرة .

وهل رأيت منشوراً عسكرياً في كتاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يبتدىء بالأمر المنجز في قوله تعالى :

﴿ فليقاتِلْ في سبيل الله الذين يَشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ النساء . ثم يبيّن الجزاء بعد ذلك : ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوف نُؤتيه أجراً عظيما ﴾ النساء .

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف في النفوس وهي استنقاذ الاهل والوطن فيقول :

﴿ وما لكم لا تُقاتلون في سبيل الله والمستَضْعَفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجْنا من هذه القرية الظالمِ أهلُها واجعلْ لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ النساء .

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم ، ليبين لهم أنهم يجودون بثمن غال

هو الحياة على سلعة غالية تستحقه وتربو عليه وهي رضوان الله ؛ على حين يقاتل غيرهم لغير غاية ، فهم أضعف نفوساً واخزى أفئدة ، فذلك قوله تعالى :

﴿ الذين آمنو يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيدَ الشيطان كان ضعيفاً ﴾النساء .

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب ، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة ، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا ، وأن الإقدام لن يضرهم شيئاً بل سيكسبون به الجزاء الكبير ، والإحجام لا يغنيهم شيئاً فالموت من ورائهم لا محالة ، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرةً :

﴿ ألم تَرَ إلى الذين قيلَ لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة فلما كُتبَ عليهم القتال إذا فريق منهم يخْشَوْنَ الناسَ كخشية الله أو اشدَ خشيةً وقالوا ربنا لمَ كتبْتَ علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب . قلْ متاعُ الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تُظلمون فتيلا ، أينما تكونوا يدْركْكُم الموتُ ولو كنتم في بروج مشيَّدة ﴾النساء .

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة وفي هذا الوضوح يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان ؟ .

وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين ، هما : النظام والطاعة ، فقد جمعهما الله في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى :

﴿ إن الله يحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بُنيان مرصوص ﴾الصف . كما قال تعالى : ﴿فأوْلى لهم طاعةٌ وقوْل معروف﴾ محمد .

وإنك إذا قرأت ما جاء به الاسلام في إعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمي ورباط الخيل ، وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعاية اهله واستيعاب صنوفه ، لرأيت من ذلك ما لا يحصيه الحصر ، سواء في الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة او السيرة المطهرة أو الفقه الحنيف : ﴿ وسع ربُّنا كل شيء علما ﴾ .

ولقد عُنيَت بذلك الأمم الحديثة فبنت نفسها على هذه القواعد ، ورأينا أساس فاشستية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسا عسكرياً بحتاً ؛ ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الاسلام فرق عظيم ، فإن الاسلام الذي قدس القوة هذا

القوة هذا التقديس ، هو الذي آثر عليها السلم ، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة : ﴿وإن جنحوا للسَلْم فاجنَحْ لها وتوكل على الله﴾ الانفال .

وهو الذي حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى : ﴿ولينْصرَنَّ الله من ينصرهُ إن الله لقويٌ عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ الحج .

وهو الذي وضع أساس القانون الدولي الحربي فقال تعالى : ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانْبِذْ إليهم على سواءٍ إن الله لا يحب الخائنين﴾ الانفال .

ولأمر ما كانت وصية الرسول ﷺ وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمة والرفق : « ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تجهزوا على جريح ؛ وستمرون في اقوام ترهبوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

كذلك كانت العسكرية في الاسلام بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام . أما عسكرية أوروباالآن فقد علم الناس جميعاً عنها أنها جيش الظلم وجند المطامع . فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ .

(د) الاسلام والصحة العامة

ولما كانت الأمم الناهضة في حاجة الى هذه الجندية الفاضلة ، وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الاجسام ؛ فقد أشار القرآن الى هذا المعنى في بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال في سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها ، فاختار الله لها زعيما قوي الفكر وقوي الخلق ، وجعل من أركان نهوضه بعبثه قوة بدنه ، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكية الزعيم طالوت قال : ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بَسْطَةً في العلم والجسم﴾ البقرة .

ولقد شرح الرسول ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه ، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم ، كما حثهم على قوة أرواحهم ، فالحديث الصحيح يقول : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ويقول : « إن لبدنك عليك حقاً » . ولقد بين رسول الله ﷺ للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية ، وهو أفضل

شطري الطب ، فقوله ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » ، وتحريه ﷺ فيما يشرب من ماء ، في الحديث : « كان ﷺ يستعذب الماء » ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة ، وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله ، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم ، وأخيراً عنايته ﷺ بكثير من فروع رياضة البدن كالرمي والسباحة والفروسية والعدو ، وحث أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء في الحديث : « من علم الرمي ثم نسيه فليس مني » ونهيه ﷺ نهياً مشدداً عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها تقرباً الى الله تبارك وتعالى ، وإرشاده الأمة الى جانب الاعتدال في ذلك كله . كل هذا ينطق بعناية الاسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده في المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام .

الاسلام والعلم

وكما تحتاج الأمم الى القوة كذلك تحتاج الى العلم الذي يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه ، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات ، والاسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره ، وحسبك ان أول آية نزلت من كتاب الله :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ العلق .

وأن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة ، عملاً على محو الامية عن الأمة . ولم يسوِّ الله بين العلماء وبين الجاهلين ، فقال تبارك وتعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكرُ اولو الالباب ﴾ الزمر . وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء ، ولازم القرآن بين العلم والقوة في الآيتين الكريمتين ﴿فلولا نَفَرَ من كل فِرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليُنْذروا قومهم إذا رَجَعوا إليهم لعلهم يحذرون . يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلونكم من الكفار وليَجدوا فيكم غِلْظة واعلموا ان الله مع المتقين ﴾ التوبة .

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين ، بل أوصى بهما جميعاً ، وجمع علوم الكون في آية واحدة ، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى :

﴿ ألم ترَ أن الله أنزل من السماء ماء﴾ فاطر . وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ثم قال تعالى : ﴿ فأخرجْنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ﴾ فاطر . وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه : ﴿ومن الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلف الوانها وغرابيبُ سود﴾ فاطر . وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها : ﴿ ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلفٌ ألوانُه كذلك ﴾ فاطر . وفيها الإشارة الى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئاً من علوم الكون ؟ ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى : ﴿إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماء ﴾ فاطر .

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك ، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته ؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم .

(و) الاسلام والخلق

والأمة الناهضة أحوج ما تكون الى الخلق . . الخلق الفاضل القوي المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح ، إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة النابعة من الايمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ . وإنما يصوغ هذه النفس الكاملة الاسلام وحده، فهو الذي جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح ، فقال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ الشمس .

وجعل تغيير شؤون الأمم وقفاً على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ الرعد .

وإنك لتسمع الآيات البالغة في مفردات الأخلاق الكريمة فتراها القوة التي لا تغالب في إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها ، مثل قوله تعالى في الوفاء : ﴿ مِنَ المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قَضَى نحبَه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً . ليَجْزي اللهُ الصادقين بصدقهم ﴾ الاحزاب .

وفي البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبُهم

ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يَغيظ الكفارَ ولا ينالون من عدوٌ نَيْلا إلا كُتِبَ لهم به عملٌ صالح إن الله لا يُضيع أجر المحسنين . ولا يُنفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كُتب لهم ليَجزيهم الله ما كانوا يعملون ﴾التوبة .

وليس كالاسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب على النفس وذلك خير الرقباء ، وبغيره لا ينتظم قانون ما الى اعماق السرائر وخفيات الأمور .

(ز) الاسلام والاقتصاد

والأمة الناهضة احوج ما تكون الى تنظيم شؤ ونها الاقتصادية ، وهي اهم الشؤ ون في هذه العصور ، ولم يغفل الاسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها،وها أنت ذا تسمع قول الله تبارك وتعالى في المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب الاهتمام به : ﴿ولا تُؤ توا السفهاءَ اموالكم التي جعلَ اللهُ لكم قياما ﴾النساء .

ويقول في موازنة الانفاق والدخل :

﴿ولا تجعلْ يَدكَ مغلولة الى عنُقك ولا تبْسُطها كل البَسْط ﴾الاسراء .

ويقول رسول الله ﷺ : « ما عال من اقتصد » وهو كما يصدق في الفرد يصدق في الأمة مع قوله ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . وأي نظام اقتصادي فاضل يرحب به الاسلام ويدعو الأمة الى تشجيعه ولا يقف أبداً في سبيله ، والفقه الاسلامي مملوء بأحكام المعاملات المالية ، وقد فصلها تفصيلاً لا يدع زيادة لمستزيد .

وبعد،فإن الأمة إذا توافرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهي بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لها ، ولا سيما إذا أضيف الى ذلك انها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان ، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله ، وإن الاسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض في النكول عنه والعدول عن طريقه .

(ح) نظم الاسلام العامة

هذه ناحية واحدة من نواحي الجمال في بعض النظم الاسلامية وهي النظم الخاصة بنهضة الامم ، على اعتبار اننا نستقبل عهد النهضة ، أما كل نواحي الجمال في كل النظم

الاسلامية فذلك ما يحتاج الى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الاطراف ، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الاجمال وهي : ان نظم الاسلام فيما يتعلق بالفرد أو الاسرة أو الامة حكومتها وشعبها ، أو صلة الامم بعضها ببعض ، نظم الاسلام في ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها ، وانها اكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثاً أو قديماً . هذا حكم يؤ يده التاريخ ويثبته البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الامة .

ولقد كان هذا الحكم خاصا فصار الآن عاما يشهد به كل منصف ، وكلما تغلغل الباحثون في بحوثهم كشفوا من نواحي الجمال في هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم وصدق الله القائل : ﴿ سنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسِهم حتى يتبينَ لهم أنه الحق أوَلَمْ يكفـِ بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾؟ ! فصلت .

الاسـلام يحمـي الأقليـات
ويصـون حقـوق الاجانـب

يا صاحب . . .

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة ، وينافي الوحدة بين عناصر الامة وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر . ولكن الحق غير ذلك تماماً فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبسا ولا غموضاً في حماية الأقليات ، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص :

﴿ لا ينهاكم اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتُقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ الممتحنة .

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان إليهم ، وإن الاسلام الذي قدس الوحدة الانسانية العامة في قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ الحجرات .

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك ، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعا في قوله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل إلى إبراهيم واسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون من ربهم لا نفرقُ بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولَوْا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهُم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة﴾ ؟ البقرة .

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان ، فقال تبارك وتعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخَوَيْكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ الحجرات .

هذا الإسلام الذي بني على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن ان يكون أتباعه سبباً في تمزيق وحدة متصلة ، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط .

وقد حدد الإسلام تحديداً دقيقاً من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم ، فقال تعالى بعد الآية السابقة :

﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتَلوكم في الدين وأخرَجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجِكم أن تَولَوْهم ومن يتولَهم فأولئك هم الظالمون﴾ الممتحنة .

وليس في الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلا فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضا لنظام شؤونها .

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة ، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه ، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله :

﴿ يأيها الذين آمنو لا تتخِذوا بطانة من دونِكم لا يألونكم خبَالا ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاءُ من أفواههم وما تخفى صدورُهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تَعقلون . ها أنتم أولاءِ تحُبونهم ولا يحُبونكم﴾ آل عمران .

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعاً أدق علاج وأنجعه وأصفاه

الإسلام لا يعكر صفو العلائق

بيننا وبين الغرب

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام في حياتنا الجديدة تباعد بيننا وبين الدول الغربية ، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر ، وهو أيضاً ظن عريق في الوهم ، فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون فهي لا ترضى عنا سواء تبعنا الإسلام أم غيره ، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا فقد صرح خطباؤ ها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها ، ما دام لا يمس حقوق الآخرين فعلى ساسة هذه الدول جميعاً أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام الدولي لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها .

فالإسلام هو الذي يقول في المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤ ولا ﴾ الاسراء . ويقول : ﴿ إلا الذين عاهدتُم من المشركين ثم لم ينقُصوكم شيئاً ولم يُظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عَهْدَهم إلى مُدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ التوبة . ويقول : ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ ويقول في إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين : ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يَسمعَ كلامَ اللهِ ثم أبْلِغْهُ مأمَنَه ﴾ التوبة .

وهذا في المشركين فكيف بالكتأبيين ؟ .

فالإسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى ، تضمن لهم . نقول إنه من خيرأوروبانفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة في معاملات دولها بعضها لبعض ، فذلك خير لهم وأبقى .

أصـول النـهضـة فـي الشـرق

غـير أصـولـها فـي الغـرب

يا صاحب . . .

من الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار

تقليد الغرب دراسة قادتها للنهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا على تحطيم الدين وهدم الكنائس ، والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت ، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة ، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تاماً . وذلك إن صح في الأمم الغربية فلا يصح أبداً في الأمم الإسلامية ، لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر ، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم ، مما جعل القواعد الأساسية في الإسلام على مر القرون ، تساير العصور وتدعو إلى الرقي وتعضد العلم وتحمي العلماء ، فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا ، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة ، ومهمتنا في هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات ، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا في هذه القاعدة ، وعلى ذلك فلا يجوز أبداً ان يكون هذا الشعور رائدنا في نهضتنا الجديدة ، التي يجب أن ترتكز أول ما ترتكز على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة ، وهو ما يأمر به الإسلام .

رجال الدين غير الدين نفسه

ومن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين ، انهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوىء للنهضة الوطنية ، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة ، وذلك إن صح فهو ضعف من رجال الدين أنفسهم لا في الدين ذاته ، وهل يأمر الدين بهذا ؟ . وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على الملوك والأمراء أبوابهم وسدودهم ، فيقرّعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبينون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة ، بل ويحملون السلاح في وجوه الجور والظلم . وما نسي التاريخ بعد كتيبة الفقهاء في صف ابن الأشعث في شرق الدولة الإسلامية ، ولا ثورة القاضي ابن يحيى الليثي المالكي في غربها .

هذه تعاليم الدين ، وهذا ماضي رجاله من فقهاء المسلمين فهل فيه شيء من هذا الذي يزعمون ؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه ؟

وعلى أن هذه المزاعم إن صحت في قوم فليست صحيحة في الجميع ، وإن وقعت

لظرف خاص فليست تساير كل الظروف ، وهذا تاريخ النهضات الحديثة في الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين في كل أمة من الأمم ، وما موقف الأزهر في مصر والمجلس الأعلى في سوريا الجنوبية « فلسطين » وسوريا الشمالية « لبنان » ومولانا أبي الكلام وإخوانه من جلة العلماء في الهند وزعماء المسلمين في أندونيسيا بمنسي ولا بعيد ، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة ، أو ليس الانفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلا من ان تقف منهم الموقف المبيد . على أن هذه التعبيرات التي سرت إلينا تقليداً ومنها (رجال الدين) لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا ، فإنها إن كانت في الغرب خاصة (بالأكليروس) فإنها في العرف الإسلامي تشمل كل مسلم ، فالمسلمون جميعاً من أصغرهم لأكبرهم (رجال دين) .

خطوة جريئة ولكنها موفقة

يا صاحب . .

بعد كل ما تقدم لا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق : طريق الإسلام ، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف : طريق أوربا . وفي طريق اوروبا زينة وبهرج ، وفيه لذائذ وترف ، وفيه تحلل وإباحية ، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة ، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى :

﴿ زُيِّن للناس حبُّ الشهواتِ من النساء والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسوَّمةَ والأنعام والحرْثِ ذلك متاعُ الحياة الدنيا﴾ آل عمران .

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعة ، وحق وقوة ، وبركة واستقامة ، وثبات وفضيلة ونبل ، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله :

﴿ قل أؤ نبئكم بخيرٍ من ذلكم للذين اتقَوْا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدين فيها وأزواجٌ مطهرةٌ ورضوان من الله واللهُ بصير بالعباد » آل عمران .

وإنما أهلك الأمم الترف ، وإنما زلزلت أوروبا المتع والمطامع : ﴿ وإذا أردْنا ان نهلك قريةً أمَرْنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمَّرناها تدميرا ﴾الاسراء .

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة ، وبعث معه كتابه الحق نوراً وهدى إلى يوم القيامة ، وإن زعامة الرسول ﷺ باقية بسنته ، وإن سلطان القرآن قوي بحجته ، وإن الإنسانية صائرة إليهما لا محالة بعز عزيز أو بذُلٍّ ذليل من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله :﴿ ليُظهره على الدين كله ﴾ .

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله ﷺ بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المعذب المريض .

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة إن شاء الله تعالى والله غالب على أمره : ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله يَنْصرُ من يشاءُ وهو العزيز الرحيم ﴾ الروم .

بعض خطوات الإصلاح العملي

يا صاحب . .

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة في نهضتنا الجديدة من شعور روحي ، نحب أن نعرض ختاماً لبعض المظاهر والآثار العملية التي يجب ان يمليها هذا الشعور ، وسنذكر هنا رؤوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الاخصائيين وكفايتهم ، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعاً ؛ ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم في عشية أو ضحاها ، كما أننا نعلم أن كثيراً منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضي العزيمة ، كل ذلك نعلمه ونقدره ، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل ، وأن الامة القوية الإرادة إذا اخذت في سبيل الخير فهي لا بد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى ، فلتتوجهوا والله معكم . أما رؤوس مناحي الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامي الصحيح فهي :

أولاً : في الناحية السياسية والقضائية والإدارية :

١ ـ القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد .

٢ ـ إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الاسلامي في كل فروعه .

٣ ـ تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الاسلامي .

٤ ـ تقوية الروابط بين الأقطار الاسلامية جميعاً ، وبخاصة العربية منها تمهيداً للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة .

٥ ـ بث الروح الاسلامي في دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعاً بأنهم مطالبون بتعاليم الاسلام .

٦ ـ مراقبة سلوك الموظفين الشخصي وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية .

٧ ـ تقديم مواعيد العمل في الدواوين صيفاً وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضي على السهر الكثير .

٨ ـ القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط .

٩ ـ أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية ، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لا تصطدم بتعاليم الإسلام ، وتكون الدوريات في الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة .

١٠ ـ استخدام الأزهريين في الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم .

ثانياً : في الناحية الاجتماعية والعلمية :

١ ـ تعويد الشعب احترام الآداب العامة ، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون في ذلك الشأن ، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية .

٢ ـ علاج قضية المرأة علاجا يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الاسلام ، حتى لا تترك هذه القضية التي هي اهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرّطين .

٣ ـ القضاء على البغاء بنوعيه السري والعلني . واعتبار الزنا مهما كانت ظروفه جريمة منكرة يجلد فاعلها .

٤ ـ القضاء على القمار بكل أنواعه من العاب ويانصيب ومسابقات وأندية .

٥ ـ محاربة الخمر كما تحارب المخدرات ، وتحريمها وتخليص الامة من شرورها .

٦ ـ مقاومة التبرج والخلاعة وأرشاد السيدات الى ما يجب أن يكون ، والتشديد في ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن في حكمهن .

٧ ـ إعادة النظر في مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان في كثير من مراحل التعليم .

٨ ـ منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات ، واعتبار خلوة أي رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤاخذان بها .

٩ ـ تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية الى ذلك ، ووضع تشريع يحمي الاسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج .

١٠ ـ إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما الى ذلك .

١١ ـ مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد في اختيار الروايات والأشرطة .

١٢ ـ تهذيب الاغاني واختيارها ومراقبتها والتشديد في ذلك .

١٣ ـ حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والاغاني والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة في تربية وطنية خلقية فاضلة .

١٤ ـ مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التي تعمل على إشاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالا فاحشاً .

١٥ ـ تنظيم المصايف تنظيما يقضيَ على الفوضى والإباحية التي تذهب بالغرض الأساسي من الاصطياف .

١٦ ـ تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهي العامة ، ومراقبة ما يشتغل به روادها ، وإرشادهم الى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله .

١٧ ـ استخدام هذه المقاهي في تعليم الاميين القراءة والكتابة ، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامي والطلبة .

١٨ ـ مقاومة العادات الضارة اقتصاديا أو خلقياً أو غير ذلك ، وتحويل تيار الجماهير عنها الى غيرها من العادات النافعة ، أو تهذيب نفسها تهذيباً يتفق مع المصلحة وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها ، وتكون الحكومة قدوة صالحة في ذلك .

١٩ ـ اعتبار دعوة الحسبة ، ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شيء من تعاليم الاسلام أو الاعتداء عليه كالإفطار في رمضان وترك الصلاة عمداً أو سب الدين وأمثال هذه الشؤون .

٢٠ ـ ضم المدارس الإلزامية في القرى الى المساجد ، وشمولهما معاً بالإصلاح التام من حيث الموظفين والنظافة وتمام الرعاية ، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم .

٢١ ـ تقرير التعليم الديني مادة أساسية في كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفي الجامعة أيضاً .

٢٢ـ تشجيع تحفيظ القرآن في المكاتب العامة الحرة ، وجعل حفظه شرطاً في نيل

الاجازات العلمية التي تتصل بالناحية الدينية واللغوية ، مع تقرير حفظ بعضه في كل مدرسة .

٢٣ ـ وضع سياسة ثابتة للتعليم ، تنهض به وترفع مستواه ، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد ، وتقرب بين الثقافات المختلفة في الأمة ، وتجعل المرحلة الاولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم .

٢٤ ـ العناية باللغة العربية في كل مراحل التعليم ، وإفرادها في المراحل الاولى عن غيرها من اللغات الأجنبية .

٢٥ ـ العناية بالتاريخ الاسلامي والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الاسلام .

٢٦ ـ التفكير في الوسائل المناسبة لتوحيد الازياء في الأمة تدريجيا .

٢٧ ـ القضاء على الروح الاجنبية في البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والممرضات الخ ، وتصحيح ذلك كله وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية .

٢٨ ـ توجيه الصحافة توجيها صالحاً وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الاسلامية الشرقية .

٢٩ ـ العناية بشؤون الصحة العامة من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق والاكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج .

٣٠ ـ العناية بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها .

ثالثاً : في الناحية الاقتصادية :

١ ـ تنظيم الزكاة دخلا ومنصرفاً بحسب تعاليم الشريعة السمحة ، والاستعانة بها في المشروعات الخيرية التي لا بد منها كملاجىء العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش .

٢ ـ تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيما يؤدي الى هذه الغاية ، وتكون الحكومة قدوة في ذلك بإلغاء الفوائد في مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها .

٣ ـ تشجيع المشروعات الاقتصادية والاكثار منها ، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها واستخلاص ما في أيدي الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة .

٤ ـ حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل منفعة ممكنة للجمهور .

٥ ـ تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار .

٦ ـ حصر الوظائف وخصوصاً الكثيرة منها ، والاقتصار على الضروري ، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعاً عادلا والتدقيق في ذلك .

٧ ـ تشجيع الارشاد الزراعي والصناعي ، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الانتاجية .

٨ ـ العناية بشؤون العمال الفنية والاجتماعية ، ورفع مستواهم في مختلف النواحي الحيوية .

٩ ـ استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها .

١٠ ـ تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الانشاء والتنفيذ .

***

وبعد ،فهذة رسالة الاخوان المسلمين ، نتقدم بها ، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم ، نجيب النداء ونكون الفداء ، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وحسبنا الله ، وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى . . .

حسن البنا

إلى الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

﴿ قل إنما أعظُكم بواحدة أنْ تقوموا لله مثْنَى وفُرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّةٍ إن هو إلا نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد ، قل ما سألتُكم من أجْرٍ فهو لكم إن أجْريَ إلا على اللهِ وهو على كل شيء شهيد . قل إن ربي يقذفُ بالحق علامُ الغيوب ، قل جاء الحقُ وما يُبْدىءُ الباطل وما يُعيد ، قل إن ضلَلْتُ فإنما أضلُّ على نفسي وإن اهتَدَيْتُ فبما يوحي إليَّ ربي إنه سميع قريب﴾ .

سورة سبأ : ٤٦ ـ ٥٤

يـهـا الشبـــاب :

أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أيـها الشبـــاب :

إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها ، وتوفر الإخـلاص في سبيلهـا ، وازدادت الحماسة لها ، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها . وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة : الايمـان ، والإخـلاص ، والحماسـة ، والعمـل من خصـائص الشباب . لان أساس الايمان القلب الذكي ، وأساس الاخلاص الفؤاد النقي ، وأساس الحماسة الشعور القوي ، وأساس العمل العزم الفتي ، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب . ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً في كل أمة عماد نهضتها ، وفي كل نهضة سر قوتها ، وفي كل فكرة حامل رايتها ﴿إنهم فِتْيةٌ آمنوا بربهم وزدْناهم هدى﴾ الكهف .

ومن هنا كثرت واجباتكم ، ومن هنا عظمت تبعاتكم ، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم ، ومن هنا ثقلت الأمانة في أعناقكم . ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً ، وأن تعملوا كثيراً ، وأن تحددوا موقفكم ، وأن تتقدموا للإنقاذ ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب .

قد ينشأ الشاب في أمة وادعة هادئة ، قوي سلطانها واستبحر عمرانها ، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته ، ويلهو ويعبث وهو هادىء النفس مرتاح الضمير . وقد ينشأ في أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها ، واستبد بشؤونها خصمها فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب ، والتراث المغصوب ، والحرية الضائعة

والأمجاد الرفيعة ، والمثل العالية وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشاب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل في ميدان النصر ، والخير الآجل من مثوبة الله ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثاني فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح في سبيل الحق والحرية . واستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين .

أيـها الشبـاب :

لعل من أخطر النواحي في الامـة الناهضـة ـ وهي في فجـر نهضتهـا ـ اختـلاف الدعوات ، واختلاط الصيحات ، وتعدد المناهج ، وتبـاين الخطـط والطرائـق ، وكثـرة المتصدين للتزعم والقيادة . وكل ذلك تفريق في الجهود وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات . ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسياً لا بد منه لمن يريد الإصلاح .

ومن هنا كان من واجبي أن أشرح لكم في وضوح موجز دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر .

دعوة الإخوان المسلمين

أو دعوة الإسلام في القرن الهجري الرابع عشر

يـــا شبـــاب

لقد آمنا إيماناً لا جدال فيه ولا شك معه ، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي وأعمق من خفايا الضمائر ، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة وترشد الإنسانية الحائرة وتهدي الناس سواء السبيل ، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال ، هذه الفكرة هي الإسلام الحنيف الذي لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه :

﴿شهد اللهُ أنه لا إله إلا هوَ والملائكةُ وأولوا العلمِ قائماً بالقسطِ لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم ، إن الدِّينَ عند الله الإسلام﴾ آل عمران .

﴿اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ دينـا﴾ المائدة .

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة ، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل . لا تعدل بالإسلام نظاماً ، ولاترضى سواه إماماً ، ولا تطيع لغيره أحكاماً :

﴿ومن يبْتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبَل منه﴾ آل عمران .

ولقد أتى على الإسلام والمسلمين حين من الدهر توالت فيه الحوادث وتتابعت الكوارث ، وعمل خصوم الإسلام على إطفاء روائه وإخفاء بهائه وتضليل أبنائه وتعطيل حدوده ، وإضعاف جنوده ، وتحريف تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها ، وأخرى بالزيادة فيها ، وثالثة بتأويلها على غير وجهها ، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الإسلام السياسية وتمزيق إمبراطوريته العالمية وتسريح جيوشه المحمدية ووقوع أممه في قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين .

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها ، وذلك هو الجزء النظري من فكرتنا ، وأن

نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنفاذها ونأخذهم بالعمل بها ، وذلك هو الجزء العملي في هذه الفكرة .

وعمادنا في ذلك كله كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة ، لا نبغي من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس .

وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا ، وسنكافح لها ما حيينا وسندعو النـاس جميعـاً إليها ، وسنبذل كل شيء في سبيلها ، فنحيا بها كراماً أو نموت كراماً ، وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهـاد سبيلنـا ، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا .

أيـها الشبـاب

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه ، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الاستاذ بين تلامذته : ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أخرجَتْ للناس تأمُرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ آل عمران ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً لتكونوا شهداءَ على الناس﴾ البقرة .

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم ، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكمُ الـذل ، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين .

فجدِّدوا أيها الشباب إيمانكم ، وحددوا غاياتكم وأهدافكم ، وأول القوة الإيمان ، ونتيجة هذا الايمان الوحدة ، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين . فآمنوا وتآخوا واعلموا وترقبوا بعد ذلك النصر . . وبشر المؤمنين .

إن العالم كله حائر يضطرب ، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام ، فتقدموا باسم الله لإنقاذه ، فالجميع في انتظار المنقذ ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التي تحملون مشعلها وتبشرون بها .

أيها الشباب :

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات ، فنحن نعلم تماماً ماذا نريد ونعرف الوسيلة الى تحقيق هذه الإرادة .

١ ـ نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته ، وفي خلقه وعاطفته ، وفي عمله وتصرفه . فهذا هو تكويننا الفردي .

٢ ـ ونريد بعد ذلك البيت المسلم في تفكيره وعقيدته وفي خلقه وعاطفته وفي عمله وتصرفه ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل ، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسري .

٣ ـ ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله ايضاً،ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت ، وأن يسمع صوتنا في كل مكان ، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل في القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والامصار ، لا نألو في ذلك جهداً ولا نترك وسيلة .

٤ ـ ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب الى المسجد ، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر من قبل . ونحن لهذا لا نعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه الاشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر واعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها ، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره ، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام .

٥ ـ ونريد بعد ذلك ان نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي الذي فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية . ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية ، التي تجعل من الوطن الإسلامي دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين ، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها . فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله ، كل ذلك وطننا الكبير الذي نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض .

ولئن كان الرايخ الألماني يفرض نفسه حامياً لكل من يجري في عروقه دم الالمان ،

فإن العقيدة اسلامية توجب على كل مسلم قوي أن يعتبر نفسه حامياً لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن . فلا يجوز في عرف الإسلام أن يكون العامل العنصري أقوى في الرابطة من العامل الايماني . والعقيدة هي كل شيء في الإسلام ، وهل الايمان إلا الحب والبغض ؟ .

٦ - ونريد بعد ذلك ان تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالاسلام حيناً من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام . فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم ، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام . ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل . ولئن كان السنيور موسوليني يرى من حقه أن يعيد الامبراطورية الرومانية ، وما تكونت هذه الامبراطورية المزعومة قديماً إلا على أساس المطامع والأهواء ، فإن من حقنا أن نعيد مجد الامبراطورية الإسلامية التي قامت على العدالة والانصاف ونشر النور والهداية بين الناس .

٧ - نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم وان نبلغ الناس جميعاً ، وأن نُعمَّ بها آفاق الأرض ، وأن نُخضِع لها كل جبار ، حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدين كله لله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها ، وإنما نجعل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل ، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ليقل القاصرون الجبناء أن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس ، وذلك هو الضعف الذي لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام . ذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكّنَ لأعدائها فيها ، وذلك هو خراب القلب من الإيمان وهو علة سقوط المسلمين . وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام ، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها .

يا شباب :

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج فلا تهنوا وتَضْعُفوا ، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى :

﴿ الذين قال لهم الناس ، إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخْشَوْهم فزادَهم إيماناً وقالوا حسبُنا الله ونعم الوكيل ﴾ آل عمران .

سنربي أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم ، وسنربي بيوتنا ليكون منها البيت المسلم ، وسنربي شعبنا ليكون منه الشعب المسلم ؛ وسنكون من بين هذا الشعب المسلم ، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط ، والى الهدف الذي وضعه الله لنا لا الذي وضعناه لأنفسنا ، وسنصل بإذن الله وبمعونته ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد أعددنا لذلك إيماناً لا يتزعزع،وعملاً لا يتوقف،وثقة بالله لا تضعف ، وأرواحاً أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة في سبيله .

فليكن ذلك من صميم السياسة الداخلية والخارجية ، فإنما نستمد ذلك من الإسلام ، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف ، ولا يعرفه المسلمون الصادقون في دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه ، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به ، وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين .

أيها الشباب :

يخطىء من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين ﴿ جماعة دراويش ﴾ قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية ، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح . فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة ، ولم يؤمنوا به على هذا النحو ؛ ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة ، ووطناً وجنسية ، وخلقاً ومادة ، وثقافة وقانوناً ، وسماحة وقوة . واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة . اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً فهو عندهم دين ودولة ، ومصحف وسيف . وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء فرائضهم لربهم ، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله ، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به وفي الحدود التي وضعها لهم ، في غير غلو ولا سرف ، فلا تنطع ولا تعمق ، وهم أعرف بقول رسول الله ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » ، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضر بآخرتهم ، ويعلمون

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قلْ من حرَّم زينة الله التي أَخرَجَ لعباده والطيباتِ من الرزق ﴾ الأعراف . وإن الإخوان ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب رسول الله ﷺ : (رهبان في الليل فرسان في النهار) ، وكذلك يحاولون أن يكونوا والله المستعان .

ويخطىء من يظن أنَّ الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية ، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً في خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً ، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون في وطنيتهم والى أي عزة يبغون بأمتهم . ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية . فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد لان مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه ؛ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامي ، على حين يقف كل وطني مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع ، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده . وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته ، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا .

ويخطىء من يظن أن الأخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال ، فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لا بد أن يكون إماماً في كل شيء ، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق في كل شيء ، في العلم وفي القوة وفي الصحة وفي المال . والتأخر في أية ناحية من النواحي ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا ، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التي تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية ، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئاً ولا يعنى من أمر أمته بشيء ، والنبي ﷺ يقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، كما يقول : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » .

ويخطىءمن يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصري بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناسُ إنَّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ

لتعارفوا ﴾ الحجرات ، كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين . ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور،وبهذا جاء القرآن مثبتاً لهذه الوحدة مشيداً بها في مثل قوله تعالى ﴿ لا نُفرِّقُ بين أحدٍ من رُسله ﴾ . وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى ﴿ ولا يجر منَّكم شنَآنُ قومٍ على ألا تعدِلوا ، إعدِلوا هو أقرَبُ للتقوى ﴾ المائدة .

وأوصى بالبر والاحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتُقسطوا اليهم ﴾ الممتحنة . كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية ، ولا إلى عصبية طائفية . ولكننا إلى جانب هذا لا نشتري هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين ، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى . فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه : ولله العزة ولرسولة وللمؤمنين .

ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات أو يعتمدون على جماعة من الجماعات . فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم ، وهي الاسلام وابناؤه في كل زمان ومكان ، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته ، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة .

أيها الشباب :

على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعاً . فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف ، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنياوالآخرة،وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم في العصر الأول ، وسيجد كل عامل صادق منكم في ميدان الإسلام ما يرضي همته ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين .

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة : ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ .

حسن البنا

الإخوان المسلمون
تحت راية القرآن

إلى الشباب الظامىء للمجد التليد . . .
إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق . . .
إلى ورثة الدم القاني الذي سطر على هام الزمان آيات الفخار . .
إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة في الدنيا والسعادة في دار القرار نقدم
.

خطاب الامام الشهيد حسن البنا

رسالة الماضي القوي الملتهب إلى الحاضر الفتي المضطرب . . .

وعُدَّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر .

أيها الشباب . . أيها الهائم يبغي الحياة . .
أيها التائق لنصر دين الله . .

أيها المقدّم روحه بين يدي مولاه .

هنا الهداية والرشاد . .

هنا الحكمة والسداد . .

هنا نشوة البذل ولذة الجهاد .

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء . . .

ولتعمَل تحت راية سيِّد الأنبياء .

وليضمك معسكر « الإخوان المسلمين » .

﴿حتى لا تكونَ فِتْنَةٌ ويكونَ الدينُ كُلُّهُ لله﴾

الاخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . أحييكم بتحية الاسلام[1] تحية من عند الله مباركة طيبة ، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

أيها الاخوان المسلمون .

أيها الناس أجمعون .

في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة ، التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان ، وفي هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التي تهتف بها أرجاء الكون ، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء المعمورة ، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر .

نتقدم بدعوتنا نحن الاخوان المسلمين . .

هادئة ، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة .

متواضعة ، ولكنها أعز من الشم الرّواسي . .

محدودة ، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جيعاً .

خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب ، ولكنها محفوفة بجلال الحق ، وروعة الوحي ، ورعاية الله .

مجرّدة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها السيادة في الدنيا والجنة في الآخرة .

على ضوء الدعوة الأولى

أيها الاخوان المسلمون . .

أيها الناس أجمعون . .

(١) نصُّ الخطاب الجامع الذي ألقاه الأستاذ الإمام في الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ صفر سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٤ إبريل سنة ١٩٣٩ م بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة .

أسمعوها صريحة داوية ، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعد ، كما جلجل بها من قبل :

﴿يأيها المدثر، قم فأنذر ، وربك فكبر﴾المدثر .

ويدوي معها سر قوله تعالى : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ الحجر . ويهتف بها لسان الوحي مخاطباً الناس أجمعين : يأيها الناس إني رسولُ الله إليكمْ جميعاً الذي له مُلكُ السموات والأرض لا إلهَ إلاّ هو يحيي ويميتُ فآمنوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأميِّ الذي يؤمنُ باللهِ وكلماتِهِ واتّبعوهُ لعلكُمْ تهتدُونَ﴾ الأعراف .

أين نحن من تعاليم الاسلام ؟

أيها الاخوان المسلمون .
أيها الناس أجمعون .

إن اللهَ بعث لكم إماماً ، ووضع لكم نظاماً ، وفصل أحكاماً ، وأنـزل كتابـاً ، وأحل حلالاً ، وحرم حراماً ، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم ، وهـداكم سواء السبيل ؛ فهل اتبعتم إمامه ، واحترمتم نظامه ، وأنفذتم أحكامه ، وقدستـم كتابـه ، وأحللتم حلاله ، وحرمتم حرامه ؟

كونوا صرحاء في الجواب ، وسترون الحقيقة واضحة أمامكم ، كل النظم التي تسيرون عليها في شؤونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالاسلام ، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه .

نظام الحكم الداخلي .
نظام العلاقات الدولية .
نظام القضاء .
نظام الدفاع والجندية .
نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد .
نظام الثقافة والتعليم .
بل نظام الأسرة والبيت .
بل نظام الفرد في سلوكه الخاص .

الروح العام الذي يهيمن على الحاكمين والمحكومين ، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها ، كل ذلك بعيد عن الاسلام وتعاليم الاسلام .

وماذا بقي بعد هذا ؟

هذه المساجد الشامخة القائمة التي يعمرها الفقراء والعاجزون ، فيؤدون فيها ركعات خالية من معاني الروحانية والخشوع إلا من هَدى الله ؟

هذه الأيام التي تصام في العام فتكون موسماً للتعطل والتبطل والطعام والشراب ، وقلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح . . .

﴿إلاَّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وقَليلٌ ماهُمْ﴾ ص .

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس ، واللحى والمراسم ، والطقوس والألفاظ والكلمات . . .

أهذا هو الاسلام الذي أراده الله أن يكون رحمته العظمى ، ومنته الكبرى على العالمين ؟ .

أهذا هدي محمد ﷺ الذي أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور ؟ .

أهذا هو تشريع القرآن الذي عالج أدواء الأمم ومشكلات الشعوب ، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول ؟ .

موجة التقليد الغربي

أيها الاخوان المسلمون .
بل أيها الناس أجمعون .

مٍن الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتياراً شديداً دفاقاً قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن ، وفي غرور من أمم الاسلام ، وانغماس منهم في الترف والنعيم . . فقامت مبادىء ودعوات ، وظهرت نظم وفلسفات ، وتأسست حضارات ومدنيات ، ونافست هذه كلها فكرة الاسلام في نفوس أبنائها ، وغزت أممه في عقر دارها ، وأحاطت بهم من كل مكان ، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم ، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم ، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم

يتهيأ لغيرها من قبل ، وأجتاحت أمماً إسلامية بأسرها ، وانخدعت بها دول كانت في الصميم والذؤابة من دول الاسلام ،وتأثر ما بقي تأثراً بالغاً ونشأ في كل الأمم الاسلامية جيل مخضرم ، إلى غير الاسلام أقرب ، تصدَّر في تصريف امورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها ، فدفع بالشعوب مغافلة إلى ما يريد ، بل إلى ما ألف ، وهي لا تدري ما يراد بها ولا ما تصير إليه . وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية : ان خلصونا مما بقي من الاسلام وآثار الاسلام ، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها ، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رؤوسكم ونفوسكم ، ولا تكونوا مخادعين منافقين معاندين ، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين .

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدي الاسلام وأصوله وقواعده ، والاسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها ، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه ، لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين .

حقاً لقد تقدم العلم ، وتقدم الفن ، وتقدم الفكر ، وتزايد المال وتبرجت الدنيا ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، وأترف الناس ونعموا ؛ ولكن هل جلب شيء من هذا السعادة لهم ؟ وهل أمَّن لهم شيء من هذا الحياة ، أو ساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة ؟ .

هل اطمأنت الجنوب في المضاجع ؟ .
هل جفت الجفون عن المدامع ؟ .
هل حوربت الجريمة ، واستراح المجتمع من شرور المجرمين ؟ .
هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التي تفوق الحصر بطون الجائعين ؟ .
هل ساقت هذه الملاهي والمفاتن ، التي ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء ، العزاء إلى المحزونين ؟ .

هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء ، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين ؟ .

لا شيء من هذا أيها الناس ، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات ؟ .

وهل هذا فحسب ؟ .

ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى في العلوم وفي الأرقام يحطم بعضها بعضا ، ويقضي بعضها على بعض ، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان ؟ .

مـهمتنـــا

ما مهمتنا إذن نحن الاخوان المسلمين ؟

أما إجمالاً :

فهي أن نقف في وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات ، التي جرفت الشعوب الاسلامية ، فأبعدتها عن زعامة النبي ﷺ وهداية القرآن ، وحرمت العالم من أنوار هديها ، وأخرت تقدمه مئات السنين ، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا . ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها في أرضها ، وسنغزوها في عقر دارها ، حتى يهتف العالم كله باسم النبي ﷺ ، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن ، وينتشر ظل الاسلام الوارف على الأرض . وحينئذٍ يتحقق للمسلم ما ينشده ، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿ولله الأمرُ من قَبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يَفرحُ المؤمنونَ بنصرِ اللهِ ينصرُ من يشاءُ وهو العزيزُ الرَّحيم﴾ الروم .

وأما تفصيلاً :هذه مهمتنا نحن الاخوان المسلمين إجمالاً ،فأما في بعض تفاصيلها فهي أن يكون في مصر أولاً ،بحكم أنها في المقدمة من دول الاسلام وشعوبه ،ثم في غيرها كذلك :

ـ نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى :

﴿وأن احكُمْ بينهم بما أنزلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُمْ واحذَرْهُمْ أن يَفْتنوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ﴾ المائدة .

ـ ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم :

﴿وكذلك جعَلناكم أمَّةً وَسَطاً لتكونوا شُهداءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكمْ شَهيداً﴾ البقرة .

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة :

﴿فلا وربِّكَ لا يُؤْمنونَ حتى يُحكِّمُوكَ فيما شجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنْفسِهم حرَجاً مما قَضيْتَ ويُسلِّموا تَسليماً﴾ النساء .- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام :

﴿إنفِروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدُوا بأموالِكم وأنفُسِكم في سبيل الله﴾ التوبة .

- ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى :

﴿ولا تُؤْتوا السُّفهاءَ أموالكمُ التي جعَلَ اللهُ لكم قِياماً﴾ النساء .

- ونظام للثقافة والتعليم يقضي على الجهالة والظلام ، ويطابق جلال الوحي في أول آية من كتاب الله : ﴿إقرأ باسم ربكَ الذي خلق﴾ العلق .

- ونظام للأسرة والبيت ينشىء الصبي المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم ، ويحقق قوله تعالى :

﴿يأيُّها الذين آمنوا قُوا أنفُسكُمْ وأهليكُمْ ناراً وَقودُها الناسُ والحجارة﴾ التحريم .

- ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى :

﴿قد أفلَحَ من زكَّاها﴾ الشمس .

- وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى :

﴿وابْتغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نصيبكَ من الدنيا وأحسِنْ كما أحسنَ اللهُ إليك ولا تَبْغِ الفسادَ في الأرْض﴾ القصص .

نحن نريد :

الفرد المسلم . . .
والبيت المسلم . . .
والشعب المسلم . . .
والحكومة المسلمة . . .

والدولة التي تقود الدول الاسلامية ، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم ،

وترد عليهم أرضهم المفقودة ، وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة ، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله ، حتى تسعد العالم بتعاليم الاسلام .

عـــدتنـــا

هذه غايتنا أيها الناس ، وهذا منهاجنا .

فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج ؟

عدتنا هي عدة سلفنا من قبل ، والسلاح الذي غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله ﷺ وصحابته معه العالم ، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد ، هو السلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد . لقد آمنوا أعمق الايمان وأقواه وأقدسه وأخلده ، بالله ونصره وتأييده :

﴿إنْ يَنْصُرْكُم اللهُ فلا غالِبَ لَكُمْ﴾ آل‌عمران .وبالقائد وصدقه وإمامته : ﴿لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حسَنَة﴾ الأحزاب .

ـ وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته :

﴿قدْ جاءكُمْ من اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبين يَهْدي به اللهُ من اتبعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السلامِ﴾ المائدة .

ـ وبالإخاء وحقوقه وقدسيته :

﴿إنما المؤْمنونَ إخوَةٌ﴾ الحجرات .

ـ وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته :

﴿ذلكَ بأنهمْ لا يُصيبُهمْ ظَمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصةٌ في سبيلِ اللهِ ولا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغيظُ الكفارَ ولا ينالونَ من عدُوٍّ نَيْلاً إلاَّ كُتبَ لهم به عَمَلٌ صالِحٌ ، إن اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المحسنِيْن﴾ التوبة .

وبأنفسهم : فهم الجماعة التي وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين ، وكتب لهم الفضل بذلك ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

لقد سمعوا المنادي ينادي للايمان فآمنوا ، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا

الإيمان ، ويزينه في قلوبنا كما حببه إليهم ، وزينه من قبل في قلوبهم .

فالايمان اول عدتنا

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه ، أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد ، والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال ؛ فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم :

﴿قُلْ إنْ كان آباؤكُم وأَبناؤكُم وإخوانُكم وأَزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترَفْتموها وتجارةٌ تخشَوْنَ كسادَها ومساكِنُ تَرْضَوْنها أحبَّ إليكم من اللهِ ورسولهِ وجِهادٍ في سبيلهِ فتربَّصُوا حتى يأْتيَ اللهُ بأَمْره﴾ التوبة .

فأصاخوا للنذير ، وخرجوا عن كل شيء ، طيبة بذلك نفوسهم ، راضية قلوبهم ، مستبشرين ببيعهم الذي بايعوا الله به .

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف : ركضاً إلى الله بغير زاد .

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً : أبقيت لعيالي الله ورسوله .

ويخطر أحدهم والسيف على عنقه :

ولست أبالي حين أُقتَلُ مسلماً
على أيِّ جنب كان في الله مَصرَعي

كذلك كانوا : صدق جهاد ، وعظيم تضحية ، وكبير بذل ، وكذلك نحاول أن نكون ! .

فالجهاد من عدتنا كذلك

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله ، مطمئنون إلى تأييده :

﴿ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينْصرهُ إنَّ اللهَ لَقَويٌّ عزيزٌ . الذين إنْ مكنَّاهُمْ في الأَرْضِ أقاموا الصلاةَ وآتَوْا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المنكر وللهِ عاقبةُ الأمور﴾ الحج .

بين الخيال والحقيقة

سيقول الذين يسمعون هذا إنه الخيال بعينه وإنه الوهم ، وإنه الغرور . وأنى

لهؤلاء الذين لا يملكون الا الايمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتألبة المجتمعة ، والأسلحة المتنوعة المختلفة ، وأن يصلوا إلى حقهم ، وهم بين ذراعي وجبهة الأسد .

سيقول كثيرون هذا ، ولعل لهم بعض العذر ، فهم قد يئسوا من أنفسهم ، ويئسوا من صلتهم بالقوي القادر . أما نحن فنقول إنها الحقيقة التي نؤمن بها ونعمل لها ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

﴿ولا تَهِنوا في ابتغاءِ القَوْمِ إنْ تكونوا تألَمونَ فإنهم يألمونَ كما تألمونَ وترْجونَ من اللهِ ما لا يَرجونَ﴾ النساء .

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا ، ومكّنَ الله لهم في الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عدداً ، ولا أعظم عُدة ؛ ولكنهم مؤمنون مجاهدون ، ونحن سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله ﷺ يوم قال : « بشر خُبَيباً بظهور هذا الأمر حتى يسير الراكب من عدن إلى عمان لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه » وكانوا إذ ذاك يستترون .

ويوم وعد سراُقة بن مالك سوارَيْ كسرى ، وكان مهاجراً بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه .

ويوم هتف مطلعاً على قصور الروم البيضاء ، وقد حاصره المشركون في مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفلَ منهم :

﴿وإذْ زاغَتْ الابصارُ وبَلغَتْ القلوبُ الحناجِر﴾ الأحزاب .

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟

كان أن أصغى مسمع الدهر لدعوة رسول الله ﷺ ، وترددت في فم الزمان آيات قرآنية ، وأشرقت شموس الهداية في كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه ، وعم الكون نور ، ورفرف على الدنيا سلام ، وتذوقت الإنسانية حلاوة السعادة بعدالة الحكم ، وأمن المحكوم في ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وفتحت قصور الروم ، ودانت مدائن الفرس ، ومدت الأرض بأعناقها ، وألقت بجرانها وزويت أكنافها ، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة ، ترف عليها أنفاس النبوة ، وتمازجها أنفاس الوحي المقدس ، وتحف بها رحمة الله من كل جانب :

﴿ورَدَّ اللهُ الذين كفروا بغَيْظِهِمْ لم يَنالوا خيْراً وكفى اللهُ المؤْمنينَ القتالَ وكان اللهُ قَوِيّاً عزيزاً ، وأنزَلَ الذينَ ظاهَروهم من أهل الكتابِ من صياصيهِم وقَذَفَ في قلوبِهمُ

الرعبَ فريقاً تقتُلونَ وتأسرونَ فريقاً ، وأورثكُم أرضَهُمْ وديارَهُمْ وأموالَهمْ وأرضاً لم تطَأوها وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ قديراً﴾ الأحزاب .

سنعتد أيها الناس اليوم بهذه العدة ، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، وسيتحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى :

﴿ونُريدُ أن نَمُنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرضِ ونَجعلَهم أئمةً ونَجْعَلَهُم الوارثين ونُمكّنَ لهم في الأرض﴾ القصص .

﴿فاصبِرْ إنَّ وعدَ اللهِ حَقٌّ ولا يَستَخِفنَّكَ الذين لا يوقنون﴾ الروم .

لو كانت لنا حكومة

لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الاسلام ، صادقة الإيمان ، مستقلة التفكير والتنفيذ ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذي بين يديها ، وجلال النظام الاسلامي الذي ورثته ، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها ، وهداية الناس جميعاً . . . لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدنيا باسم الاسلام ، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه ، وأن تسوقها سوقاً إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية ، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والابلاغ ، ولاكتسبت مركزاً روحياً وسياسياً وعملياً بين غيرها من الحكومات . ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب ، وتدفع به نحو المجد والنور ، وتثير في نفسه الحماسة والجد والعمل .

عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها ، وتدعو إليها ، وتنفق في سبيلها ، وتحمل الناس عليها . وأن تجد الفاشستية والنازية أمماً تقدسها ، وتجاهد لها ، وتعتز باتباعها ، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها . وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصاراً أقوياء ، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم ، ويحيون ويموتون لها .

ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الاسلام ، الذي جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها ، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمي فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية ، مع أن الاسلام جعل الدعوة فريضة لازمة ، وأوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم ، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات :

﴿ولتكنْ منْكم أُمّةٌ يَدْعونَ إلى الخير ويأمُرونَ بالْمعروفِ ويَنهَوْنَ عن المنكَرِ وأولئك هم المفلحون﴾ آل عمران .

ولكن أنّى لحكامنا هذا ، وهم جميعاً قد تربوا في أحضان الأجانب ، ودانوا بفكرتهم ، على آثارهم يهرعون ، وفي مرضاتهم يتنافسون ؟ ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الفكرة الاستقلالية في تصريف الشؤون والأعمال لم تخطر ببالهم ، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم .

لقد تقدمنا بهذه الأمنية إلى كثير من الحاكمين في مصر ، وكان طبيعياً ألا يكون لهذه الأمنية أثر عملي . فإن قوماً فقدوا الاسلام في أنفسهم وبيوتهم وشؤونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم ، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

ليست هذه مهمتهم أيها الاخوان ، فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها ، ولكنها مهمة هذا النشء الجديد ، فاحسنوا دعوته ، وجدوا في تكوينه ، وعلموه استقلال النفس والقلب ، واستقلال الفكر والعقل ، واستقلال الجهاد والعمل ، واملأوا روحه الوثابة بجلال الاسلام وروعة القرآن ، وجندوه تحت لواء محمد ورايته ، وسترون منه في القريب الحاكم المسلم الذي يجاهد نفسه ويسعد غيره .

طبيعة فكرتنا :

أيها الاخوان المسلمون . .

بل أيها الناس أجمعون . .

لسنا حزباً سياسياً وإن كانت السياسة على قواعد الاسلام من صميم فكرتنا . .

ولسنا جمعية خيرية إصلاحية ، وإن كان عمل الخير والاصلاح من أعظم مقاصدنا . .

ولسنا فرقاً رياضية ، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا . .

لسنا شيئاً من هذه التشكيلات ، فإنها جميعاً تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة ، وقد لا يوحي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة ، والتحلي بالألقاب الإدارية فيها .

ولكننا أيها الناس : فكرة وعقيدة ، ونظام ومنهاج ، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس ، ولا يقف دونه حاجز جغرافي ، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الارض ومن عليها

ذلك لأنه نظام رب العالمين ، ومنهاج رسوله الأمين .

نحن أيها الناس ـ ولا فخر ـ أصحابُ رسول الله ﷺ ، وحملة رايته من بعده ، ورافعو لوائه كما رفعوه ، وناشرو لوائه كما نشروه ، وحافظو قرآنه كما حفظوه ، والمبشرون بدعوته كما بشّروا ، ورحمة الله للعالمين ﴿ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين﴾ .

أيها الاخوان المسلمون :

هذه منزلتكم ، فلا تصغروا في أنفسكم ، فتقيسوا أنفسكم بغيركم ، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين ، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله ، بغيرها من الدعوات التي تبررها الضرورات ، وتذهب بها الحوادث والأيام . لقد دعوتم وجاهدتم ، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتاً تهتف بزعامة رسول الله وهيمنة نظام القرآن ، ووجوب النهوض للعمل ، وتخليص الغاية لله ، ودماءً تسيل من شباب طاهر كريم في سبيل الله ، ورغبة صادقة للشهادة في سبيل الله . وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون ، فواصلوا جهودكم ، واعملوا والله معكم ، ولن يَترِكُمْ أعمالكمْ .

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق ، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غداً ، وللسابق عليه الفضل . ومن رغب عن دعوتنا ، زهادة ، أو سخرية بها ، أو استصغاراً لها ، أو يائساً من انتصارها ، فستثبت له الأيام عظيم خطئه ، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق .

فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون ، والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السّوي ، والصراط المستقيم ، ولا توزعوا القوى والجهود :

﴿وأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بكم عن سَبيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ به لعلَّكُمْ تَتَّقون﴾ الأنعام .

حسن البنا

دعوتنا في طور جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الواجب قبل أن نتطرق في دراستنا إلى مختلف نواحي الفكرة الإسلامية ، وقبل أن نتولى الرد على ما يحوم حولها من شبهات ، وقبل أن نعرض على بساط النقد غيرها من الأفكار ، أقول كان من الواجب أن نلم إلمامة سريعة بأهداف فكرتنا وخصائصها ووسائلها ، حتى تكون جولاتنا المقبلة على أساس من فهم سابق لفكرتنا . .

ربانية عالمية

أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية :

(أ) أما أنها ربانية فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعاً ، أن يتعرف الناس إلى ربهم ، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها . ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا : « الله غايتنا » فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة . وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الانسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعاً فلم يستطيعوا الى حلّها سبيلاً ، وبغير هذا المفتاح فلا اصلاح .

(ب) وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة : أصلهم واحد ، وأبوهم واحد ، ونسبهم واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿يأيها الناسُ اتقوا ربكم الذي خَلَقكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوجَها وبثَّ منهما رجالا كثيراً ونساءً، واتقوا اللهَ الذي تَساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ النساء . فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان ، ولكنا ندعو إلى الأخوَّة العادلة بين بني الانسان .

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشري إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين ، وهو يعتبر قومه مبتكرين ويعتبر قوماً آخرين من الغربيين محافظين ، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين . هذا التقسيم ظالم جائر فضلاً عن أنه غير صحيح بأصله ، فالجنس البشري كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات . وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقي من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب . وليس هناك جنس من بني آدم لا يمكن إصلاحه في حدود ظروفه وبيئته الخاصة به . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا

الشرق الذي وضع في صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات ، وهو مفيض ذلك كله على الغرب ، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر . ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هي نزوات من غرور الانسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات ، وما دام في الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخية الانسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقاً ، ويستظلون بظله الوارف الأمين ، ولن يجدوا طريقا معبدة الى ذلك كطريق الاسلام الذي يقول كتابه : ﴿يأيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات . ويقول نبيه صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .

ولهذا كانت دعوة الاخوان المسلمين ربانية إنسانية .

بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية

ولقد تذبذب العقل البشري منذ وجد الانسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا ـ وأغلب الظن كذلك حتى تتداركه هدايه من الله ـ بين أطوار ثلاثة ، وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير :

١ ـ طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه . فهو ينسب إليها كل شيء ويفسر بها كل شيء . ولا يرى لنفسه معها عملاً ولا فكراً ، وكثيراً ما استبد هذا الطور بالانسان في أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الارض يجهلها وتجهله ، ولعل أقواماً من بني الانسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو الى الآن .

٢ ـ وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول ، والخروج على هذه القوى البعيدة عن حس الانسان والتمرد على كل ما يتصل إليها بسبب ، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعاً محاولة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى اليها الانسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره . وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الانساني في هذه العصور الحديثة ، التي وصل فيها الانسان الى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة ، وعرف فيها الكثير

من خواص الكائنات ، فظن أنه واصل لا محالة بهذا الاسلوب إلى معرفة ما هناك ، وإن كان الذي يعرفه بالنسبة إلى ما يجهله كالذرة من الرمال في الفلاة الواسعة الفسيحة .

وفي هذا الدور أنكر الانسان المادي الألوهية وما يتصل بها والنبوات وما يمتّ اليها والآخرة والجزاء والعالم الروحي بكلّ ما فيه ، ولم ير شيئاً إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة .

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلوّ فاحش وجهالة من الانسان بما يحيط بالانسان ، ولقد جاء الاسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقاً ، فيقرر حق العالم الروحي ويوضح صلة الانسان بالله رب الكائنات جميعاً وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا ، ويجعل الايمان بالله أساس صلاح النفس التي هي من عالم الروح فعلاً والتي لا سبيل إلى صلاحها الا بهذا الايمان ، ويصف ذلك العالم الغيبي المجهول وصفاً يقربه الى الأذهان ولا يتنافى مع بدهيات العقول ، وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادي وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به في حدود الخير ، ويدعو إلى النظر السليم في ملكوت السموات والأرض ، ويعتبر هذا النظر أقرب الى معرفة الله العلي الكبير . هذا الموقف من الاسلام الحنيف ألزم العقل البشري لونا من ألوان التفكير ، هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة ومنطق الكون ، وأعظمها نفعاً لبني الانسان : ذلك هو الجمع بين الايمان بالغيب والانتفاع بالعقل . فنحن نعيش في عالمين فعلاً لا في عالم واحد ، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً ، عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التي تحيط بنا . ونحن في إدراكها ننتقل من مجهول إلى مجهول حتى ينتهي بنا العجز الى الإقرار بعظمة الله، ونحن نشعر من أعماق قلوبنا بعاطفة الايمان قوية مشبوبة ، لأن الايمان من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء . ونحن بعد ذلك نلمس أن هذا المجتمع الانساني لن يصلحه إلا اعتقاد روحي يبعث في النفوس مراقبة الله والتعزي بمعرفته ، ومن هنا كان لزاماً على الناس ان يعودوا الى الايمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة ، وبالجزاء فيها على الأعمال : ﴿ فمن يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَه ومن يعمل مثقالَ ذرة شراً يره ﴾ الزلزال . كل هذا في الوقت الذي يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء وتنتفع بما في الوجود من خيرات وميزات : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ وإلى هذه اللون من التفكير الذي يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو

الناس. لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادي النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت في نفوس أبنائه عواطف الرحمة الانسانية ، وخبت أنواع الروحانية الربانية . وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله ، وصبغ الفكر البشري في كل مكان بصبغته هذه . والآن والدنيا كلها تكتوي بهذه النيران تنبثق الدعوة من جانب جديد لتهيب بالناس في الشرق والغرب معاً ان يمزجوا المادة بالروح ، وان يؤمنوا بالغيب والشهادة ، وأن يتعرفوا من جديد الى الله : ﴿ ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ الذاريات .

مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية من هذه الدعوة

وكما ان دعوتنا هذه ربانية تدعو الى هجر المادية ومقاومتها والوقوف في وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار الى الله والايمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته في كل عمل ، فهي كذلك انسانية تدعو الى الاخوة بين بني الانسان وترمي الى اسعادهم جميعاً لأنها اسلامية ، والاسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون اخرى ﴿ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ الفرقان ﴿قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ الأعراف ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ البقرة .

ومن هذا العموم في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومدى رسالته استمدت دعوتنا العموم في هدفها ومرماها ، فهي دعوة توجه الناس جميعاً وتؤاخي بينهم جميعاً وتسعى لخيرهم جميعاً ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان .

وتتردد في أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة يعنون بها آراء ومذاهب فأين مكان هذه الألفاظ في دعوتنا ؟ إن لكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل رأي من هذه الآراء مكاناً في دعوتنا لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع ونجامل في الفكرة وعلى حسابها ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول :

أ ـ فالمصرية أو القومية لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها في الكفاح والنضال .

إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة من الأرض التي نبتنا فيها ونشأنا عليها . ومصر بلد مؤمن تلقى الاسلام تلقياً كريماً وذاد عنه ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ وأخلص في اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف، وهو لا يصلح إلا بالاسلام ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا يطب له إلا بعلاجه . وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الاسلامية والقيام عليها فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر ؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع ، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادي بالاسلام ويهتف بالاسلام ! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون في سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها جزء من الوطن العربي العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام .

وليس يضيرنا في هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم ، وبما سبق إليه قدماء المصريين الناسَ من المعارف والعلوم . فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه علم ومعرفة . ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملي يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه بعد أن هداها الله بتعاليم الاسلام وشرح له صدرها وأنار به بصيرتها وزادها به شرفاً ومجداً فوق مجدها ، وخلصها بذلك مما لاحق هذا التاريخ من اوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية .

(ب) والعروبة : او الجامعة العربية ، لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر ، فالعرب هم أمة الاسلام الأولى وشعبه المتخيَّر، وبحق ما قاله صلى الله عليه وسلم : « إذا ذل العرب ذل الاسلام » ولن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها ، وإن كل شبر أرض في وطن عربي نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا .

فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الاسلامية التي جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد وجعلت من هذه الأقطار جميعاً أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون .

ومن أروع المعاني في هذا السبيل ما حدد به الرسول صلى الله عليه وسلم معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والاسلام .

فقد روى الحافظ بن عساكر بسنده عن مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يأيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي » .

وبذلك نعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسي كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان ، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل ، ولا يفرق بين حدودها فارق ، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله .

(ج) والشرقية لها في دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذي يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتياً طارئاً ، إنما ولّده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته ، وانعزاله عن هذه الأمم التي سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقي وغربي ، وندائه بهذا التقسيم حتى في قول أحد شعرائه المأثور : الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يجتمعا . هذا المعنى الطارىء هو الذي جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفاً يقابل الصف الغربي ، أما حين يعود الغرب الى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والاجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل محلها الفكرة الناشئة ، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها .

(د) أما العالمية أو الأنسانية فهي هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات في سلسلة الاصلاح . والدنيا صائرة الى ذلك لا محالة فهذا التجمع في الأمم ، والتكتل في الأجناس والشعوب ، وتداخل الضعفاء بعضهم في بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة ، وانضمام المفترقين ليجدوا في هذا الانضمام أنس الوحدة ، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التي آمن بها الناس من قبل ، وكان لا بد أن يؤمنوا هذا الايمان لتتجمع الخلايا الأصلية ، ثم كان لا بد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة ، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة . وهي خطوات إن أبطأ بها الزمن فلا بد أن تكون ، وحسبنا أن نتخذ منها هدفاً ، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً ، وأن نقيم في هذا البناء الإنساني لبنته وليس علينا أن يتم البناء ، فلكل أجل كتاب .

وإذا كان في الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التي تستهوي قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم ، فإن هذه الدروس القاسية

التي يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس الى الرشد ويعودوا الى التعاون والاخاء .

ولقد رسم الاسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً ، ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك ؛ وظهر هذا المعنى الساحر النبيل في كل فروعه العملية .

فرب الناس واحد ،ومصدر الدين واحد ، والأنبياء جميعاً مقدسـون معظمـون ، والكتب السماوية كلها من عند الله ، والغاية المنشودة اجتماع القلوب : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ الشورى .

والقرآن عربي وهو أساس هذا الدين ، وركن الصلاة أفضل القربات الى الله ، وتلك هي الوسيلة العملية الى وحدة اللسان بعد وحدة الايمان .

وهذه الصلاة وتلك الزكاة، والحج والصوم، إنما هي كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق الوحدة وجمع الكلمة وإزالة الفوارق وكشف الحجب والموانع بين بني الانسان .

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعاً ، وأن نقطعها جميعاً وأن نصل بعدها الى الغاية .

نرجو ان تقوم في مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الاسلام ، وتجمع كلمة العـرب وتعمل لخيرهم وتحمي المسلمين في أكناف الأرض من عدوان كل ذي عدوان ، وتنشر كلمة الله وتبلغ رسالته . . حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

يقظة الروح ـ: الايمان والعزة والأمل

وينظر الناس في الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية ، ويهملون كثيراً النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التي هي في الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤ ها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤ هـا . وتلك حقيقـة لا يجـادل فيهـا إلا البعيد عن دراسـة الدعوات وتعرف أسرارها ، ان من وراء المظاهر جميعاً في كل دعوة روحاً دافعة ، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها ، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية في النفوس والأرواح والمشاعر : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ الرعد .

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له في دعوتنا ، واهم ما نعول عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة . فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح ، حياة القلوب ، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر ، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح في النواحي العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز في النفوس هذه الفكرة .

نحن نريد نفوساً حية قوية فتية ، قلوباً جديدة خفاقة ، مشاعر غيورة ملتهبة متأججة ، أرواحاً طموحة متطلعة متوثبة، تتخيَّل مُثُلاً عليا ، وأهدافاً سامية لتسموَ نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها ، ولا بد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل ، ولا بد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر ، ولا بد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلا ولا تحتمل شكاً ولا ريباً . وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه في البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه ، فما حدود الأهداف وما منتهاها ؟ !

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الاولى ونحاول ان تكون هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقياً لتلك الدعوة السابقة التي هتف بها رسول الله ﷺ في بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين ، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة ، الزاهي بجلال الوحي ، لنقف بين يدي الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين ، لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد ، وندرس خطوات الدعوة من جديد .

أي نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبي الكريم في قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور ؟ وأي ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير وأورقت بالوجدانيات والمشاعر وترعرعت فيها العواطف والضمائر ؟ !

إن النبي صلى الله عليه وسلم قذف في قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها :

(أ) قذف في قلوبهم أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات ، ونهجه أفضل المناهج ، وشريعته أكمل النظم التي تتحقق بها سعادة الناس اجمعين،وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتا في النفس وتمسكا في القلب : ﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك

وسوف تسألون ﴾ الزخرف ﴿ فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾ النمل ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ الجاثية ﴿ فلا وربك لا يؤ منون حتى يحكّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجاً مما قَضَيْتَ ويُسلموا تسليماً﴾ النساء . فآمنوا بهذا واعتقدوه وصدروا عنه .

(ب) وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط في الظلام ، وما دام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه : يحنو عليه ويرشده ويقوِّمه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل .

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحاً ، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحي السماء : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤ منون بالله ﴾ آل عمران ﴿ وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ﴾ البقرة ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حَرَج ﴾ الحج . فآمنوا بهذا أيضاً واعتقدوه وصدروا عنه .

(ج) وقذف في قلوبهم أنهم ما داموا كذلك مؤ منين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه ، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤ يدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس ، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير ، وهو معهم أينما كانوا . وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزَّل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرأون هذه المعاني واضحة في كتاب الله :

﴿ ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ الأعراف . ﴿ أنَّ الأرضَ يَرِثُها عباديَ الصالحون ﴾ الأنبياء ﴿ ولينصرَنَّ الله من ينصرُه إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ الحج ﴿ كتبَ الله لأغلبنَّ أنا ورسلي ﴾ المجادلة ﴿ والله غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يوسف ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا﴾ الانفال ﴿ وكانَ حقاً علينا نصرُ المؤ منين ﴾ الروم ﴿ ونُريدُ أن نمنَّ على الذين استُضْعِفوا في الأرض ﴾ القصص .

قرأوا هذا وفقهوه جيداً فآمنوا به واعتقدوه وصدَروا عنه .

وبهذه المشاعر الثلاثة : الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل في تأييدالله

إياها ، أحياها الراعي الأول صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله ، وحدد لهم أهدافهم في هذه الحياة ، فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة في صدورهم أو مصاحفهم ، بادية في أخلاقهم وأعمالهم معتدين بتكريم الله إياهم واثقين بنصره وتأييده ، فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنيةَ المبادىء الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة ، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولاً

أيها الناس . قبل أن نتحدث إليكم في هذه الدعوة عن الصلاة والصوم وعن القضاء والحكم وعن العادات والعبادات وعن النظم والمعاملات ، نتحدث إليكم عن القلب الحي والروح الحي والنفس الشاعرة والوجدان اليقظ والإيمان العميق بهذه الأركان الثلاثة : الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل في تأييد الله إياها ، فهل أنتم مؤمنون ؟ .

الفرد المسلم ، البيت المسلم ، الأمة المسلمة

وهذا الشعور القوي الذي يجب أن تفيض به النفوس ، وهذه اليقظة الروحية التي ندعو الناس إليها لا بد أن يكون لها أثرها العملي في حياتهم ! ولا بد أن تسبقها ولا شك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات .

(أ) ستعمل هذه اليقظة عملها في الفرد فإذا به نموذج قائم لما يريده الإسلام في الأفراد . . . إن الإسلام يريد في الفرد وجدانا شاعراً يتذوق الجمال والقبح ، وإدراكاً صحيحاً يتصور الصواب والخطأ ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق ، وجسما سليما يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير .

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التي توصل إلى هذه النتائج كلها ، ففي العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله ، ويربي الوجدان الشاعر والإحساس الدقيق ، وفي النظر الإسلامي ما يرقى بالعقول والألباب ويدفعها الى كشف ستائر الكون ومعرفة دقائق الوجود .

وفي الخُلق الإسلامي ما يربي الإرادة الحازمة والعزيمة الماضية الصارمة ، وفي النظام الإسلامي في الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شؤون الحياة ما لو اتبعه الفرد لحفظ جسمه من مهلكات لا دواء لها ، ولظل في وقاية من فواتك الأمراض .

ولهذا نوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه ، وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه ، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته ، وأن يلتزم نظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام . والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء ولكن الصنفين في هذه الناحية الفردية في الإسلام سواء ، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم في دقة وجدانها وسمّو إدراكها ومكانة خلقها وسلامة بدنها .

(ب) وسيكون لهذا الإصلاح الفردي أثره في الأسرة ، ذلك أن الأسرة مجموعة أفراد ، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة - وهما عماد الأسرة - استطاعا أن يكوِّنا بيتا نموذجياً وفق القواعد التي وضعها الإسلام ، وقد وضع الإسلامُ قواعد البيت فأحكم وضعها ، فأرشد إلى حسن الاختيار ، وبين أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات ، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال ، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج ، واختط في كل نظراته طريقاً وسطاً لا تفريط فيه ولا إفراط .

(ج) وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة مكبَّرة ، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الأجتماعية السعيدة ، فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان ، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار ، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج ، وحدد الحقوق والواجبات والصلات ، فللأبوَّة حقها وعليها واجبها ، وللبنوَّة مثال ذلك ، ولذوي القربى حقوقهم وعليهم واجباتهم ، وفصل مهمة الحاكم والمحكوم أدقَ تفصيل ، وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان ، ولم يجعل لأحد على أحد فضلا إلا بالتقوى فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد ، ولكن الناس في ذات الله سواسية كأسنان المشط ، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات ، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض ، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته ، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات . فالوقاية مما يؤدي إليها أولا ، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانياً. فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء ، والدواء الأول في كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعي بين بني الانسان .

والإسلام يحيط بكل ذلك لا يسلك سبيل العنت ، ولا يحمل الناس على ما يؤدي إلى الحرج ولكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر ، ويضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات الجزئية ويرسم طرائق التطبيق ، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها . وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان ، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين ويتحقق قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وإذا قوي الشعور الذي أشرنا اليه آنفاً ، وأدى إلى نتيجته التي وضعناها الآن ، فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة ، ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان ، فقد نجحت فكرتنا واستجيبت دعوتنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية

نحن نريد الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والشعب المسلم ، ولكنا نريد قبل ذلك ان تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الإسلام ، وبدون ذلك لن نصل إلى شيء ، نريد أن نفكر تفكيراً استقلالياً يعتمد على أساس الإسلام الحنيف لا على أساس الفكرة التقليدية التي جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء ، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد .

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية ، تغلغلت في الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب ؛ واندمجت مصر بكليتها في الإسلام بكليته : عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين ، وجاهدت في سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها ، وأنقذته من براثن التتار وأنياب الصليبيين ، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين ، وأستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه ، واحتوت الأزهر أقدم جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته ، وانتهت اليها زعامة شعوبه الادبية والاجتماعية ، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم .

هذا الإسلام ، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته ، ميراث عزيز غال على مصر ليس

تفريطها فيه بالشيء الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بذلت في سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة . ومن هنا بدت مظاهر الاسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة في كثير من جوانب الحياة المصرية : فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية ، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء ، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام . كل ذلك حق ، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قوياً عنيفاً بالعلم والمال ، وبالسياسة والترف ، والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التي لم نكن نعرفها من قبل . فأعجبنا بها ، وركنا إليها ، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية في كثير من شؤونها الهامة ، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية ، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحاريب ، وفصلنا عنه شؤون الحياة العملية ، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة او متناقضة .

الإسلام بما فيه من روعة وجلال ، وبسلطانه الساحر العذب الجذاب ، وأصوله الثابتة المدعمة القويمة ، وحجته البالغة يجذب إليه القلوب والمشاعر ، ويجعلنا نحن المؤمنين به في حنين دائم اليه . وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقي لنا من شؤوننا الحيوية . هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل من يعنيه أمر هذه الأمة ، ولا بد أن ينتهي هذا التذبذب إلى استقرار ولا بد أن يتغلب أحد الجانبين على الآخر فلكل شيء نهاية ! . فنحن الإخوان المسلمين نشفق كل الإشفاق من أن تكون هذه النهاية هي التحلل مما بقي من مظاهر الإسلام والانغماس الكلي في الحياة الغربية بكل مظاهرها ، ولقد ارتفعت بذلك صيحات وقامت على قواعده دعوات ، وسبقتنا اليه شعوب وحكومات ، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسي العالم كله من محن وويلات .

نحن نشفق من هذا المصير ، وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده ، تعتمد عليها وتستمد منها وتبني على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية في المستقبل إن شاء الله .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، ولا يمنع في أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان ، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه وفق

قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا .

أما أثر هذا التذبذب في مظاهر حياتنا العملية فكبير واضح ، ولعله مصدر كثير من المشكلات في التعليم والقضاء ، وفي حياة الأسرة وفي منابع الثقافة العامة وفي غير ذلك من الشؤ ون العامة ، هل هناك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أول خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية ، فهناك التعليم الديني يتصل بنصف الأمة وينتهي إلى الأزهر ومعاهده وكلياته ، وهناك التعليم المدني يتصل بالنصف الثاني ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته ؟ وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هي أثر الاسلام الباقي في نفوس هذه الأمة وأن السلسلة الثانية هي نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه ، فما الذي يمنع من توحيد التعليم في مراحله الأولى على أساس التربية القومية الاسلامية ثم يكون بعد ذلك التخصص ؟ وهل هناك أمة غير مصر ينقسم فيها القضاء الى شرعي وغير شرعي كما ينقسم القضاء المصري وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول أثر الاسلام في الحياة المصرية والثاني وليد النقل عن الغرب والأخذ عنه ، وما الذي يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الاسلامية هي شريعة البلاد ومصدر التقنين ؟

وهذه البيوت المصرية ، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذبة المتناقضة ، فكثير من الأسر المصرية لا تزال شديدة المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه في الوقت الذي انسلخ فيه الكثير عن هذه التعاليم وخرج على هذه الآداب وغلبت عليه نزعة التقليد في كل شيء بل جاوز بعضنا ذلك الحد حتى صار غربياً اكثر من الغربيين .

ولا بد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الموحدة ، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حياة الكمال .»

لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذي تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية في الأمة على اساس الإسلام وقواعده وبذلك تبني مصر نفسها ، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة .

وسيلتنا العامة . . . بين جماعة وفكرة

الكلام عن الوسيلة العامة للاخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التي تقوم بالخدمة العامة ، ثم يقف بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب التي ترسم لها منهاجاً جديداً تؤ من به وتسير عليه .

(أ) لا شك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعمارتها ، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها ، ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمتها ، ومن الاصلاح بين الناس في القرى والبلدان إصلاحاً يوفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال ، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الاحسان وجمع الصدقات لتوزع في المواسم والأعياد ، لا شك أن الاخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه والحمد لله أثر يذكر ، وقد تضاعف نشاطهم في هذه النواحي مضاعفة ملموسة في هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها ، ووسيلة الإخوان في هذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأي والخبرة ، وتدبير ما تحتاج اليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين بها ومن المتبرعين أخرى الى ما يدفع لمثل هذه المشروعات ، ولسنا نقول إن الإخوان قد اكتملت جهودهم في هذه الناحية ولكنا نقول إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال . والله الموفق والمستعان . هؤلاء هم الإخوان وتلك هي دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة .

(ب) ولكن الاخوان كما علمت ليسوا كذلك فحسب ، ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها في نفوس الناس ليتربى عليها الرأي العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح : تلك هي العمل للاسلام والعمل به في كل نواحي الحياة .

أما الوسيلة الى تحقيق ذلك فليست المال ، والتاريخ منذ عرف الى الآن يحدثنا أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال ، فهي تحتاج الى مال في بعض مراحل طريقها ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها ، فرجال الدعوات وأنصارها هم دائما المقلون من هذا المال وسل التاريخ ينبئك، وليست الوسيلة القوة كذلك فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولا وتناجي القلوب وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا أو ان تصل اليها على شبا الأسنة والسهام ، ولكن الوسيلة في تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات ، وخلاصة ذلك جملتان : إيمان وعمل ومحبة وإخاء . ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركيز دعوته في نفوس الرعيل الأول من أصحابه اكثر من أنه دعاهم الى الإيمان والعمل ، ثم جمع قلوبهم على الحب والاخاء ، فاجتمعت قوة العقيدة الى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لا بد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً ، وماذا فعل

الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا ؟ ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس اليها فيؤمنون بها ويعملون لتحقيقها ويجتمعون عليها ويزدادون عدداً فتزداد الفكرة بهم ظهوراً حتى تبلغ مداها وتبتلع ما سواها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وليست دعوة الاخوان بدعاً في الدعوات فهي صدى من الدعوة الأولى يدوي في قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم ، ويحاولون ان يقذفوا به إيماناً في قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً في تصرفاتها ولتجمع قلوبها عليه ، فإذا فعلوا ذلك أيدهم الله ونصرهم وهداهم سواء السبيل . . فإلى الايمان والعمل والى الحب والإخاء أيها الاخوان والله معكم وتلك هي وسيلتكم والله غالب على أمره .

بين الأمس واليوم

تقديم

أصدر الاخوان المسلمون رسائل تشرح دعوتهم ، وتبين فكرتهم ، وترسم منهاجهم ، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها ، وبينت حقيقتها وأهدافها .

وبين يدي القارىء الرسالة الأولى « بين الأمس واليوم » عن تطورات الفكرة الاسلامية وأهدافها ، وقد وضعت في فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية ، وتداولها الاخوان منذ ذلك الحين ، وفيها عرض طيب لمبادىء الاسلام ووسائل الاصلاح التي رسمها ودعا الى الأخذ بها ، ونبذة عن الدولة الاسلامية في مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً والرسول ﷺ قدوةً وزعيماً ، كما أن فيها تحليلاً دقيقاً للعوامل التي أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالهم . ويرى القارىء في ختام الرسالة كلمات توجيهية سديدة ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يفتح قلوب المسلمين وعقولهم للعمل بهدى الدين الحنيف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

١ ـ رسالة النبي الأمين

منذ ألف وثلثمائة سنة وسبعين عاما نادى محمد بن عبد الله النبي الأمي في بطن مكة وعلى رأس الصفا : ﴿يأيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعاً الذي له ملكُ السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسولهِ النبيِّ الأميِّ الذي يؤمن بالله وكلماتِه واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ الأعراف . فكانت تلك الدعوة الجامعة حداً فاصلا في الكون كله ، بين ماضٍ مظلم ، ومستقبل باهر مشرق ، وحاضر زاخر سعيد ، وإعلاناً واضحاً مبيناً لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير ، وكتابه القرآن الواضح المنير ، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وليس من وضع الناس ، ولكنه صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ﴿ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نَشاء من عبادنا وإنك لَتهدي الى صراطٍ مستقيم ، صراطِ اللهِ الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا الى الله تصيرُ الأمور﴾ الشورى .

٢ ـ منهاج القرآن الكريم في الاصلاح الاجتماعي

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعي الشامل ، وقد أخذ يتنزل على النبي ﷺ ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات ﴿كذلك لنُثبِّتَ به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ الفرقان . حتى اكتمل به الوحي وحفظ في الصدور والسطور في مدى اثنتين وعشرين سنة ونيفاً ، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شيء . وأصول الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به تكاد تنحصر في هذه الأصول :

(أ) الربانية .
(ب) التسامي بالنفس الإنسانية .
(ج) تقرير عقيدة الجزاء .
(د) إعلان الأخوة بين الناس .
(هـ) النهوض بالرجل والمرأة جميعاً ، وإعلان التكافل والمساواة بينهما ، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً .
(و) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب .
(ز) ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج .
(ح) الشدة في محاربة الجرائم الاصلية .
(ط) تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .
(ي) إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادىء الحق التي جاء بها هذا النظام .
(ك) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ، ومسؤ ولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص ، وإبلاغها الى الناس جميعاً .

٣ ـ الشعائر العملية لهذا النظام

وقد خالف هذا النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس ، ولا آراء في الكتب ، ولا كلمات على الأفواه والشفاه ؛ ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية ، وألزم الأمة التي تؤ من به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل في تضييعها هوادة ، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الاسلامي وتطوّح به الى مكان سحيق . وأهم هذه الفرائض التي جعلها هذا النظام سياجاً لتركيز مبادئه هي :

(أ) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار . . الخ .
(ب) الصيام والعفة والتحذير من الترف .

(ج) الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير .
(د) الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر في ملكوت الله .
(هـ) الكسب والعمل وتحريم السؤال .
(و) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم .
(ز) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .
(ح) النهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .
(ط) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به .
(ي) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة .
(ك) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس .
(ل) التضامن الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معاً .

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات ، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآني ، وعليه ألا يقصر في شيء منها ، وقد ورد ذكرها جميعاً في القرآن الكريم ، وبينتها بياناً شافياً أعمال النبي ﷺ وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان في بساطة ووضوح ، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوي وتركز مبدأ أو عدة مبادىء من النظريات السابقة التي جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها .

٤ ـ الدولة الاسلامية الأولى

على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الاسلامية الاولى تؤمن به إيماناً عميقاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً وتنشره في العالمين ، حتى كان الخليفة الأول رضي الله عنه يقول : « لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله » وحتى إنه ليقاتل مانعي الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول : « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي »

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة . فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن ، والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة في العاصمة ، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الاسلامية فكرة

لا مركزية في الجيوش ، وفي بيوت المال ، وفي تصرفات الولاة ، إذ ان الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد .

ولقد طاردت هذه المبادىء القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها ، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطاق ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاءً تاماً ، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا وانحازت الى أوربا في ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية ، وتركز بذلك السلطان الروحي والسياسي بالدولة الاسلامية في القارتين العظيمتين ، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار ، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة الى قلب فرنسا والى شمال وجنوب إيطاليا ، وتقيم في غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان ، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوربا ، وتمخر الأساطيل الاسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية ، وتقبض قوات الدولة الاسلامية بذلك على مفاتيح البحار في الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية .

وقد اتصلت هذه الأمم الاسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات ، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً ، فعربتها أو كادت ، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال ، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير ان يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية .

٥ ـ عوامل التحلل في كيان الدولة الاسلامية

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية ، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئاً فشيئاً حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الاسلامية المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار وفي القرن الرابع عشر الهجري مرةثانية،وتركت وراءها في كلتا المرتين أمماً مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق الي الوحدة وتتوثب للنهوض .

وكان أهم هذه العوامل

(أ) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه ، مع التحذير الشديد الذي جاء به الاسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة ولفت النظر الى هذه الناحية التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول : ﴿ولا تنازَعوا فتفْشلوا وتَذْهَبَ ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ الأنفال . ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده في القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة .

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال الى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة ، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال ، والولع بالجدل والمناظرات والمراء ، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي ، حتى قال رسول الله ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » .

(ج) الانغماس في ألوان الترف والنعيم ، والإقبال على المتعة والشهوات ، حتى أثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم ، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : ﴿وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمَرْنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القوْل فدمرناها تدميراً﴾ الاسراء

(د) انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والاتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الاسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه ، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانَةً من دونِكم لا يألونكم خبَالاً ، ودّوا ما عنتُّم قد بَدَتْ البغضاءُ من أفواههم وما تُخفي صدورُهم أكبر ، قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ آل عمران

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الاوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة ، مع أن الاسلام يحثهم على النظر في الكون واكتناه أسرار الخلق والسير في الارض ، ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله : ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والارض﴾ يونس

(و) غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور

الاجتماعي للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة ، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ الأعراف .

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم ، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع ، مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الاسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم : ﴿يأيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتابَ يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ آل عمران . وقال في آية أخرى : ﴿يأيها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنْقَلبوا خاسرين﴾ آل عمران .

٦ ـ صراع سياسي

(أ) محاولات القضاء على الأمة الاسلامية : أخذت هذه العوامل تعمل في كيان الدولة الاسلامية والأمة الاسلامية عملها ، وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضي على هذه الدولة الاسلامية التي فتحت بلادها من قبل ، وغيرت معالم أوضاعها في كل شؤون الحياة . فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الاسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءاً جزءاً حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، ووطئوها بنعالهم في شخص الخليفة المستعصم ، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمم الى دويلات صغيرة ، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر . وتنبهت المسيحية في أوربا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم في آسيا وأفريقيا بكتائبها في تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد . وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية في بيت المقدس وتهديد أمم الاسلام في الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك .

(ب) انتصارات متتالية : ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق ، فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم في نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين ، فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة في

حطين ، ثم تقف في وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين في عين حالوت ، ثم تعيد رسم الخلافة من جديد ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للاسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس ، تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه ، ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية في عقر دارها ، فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها في قلب أوربا حتى يصل إلى فيينا ، تلك هي دولة الأتراك العثمانية .

(ج) بواكير النهضة في أوربا : اطمأنت الدولة الاسلامية تحت لواءالعثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه ، وغفلت عن كل ما يدور حولها . ولكن أوربا التي اتصلت بأضواء الاسلام غربا بالأندلس وشرقاً بالحملات الصليبية ، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة في بلاد الغال ، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الاسلامي الغربي ، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمي الأندلس ، وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية فقامت مقامهم الدولة الاسبانيولية الفتية ، وما زالت أوربا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم ، وتجوب البلاد وتكتشف الأقطار ، حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال اسبانيا وكشف طريق الهند عملا من أعمال البرتغال ، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكوني والمعرفة المنتجة المثمرة . وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق هذه الدولة الاسلامية التي قاسمتها أوربا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا .وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافاً رقت بها الى درجة القداسة في كثير من الأحيان

(د) هجوم جديد . وامتدت الأيدي الأوربية ، بحكم الكشف والضرب في الأرض والرحلة الى أقصى آفاقهاالبعيدة ، الى كثير من بلدان الاسلام النائية كالهند وبعض الولايات الاسلامية المجاورة لها . وأخذت تعمل في جد للوصول إلى تمزيق دولة الاسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحياناً بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض ، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية ، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقص بعض أطرافها أو تهد جانباً من كيانها ، واستمرت هذه المهاجمة أمداً طويلا انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الاسلامية ، وقعت تحت السلطان الأوربي كالمغرب الأقصى وشمال أوربا واستقل فيه كثير

من البلاد غير الاسلامية التي كانت تحت سلطان العثمانيين كاليونان ودول البلقان . وكان الدور الختامي في هذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م الذي انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوربا (انجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا) فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الاسلام وشعوبه ، وبسطت سلطانها عليها بأسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو :

١ ـ أفريقيا الشمالية (مراكش والجزائر وتونس) مستعمرات فرنسية ، تتخللها منطقة نفوذ دولية في طنجة ، ومستعمرة اسبانية في الريف .

٢ ـ طرابلس وبرقة مستعمرة إيطالية لم تشأ إيطاليا أن تبقي على شيء من آثار الاسلام فيها ، ففرضت عليها التجنس بالجنسية الايطالية وأسمتها ايطاليا الجنوبية ، وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر .

٣ ـ مصر والسودان تحت الحماية الانجليزية لا تملك إحداهما لنفسها من أمرها شيئاً .

٤ ـ فلسطين مستعمرة انجليزية أباحت انجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود ليُنشئوا فيها الوطن القومي الصهيوني .

٥ ـ سوريا مستعمرة فرنسية .

٦ ـ العراق مستعمرة انجليزية .

٧ ـ الحجاز حكومة ضعيفة متداعية تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة .

٨ ـ اليمن حكومة منزوية وشعب فقير مهدد بالغزو في كل مكان في أي وقت من الأوقات .

٩ ـ بقية أقسام الجزيرة العربية إمارات صغيرة يعيش أمراؤها في كنف القناصل الانجليزية ويقاتلون بفتات موائدهم وتشتعل صدورهم بنيران التحاقد والتباغض ، هذا مع الوعود المؤكدة والمواثيق الغليظة التي قطعها الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية .

١٠ ـ إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان فهي تحت كنف هذه الأمة تارة وإلى جانب تلك تارة أخرى .

١١ ـ الهند مستعمرة انجليزية .

١٢ ـ تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب . وفيما عدا ذلك فهناك الأقليات الاسلامية المنثورة في كثير من البلدان لا تعرف دولة تلجأ إلى حمايتها ، أو حكومة مسلحة تحتمي بجنسيتها كالمسلمين في الحبشة والصين والبلقان وبلاد أفريقية الوسطى والجنوبية الشرقية والغربية . وبهذا الوضع انتصرت أوربا في هذا الصراع السياسي وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الاسلامية والذهاب بدولة الاسلام ، وحذفها سياسياً من قائمة الدول الحية العظيمة .

(هـ) إلى القوة من جديد : ولكن هذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس ، فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها ، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى ، فثارت تركيا ، وثارت مصر ، وثارت العراق وسوريا ، وتكررت الثورات في فلسطين والريف في بلاد المغرب ، وعمت اليقظة النفوس في كل مكان ، ووصلت شعوب الاسلام بذلك إلى بعض الحقوق ، فاستقلت تركيا في حدودها الجديدة ، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين ، وقامت في الحجاز ونجد دولة السعوديين ، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة ، وقاربت سورية أن تسلب الاعتراف باستقلالها (١) ، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها ، وخطا المسلمون ولا شك خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التي قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم . ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومي الخاص وطالبت كل أمة بحقها في الحرية كأمة مستقلة ، وتعمَّد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة فإن مصير هذه الخطوات سيكون ، ولا شك ، التجمع وعودة الأمة الاسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الاسلامي وترفع راية الاسلام وتحمل دعوته ، فليس في الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك في المصالح المادية والروحية والتشابه في الآلام والآمال .

---

(١) نالت سوريا بعد ذلك حريتها ، واعترفت الدول باستقلالها وجلا الفرنسيون عن ديارها ، وكذلك استقلت سائر الدول العربية .

(و) حرب جديدة : ولقد خرجت الدول الأوربية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة في صدور الكثير منها ، وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل مؤلمة لكثير منها ، هذا الى ظهور كثير من الفكر الجديدة ، والمبادىء المتعصبة الشديدة التعصب ؛ ولا بد أن تنتهي هذه الحال بهذه الأمم الى خلاف جديد وحرب طاحنة ضروس تبدد شملهم وتمزق وحدتهم وتعيدهم الى رشدهم وتردهم عن ظلمهم ، وتهب لأمم الاسلام فرصة أخرى تسوي فيها صفوفها وتجمع شملها وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين : ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ القصص .

٧ ـ صراع إجتماعي

حضارة جديدة : إن الأمم الأروبية التي اتصلت بالإسلام وشعوبه في الشرق بالحروب الصليبية ، وفي الغرب بمجاورة عرب الأندلس وخالطتهم ، ولم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوي أو التجمع والتوحد السياسي ، ولكنها أفادت الى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علوماً ومعارف جمة ، وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق ، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغريبة بكل ما أوتيت من قوة ، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب ، وتعتدي عليهم محاكم التفتيش وتثير ضدهم الدول والشعوب ، ولكن ذلك كله لم يجدها نفعاً ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه ؛ وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدولة بذلك ، فصارعت الكنيسة هي الأخرى حتى صرعتها . وتخلص بذلك المجتمع الأوروبي تخلصاً تاماً من سلطانها وطارد رجالها الى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة في الفاتيكان ، وحصر عمل رجال الدين في نطاق ضيق من شؤون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون الى سواه ، ولم تبق أوربا على المسيحية إلا كتراث تاريخي ، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب ، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية .

وامتد أمام الاوربيين رواق العلم وانفسح مجال الاختراع والكشف ، وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية ، وسار ذلك جنباً الى جنب مع نشأة الدولة

القوية وامتداد سلطانها الى كثير من البلاد والأقطار ، أقبلت الدنيا على هذه الأمم الاوربية وجبيت إليها ثمرات كل شيء ، وتدفقت عليها الاموال من كل مكان ، فكان طبيعياً بعد ذلك ان تقوم الحياة الأوربية والحضارة الاوربية على قاعدة إقصاء الدين عن مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة ، وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس في كل شيء . . .وتبعاً لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية ، وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التي قررها الاسلام الحنيف وجعلها أساساً لحضارته التي جمعت بين الروحانية والمادية جميعاً ، ومن أهم الظواهر التي لازمت المدنية الأوربية :

١ ـ الإلحاد والشك في الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروي والوقوف عند حدود الكون المادي المحسوس : ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ الروم .

٢ ـ الإباحية والتهافت على اللذة والتفنن في الاستمتاع وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها،وإشباع شهوتي البطن والفرج ، وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن والمغريات ، والإغراق في الموبقات إغراقاً يحطم الجسوم والعقول ويقضي على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت : ﴿والذين كفروا يتمتَّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مثوىً لهم﴾ محمد .

٣ ـ الأثرة في الأفراد ، فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه . وفي الطبقات ، فكل طبقة تتعالى عمن سواها وتود ان تحظى بالمغانم دونها . وفي الشعوب ، فكل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هي أضعف منها .

٤ ـ الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل ، والتفنن في صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد .

وقد أنتجت هذه المظاهر المادية البحتة في المجتمع الأروبي فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخي في محاربة الجرائم ، فكثرت المشكلات وظهرت المبادىء الهدامة واشتعلت الثورات المخربة المدمرة ، واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال ، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد . وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنساني وإقرار الطمأنينة والسلام فيه وفشلت في إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم

والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما مكنت لدولها في الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان .

٨ ـ طغيان المادة على بلاد الاسلام

وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية ، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة ، جميع البلاد الاسلامية التي امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم ، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة.وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعي إحكاماً شديداً واستعانوا بدهائهم السياسي وسلطانهم العسكري حتى تم لهم ما أرادوا . أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونوه عليهم ، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادي وأن يغرقوا البلاد برؤوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم ، وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادي كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة ، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة في أقوى بلاد الاسلام .

وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالاتهم وعبثهم ومجونهم ، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه في ديارهم . وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة ، التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور ، في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوي الرأي فيهم وأهل المكانة والسلطان . ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الاسلام تقذف في نفوس أبنائه الشك والإلحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربي ، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة . واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفاً عليها ، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الامور في هذه الأمم والشعوب . ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد

الموضعية فإن في البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام . ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح ، فهو غزو محبب الى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوي الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف .

وتغالت بعض الأمم الاسلامية في الإعجاب بهذه الحضارة الأوربية والتبرم بصبغتها الاسلامية ، حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير إسلامية وتبعت الأوربيين بعنف قاس في كل ما يصنعون . وحاول ذلك أمان الله خان ملك الافغان فطاحت تلك المحاولة بعرشه ، وازدادت في مصر مظاهرهذا التقليدواستفحلت حتى استطاع رجل من ذوي الرأي فيها أن يجهر بأنه لا سبيل الى الترقي إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب . وأخذت تنتقل في سرعة وقوة من مصر الى ما جاورها من البلاد حتى وصلت إلى أقصى المغرب وطوفت بالمشاعر المقدسة في ربوع الحجاز . ونستطيع أن نقسم البلاد الاسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها الى ثلاثة أقسام :

١ ـ بلاد بلغ هذا التأثر مبلغاً عظيماً يصل الى القلوب والمشاعر ، كما غير الأوضاع والمظاهر ، ومن هذه البلاد تركيا ومصر ، فقد انحسر ظل الفكرة الإسلامية في هذه البلاد عن كل الأوضاع الاجتماعية وطوردت الفكرة الاسلامية لتقبع في المساجد والزوايا والربط والتكايا .

٢ ـ بلاد تأثرت بهذه الحضارة في أوضاعها ومظاهرها الرسمية ، ولكنها لم تتغلب فيها على المشاعر القلبية كإيران وبلاد المغرب وشمال أفريقيا .

٣ ـ بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسوريا والعراق والحجاز وكثير من أجزاء الجزيرة العربية وبقية ممالك الاسلام .

ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل الى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع . ولقد استطاع خصوم الاسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعين الغُير منهم ، بتصوير الاسلام نفسه تصويراً قاصراً في ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق الى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء ، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا اليه ورضوا به ، وطال عليهم في ذلك الأمد حتى صار من

العسير أن نفهم أحدهم أن الاسلام نظام اجتماعي كامل يتناول كل شؤون الحياة

ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الاسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معاً في أرض الاسلام نفسه ، وفي حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم ، كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري ، ولا عجب في هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعاً ، والضعف ضعف فيها جميعاً كذلك : ﴿وتلك الأيام نُداولها بين الناس﴾ وإن كانت مبادىء الاسلام وتعاليمه ظلت قوية في ذاتها فياضة بالخصب والحياة جذابة أخاذة بروعتها وجمالها ، وستظل كذلك لانها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها ولأنها من صنع الله وفي حياطته : ﴿إنا نحن نزّلنا الذكرَ وإنا له لحافظون﴾ الحجر ﴿ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نورَهُ ولو كره الكافرون﴾ التوبة .

يقظة وكما كان لذلك العدوان السياسي أثره في تنبيه المشاعر القومية ، كان لهذا الطغيان الاجتماعي أثره كذلك في انتعاش الفكرة الإسلامية ، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع الى الاسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه . ولا بد أن يأتي قريباً ذلك اليوم الذي تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها ، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحي تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا في تعاليم هذا الكتاب الكريم ﴿يأيها الناسُ قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرَحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾ يونس

٩ - دعوتنا دعـوة البعث والانقاذ

(أ) تركة مثقلة . وهكذا أيها الاخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات ، وأن يشرق نور دعوتكم في ثنايا هذه الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد ﴿ولينصرنَّ اللهُ من ينصرُه إن الله لقويٌّ عزيزٌ﴾ .

(ب) اهدافنا العامة ماذا نريد أيها الاخوان ؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟ أم سعة الجاه وهو عرض حائل ؟ أم نريد الجبروت في الأرض ﴿إن الأرضَ لله يورثُها من

يشاءُ من عباده﴾ الأعراف . ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿تلك الدارُ الآخرة نجعلُها للذين لا يُريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين﴾ القصص . شهد الله أننا لا نريد شيئاً من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا ، ولكن اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين :

١ ـ أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان ، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

٢ ـ أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الاسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس ، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسؤولون بين يدي الله العلي الكبير عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها . ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادىء الظالمة وتنادي بالدعوات الغاشمة ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام .

نريد تحقيق هذين الهدفين في وادي النيل وفي بلاد العروبة وفي كل أرض أسعدها الله بعقيدة الاسلام : دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين .

(ج) أهدافنا الخاصة : ولنا بعد هذين الهدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلامياً كاملاً إلا بتحقيقها . فاذكروا أيها الاخوان أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان ، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس ، وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التي لا يعلم نتيجتها إلا الله ، وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة في جميع أنحاء البلاد ، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها في أيدي الأجانب المرابين ، وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدي الوطنيين الى أيدي هؤلاء ، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضاً وأوبئة وعاهات ، وان أكثر من ٩٠٪ من الشعب المصري مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والامراض ، وأن مصر لا زالت الى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها الى الخمس بما في ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الالزام ، وأن الجرائم تتضاعف في مصر وتتكاثر بدرجة هائلة حتى أن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس ، وأن مصر لم تستطع الى الآن أن تجهز فرقة واحدة في الجيش كاملة المعدات ، وأن هذه المعاني والصور تتراءى في كل بلد من بلدان العالم الاسلامي ، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم

ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجي يستحق أن ينتسب الى شريعة الاسلام

(د) وسائلنا العامة : كيف نصل الى هذه الأهداف ؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدي نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين الى هدف من الأهداف ؛ ولكن للدعوات وسائل لا بد من الأخذ بها والعمل لها . والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة

١ ـ الايمان العميق

٢ ـ التكوين الدقيق

٣ ـ العمل المتواصل وتلك هي وسائلكم العامة أيها الإخوان فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها

هـ) وسائل اضافية : وقد تكون الى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها ، منها السلبي ومنها الإيجابي ، ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة ، ولا بد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والاعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها ، وليست الدعوة في حقيقة أمرها إلا خروجاً على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع . فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الاخوان ؟

(و) تثبيط وسيقول كثير من الناس : وماذا تعني هذه الوسائل ؟ وما عساها أن تنفع في بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة ؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا ؟ وكيف تصنعون في قضية المرأة ؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة ؟ فاعلموا أيها الاخوان أن وساوس الشيطان يلقيها في أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم واذكروا لهؤلاء جميعاً أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة والأمة التي تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت

(ز) العقبات في طريقنا احب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير

من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومه شديدة وعداوة قاسية ، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات ، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات . أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد . سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة في طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان . وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات ، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة ، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة ، معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، ومعتدّين بأموالهم ونفوذهم : ﴿ يُريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتم نوره ولو كرهَ الكافرون﴾التوبة . وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون ، وتنقلون وتشردون ، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان : ﴿أحسب الناس أن يُتركوا أن يَقولوا آمنَّا وهم لا يُفتنون﴾العنكبوت . ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدُلُّكم على تجارة تُنْجيكم من عذاب أليم . . . فأيدنا الذين آمنوا على عَدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾فل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟

(ح) عوامل النجاح : ومن الحق أيها الأخوان أن نذكر امام هذه العقبات جميعاً أننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات ، وننادي بفكرة الاسلام وهي أقوى الفكر ، ونقدم للناسَ شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع : ﴿صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة﴾ وأن العالم كله في حاجة الى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيء سبيلها ، وأننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية ، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته ، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له : ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ محمد . فقوة دعوتنا وحاجة

إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يوسف .

١٠ - وصيّة

أيها الاخوان المسلمون ، اسمعوا :

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بيني وبينكم إلى حين ؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها ، وإن تحت كل كلمة لمعاني جمة .

أيها الاخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد . ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول ﷺ. ومن الحق الذي لا غلوَّ فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس .

إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لكم هذه سياسة ! فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الاقسام .

وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة . فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله ان ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين . وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : ﴿آمنا بالله وحدَه وكفرنا بما كنتم به مشركين﴾ فإن لجّوا في عُدوانهم فقولوا : ﴿سلامٌ عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ .

واجبات

أيها الاخوان :

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه ،فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه . وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه .

وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات . وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الاتقياء الصالحين .

وأقبلوا على القرآن تتدارسونه ، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها ، وكونوا عمليين لا جدليين ؛ فاذا هدى الله قوما ألهمهم العمل ؛ وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل .

وتحابوا فيما بينكم ، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم ، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين .

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره ، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم .

وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده . والفرصة آتية لا ريب فيها ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصرُ من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ الروم .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين ، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء وأماتنا موت المجاهدين والشهداء إنه نعم المولى ونعم النصير .

رسالة المؤتمر الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

في عشر سنوات

١٣٤٧ - ١٣٥٧ الهجرية

خلاصة الخطاب الجامع الذي ألقاه فضيلة الأستاذ المرشد العام في المؤتمر الدوري الخامس

- غاية الاخوان وخصائص دعوتهم
- وسائل الاخوان وخطوات منهاجهم
- موقف الاخوان من الهيئات المختلفة

غاية الأخوان وخصائص دعوتهم

أيها الاخوان :

كنت أود أن نظل دائماً نعمل ولا نتكلم ، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الأخوان وخطوات الاخوان ، وكنت أحب أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابقة في هدوء وسكون ومن غير هذا الفاصل الذي نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية .

ولكنكم أردتم هذا ، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكراً لكم ، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا ، ونراجع فهرس أعمالنا ، ونستوثق من مراحل طريقنا ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة ، وتصحح النظرة الخاطئة ، وتعلم الخطوة المجهولة ، وتتم الحلقة المفقودة ، ويعرف الناس الاخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم ، من غير لبس ولا غموض .

لا بأس بهذا ، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان ، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه ، وننزل على الحق من مشورته ؛ فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

أيها الاخوان :

أجدني في غنى عن تحيتكم وشكركم ، وعن وصف ما يغمرني من السعادة بموقفي هذا بينكم ، ومن السرور والفرح بلقائكم ومن الأمل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم .

أجدني في غنى عن بيان هذا كله بهذا الفيض من العواطف النبيلة الذي يغمر جو هذا الاجتماع ، فكان كل ما فيه ينطق بالحب العميق والارتباط الوثيق والأخوة الصادقة والتعاون المكين ، وفقكم الله لخير ما يحب ويرضى . ،

الاخوان فكرة في نفوس اربعة

أيها الاخوان الكرام :

طالعت كثيراً وجربت كثيراً وخالطت أوساطاً كثيرة وشهدت حوادث عدة ، فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل هي أن : السعادة التي ينشدها الناس جميعاً إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم ، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبداً ، وأن الشقاء الذي يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك ، وإن القرآن يؤ يد هذا المعنى ويوضحه ذلك قول الله تعالى : ﴿إن الله لا يُغيرٌ ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم﴾ الرعد . وما رأيت كلاماً أعمق في فلسفة الاجتماع من قول ذلك الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

اعتقدت هذا واعتقدت الى جانبه انه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية ، وتهدي الناس إلى الطرق العملية الواضحة لهذه السعادة ، كتعاليم الاسلام الحنيف الفطرية الواضحة العملية . وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم ، ولا مجال التدليل على أنها تضمن هذه النتيجة ، وتكفل سعادة البشرية جميعاً فلذلك مجال آخر ، فضلا عن أننا كلنا فيما اعتقد شركاء في التسليم بصحة هذه النظرية ، على أن كثيراً من غير المسلمين يقر بها ويعترف بما في الاسلام من جمال وكمال .

لهذا وقفت نفسي منذ نشأت على غاية واحدة هي إرشاد الناس إلى الاسلام حقيقة وعملاً . ولهذا كانت فكرة الاخوان المسلمين إسلامية بحتة في غايتها وفي وسائلها ، لا تتصل بغير الاسلام في شيء .

ظلت هذه الخواطر حديثاً نفسانياً ومناجاة روحية أتحدث بها في نفسي لنفسي ، وقد أفضي بها إلى كثير ممن حولي ، وقد تظهر في شكل دعوة فردية أو خطابة وعظية أو درس في المساجد إذا سنحت فرصة التدريس ، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة المجهود في إنقاذ الناس وإرشادهم الى ما في الاسلام من خير .

ثم كانت في مصر وغيرها من بلدان العالم الاسلامي حوادث عدة ألهبت نفسي وأهاجت كوامن الشجن في قلبي ، ولفتت نظري الى وجوب الجد والعمل ، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه ، والتأسيس بعد التدريس ، ولا أطيل عليكم بتفصيل حوادث انتهى أمرها وعفت آثارها ، وفاءَ إلى الرشد أو بعض الرشد أصحابها .

ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم في وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين ، فكنتُ أجد التثبيط أحياناً والتشجيع أحياناً ، والتريث أحياناً ، ولكنني لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية . ومن الوفاء أن أذكر في هذا المقام المرحوم أحمد باشا تيمور أفسح الله له في جنته ، فما رأيته مرة إلا مثالاً للهمة المتوثبة ، والغيرة المتوقدة ، وما تحدثت إليه في شأن من شؤ ون الامة العامة إلا وجدت العقل الكامل والاستعداد التام والإلمام الشامل وترقب ساعة العمل ، فرحمه الله وأجزل مثوبته .

ولّيتُ وجهي شطر الأصدقاء والاخوان ممن جمعني وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب ، فوجدت استعداداً حسناً . وكان أسرعهم مبادرة ألى مشاركتي عبء التفكير وأكثرهم اقتناعاً بوجوب العمل في إسراع وهمة ، الاخوان الفضلاء : الأستاذ احمد أفندي السكري ، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية أسكنه الله فسيح جنته ، والأخ الشيخ احمد عبد الحميد وكثير غيرهم .

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية ، حتى يتحول العرف العام في الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة .

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها ، ونحلل العلل والأدواء ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا اليه إلى حد البكاء . وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهي ويترددون على أندية الفساد والإتلاف . فإذا سألت احدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك : أقتل الوقت،وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه ، فإنما الوقت هو الحياة .

كنا نعجب لهؤ لاء الناس وكثير منهم من المثقفين ، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء ، ثم يقول بعضنا لبعض : أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها ، ألاَّ تفكر في مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها .

ولهذا وأمثاله نعمل ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه .

وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة فكان أحمد أفندي السكري بالمحمودية :

وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق ، وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار ، وكنت بالإسماعيلية أذكر قول القائل :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

وفي الإسماعلية أيها الاخوان وضعت أول نواة تكوينية للفكرة ، وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها ونعاهد الله على الجندية التامة في سبيلها تحت اسم ﴿ الاخوان المسلمون ﴾ وكان ذلك في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ .

إسلام الاخوان المسلمين

واسمحوا لي أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير ، ولست أعني به أن للاخوان المسلمين إسلاماً جديداً غير الاسلام الذي جاء به سيدنا محمدﷺ عن ربه ، وإنما أعني أن كثيراً من المسلمين في كثير من العصور خلعوا على الاسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم ، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً ـ مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية ـ فاختلفوا في معنى الاسلام اختلافاً عظيماً ، وانطبعت للاسلام في نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الاسلام الأول الذي مثله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل .

فمن الناس من لا يرى الاسلام شيئاً غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضي به وحسبه قد وصل إلى لب الاسلام ، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين ، ومن الناس من لا يرى الاسلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة ، والغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح ، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة . ومنهم من يقف إسلامه عند حد الاعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الاسلام فلا يتطلب النظر الى غيرها ولا يعجبه التفكير في سواها ، ومنهم من يرى الاسلام نوعاً من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها ولا تقدم معها ، فهو متبرم بالاسلام وبكل ما يتصل بالاسلام ، وتجد هذا المعنى واضحاً في نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الاسلامية فهم لم يعرفوا عن الاسلام شيئاً أصلاً ، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

وتحت هذه الأقسام جميعاً تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها الى الاسلام عن

نظر الآخر قليلاً أو كثيراً ، وقليل من الناس أدرك الاسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعاً .

هذه الصور المتعددة للاسلام الواحد في نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافاً بيناً في فهم الاخوان المسلمين وتصور فكرتهم ، فمن الناس من يتصور الاخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقدم للناس العظات فتزهدهم في الدنيا وتذكرهم الآخرة ، ومنهم من يتصور الأخوان المسلمين طريقة صوفية تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة ، ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها ، وقليل من الناس خالطوا الاخوان المسلمين وامتزجوا بهم ولم يقفوا عند حدود السماع ولم يخلعوا على الاخوان المسلمين إسلاماً يتصورونه هم ، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علماً وعملاً . ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم في إيجاز عن معنى الاسلام وصورته الماثلة في نفوس الاخوان المسلمين ، حتى يكون الأساس الذي ندعو اليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحاً جلياً :

(١) نحن نعتقد أن احكام الاسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة ، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن ، فالاسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، ومصحف وسيف . والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الاسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿وابتغِ فيما آتاكَ الله الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نَصيبكَ من الدنيا وأحسِنْ كما أحسَنَ الله إليك﴾ القصص .

وإنك تقرأ في القرآن وفي الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى في العقيدة والعُبادة : ﴿وما أُمِروا إلا ليعبُدوا الله مخلصين له الدين حُنَفاءَ ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاةَ وذلك دينُ القيِّمة﴾ البينة . وتقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياسة : ﴿ فلا وربِّك لا يُؤمنونَ حتى يحكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم . ثم لا يجدوا في أنفسِهم حَرَجاً مما قَضيّتَ ويُسلِّموا تسليما ﴾ النساء . وتقرأ قوله تعالى في الدَّيْن وفي التجارة : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا تَدايَنْتُم بدَيْن إلى أجلٍ مُسمى فاكتبوه وليكتُبْ بينكم كاتبٌ بالعدل ولا يَأبَ كاتبٌ أن

يكتُبَ كما علَّمَه الله فليكتب وليُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ وليتَّقِ اللهَ ربه ولا يبخَسْ منه شيئاً ، فإن كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضَعيفاً أو لا يستطيع أن يُملَّ هو فليملل وليُّهُ بالعدل واستشهدوا شهيدَيْنِ من رجالكم فإن لم يكونا رجلَين فرجلٌ وامرأتانِ ممن تَرضَوْنَ من الشهداء أن تَضِلَّ إحداهما فتُذكرَ إحداهما الأخرى ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا ولا تَسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أَجَلِهِ ذلكم أقْسَطُ عند الله وأقومُ للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارةً حاضرَةً تُديرونها بينكم فليس عليكم جُناحٌ ألا تكتبوها وأشْهِدوا إذا تَبايَعْتُم ولا يُضارَّ كاتب ولا شهيد﴾ البقرة . وتقرأ قوله تعالى في الجهاد والقتال والغزو : ﴿وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة فلتقُمْ طائفةٌ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفةٌ أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخُذوا حِذرهم وأسلحتهم . ود الذين كفروا لو تَغْفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيَميلون عليكم ميْلة واحدة ، ولا جُناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تَضَعوا أسلحتكم وخذوا حِذْركم﴾ النساء . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها وفي غيرها من الآداب العامة وشؤ ون الاجتماع .

وهكذا اتصل الاخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الاسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل ، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤ ون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً ، أما إذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤ ونها ، فهي أمة ناقصة الاسلام تضاهيء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أفتُؤْمنون ببعض الكتابِ وتكفرون ببعض فما جزاءُ من يَفعلُ ذلك منكم إلا خزْيٌ في الحياة الدنيا ويومَ القيامةِ يُرَدُّون الى أشدِّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ البقرة .

(٢) إلى جانب هذا يعتقد الاخوان أن أساس التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ﷺ ، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً ؛ وأن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها . ولهذا يجب أن تستقى النظم الاسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الاسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وأن نقف عند هذه الحدود

الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والاسلام دين البشرية جميعاً .

(٣) وإلى جانب هذا أيضا يعتقد الاخوان المسلمون ان الاسلام كدين عام انتظم كل شؤ ون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان ، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة ، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤ ون ، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها .

ولضمان الحق والصواب في هذا التطبيق أو تحرّيهما على الأقل ، عني الاسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهي مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل ، فوصف لها منّ الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسلها من أدران الغرض والغاية ويهديها الى الكمال والفضيلة ، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان ؛ وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحاً جميلاً . يقولون إن العدل ليس في نص القانون ولكنه في نفس القاضي ، وقد تأتي بالقانون الكامل العادل الى القاضي ذي الهوى والغاية فيطبقه تطبيقاً جائراً لا عدل معه ، وقد تأتي بالقانون الناقص والجائر الى القاضي الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقاً فاضلاعادلاً فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله ، وكانت النفوس الأولى التي صاغها هذا الاسلام مثال الكمال الإنساني ، ولهذا كله كانت طبيعة الاسلام تساير العصور والأمم ، وتتسع لكل الأغراض والمطالب ، ولهذا أيضاً كان الاسلام لا يأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة .

لا أحب أيها السادة أن أسترسل في هذا البيان فذلك باب واسع وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقي ضوءاً على هذا المعنى العام للفكرة الإسلامية في نفوس الإخوان المسلمين .

فكرة الاخوان المسلمين تضم كل المعاني الاصلاحية

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للاسلام عند الاخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الاصلاح في الأمة ، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر

الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبي الاصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها ، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك ، إن الاخوان المسلمين :

(١) دعوة سلفيّة : لأنهم يدعون الى العودة بالاسلام الى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) وطريقة سنّيّة : لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء ، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا الى ذلك سبيلا .

(٣) وحقيقة صوفية : لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة على العمل ، والاعراض عن الخلق ، والحب في الله ، والارتباط على الخير .

(٤) وهيئة سياسية : لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم في الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد .

(٥) وجماعة رياضية : لأنهم يعنون بجسومهم ، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ،وأن النبي ﷺ يقول : « إن لبدنك عليك حقاً » وإن تكاليف الاسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

(٦) ورابطة علمية ثقافية : لأن الاسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولأن اندية الأخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

(٧) وشركة اقتصادية : لأن الاسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذي يقول نبيه ﷺ : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ويقول : « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » ، « إن الله يحب المؤمن المحترف »

(٨) وفكرة اجتماعية : لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الاسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها .

وهكذا نرى أن شمول معنى الاسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحي الاصلاح ، ووجه نشاط الاخوان إلى كل هذه النواحي ، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً ويعلمون أن الاسلام يطالبهم بها جميعاً .

ومن هنا كان كثير من مظاهر اعمال الاخوان يبدو أمام الناس متناقضاً وما هو بمتناقض .

فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعا متبتلاً يبكي ويتذلل ، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الأذان بزواجر الوعظ ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمي بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة ، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص . هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض ، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الاسلام ويأمر بها الاسلام ويحض عليها الاسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام ، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الاخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المآخذ ومواطن النقد والتقصير .

كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الاسلام الجامع حول لقب واحد هو ﴿ الاخوان المسلمون ﴾ .

بعض خصائص دعوة الإخوان

لعل من صنع الله لدعوة الاخوان أن تنبت في الاسماعيلية ، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهي بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التي أذكى نار الفرقة فيها ذوو المطامع والأغراض ، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوي العنيف بين الاجنبي المتعصب والوطني المجاهد ، فكان من أثر هذه الظروف ان تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها .

ومن هذه الخصائص :

(١) البعد عن مواطن الخلاف .

(٢) والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء .

(٣) والبعد عن الأحزاب والهيئات .

(٤) والعناية بالتكوين والتدرج في الخطوات .

(٥) وإيثار الناحية العملية الانتاجية على الدعاية والاعلانات .

(٦) وشدة الاقبال من الشباب .

(٧) وسرعة الانتشار في القرى والبلاد .

١ ـ البعد عن مواطن الخلاف

فأم البعد عن مواطن الخلاف الفقهي فلان الاخوان يعتقدون أن الخلاف في الفرعيات أمر ضروري ، لا بد منه ، إذ أن اصول الاسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها وتصورها العقول والافهام . لهذا كان الخلاف واقعاً بين الصحابة أنفسهم ، وما زال كذلك وسيظل الى يوم القيامة ، وما أحكم الإمام مالك رضي الله عنه ، حين قال لأبي جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ : « إن اصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار ، وعند كل قوم علم ، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة » ، وليس العيب في الخلاف ولكن العيب في التعصب للرأي والحجر على عقول الناس وآرائهم . هذه النظرة الى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة ، وحَسْبُ الناس ان يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلماً كما قال زيد رضي الله عنه ، وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة تريد ان تنشر فكرة في بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها .

٢ ـ البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان :

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء الى الدعوات القائمة ، التي تستتبع المغانم وتجر المنافع ولو في ظن الناس لا في حقيقة الحال . ولأننا معشر القائمين بدعوة الاخوان تعمدنا هذا ، لأول عهد الدعوة بالظهور ، حتى لا يطمس لونها الصافي لون آخر من الوان الدعوات التي

يروج لها هؤلاء الكبراء ، وحتى لا يحاول احد منهم أن يستغلها أو يوجهها في غير الغاية التي تقصد اليها ، وذلك الى أن كثيراً من العظماء ينقصه الكمال الاسلامي الذي يجب أن يتصف به المسلم العادي فضلاً عن المسلم العظيم الذي يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس ، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيداً عن الاخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء ، يفهم فكرتهم ويعطف على غايتهم ويشارك في أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق والنجاح .

٣ ـ البعد عن الهيئات والأحزاب :

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذي لا يتفق مع أخوّة الاسلام ، ودعوة الاسلام عامة تجمع ولا تفرق ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل ألوانه وصار لله خالصاً . وقد كان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفوس الطامحة ، التي تريد أن تصل عن طريق حزبيتها أو جماعتها الى ما تريد من جاه ومال . لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء ، ويدرك الناس بعض الحقائق المستورة عنهم فيعودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان .

ونحن الآن ـ وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر ، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا الينا ، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التي لا غناء فيها ، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبي الكريم ومنهاج الاسلام القويم . فإن أجابوا فهو خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وتستطيع الدعوة بهم ان تختصر الوقت والجهود ، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلاً وأن نلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم ويسقط في أيديهم ويضطرون إلى العمل للدعوة أذناباً وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٤ ـ التدرج في الخطوات :

وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الاخوان المسلمين ، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لا بد لها من مراحل ثلاث : مرحلة الدعاية والتعريف

والتبشير بالفكرة وإيصالها الى الجماهير من طبقات الشعب ، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار واعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين ، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج . وكثيراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنباً الى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً ، فالداعي يدعو ، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي ، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك .

ولكن لا شك في أن الغاية الأخيرة أوالنتيجةالكاملةلا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين .

في حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير ، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة في دروس متتالية وفي رحلات متلاحقة وفي مطبوعات كثيرة وفي حفلات عامة وخاصة ، وفي جريدة الاخوان المسلمين الأولى ثم في مجلة النذير الأسبوعية ، ولا زلنا ندعو وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الاخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح . ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وأظن أننا وصلنا في هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها ، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية ، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة .

خطونا الخطوة الثانية في صور ثلاث :

١ ـ الكتائب : ويراد بها تقوية الصف بالتعارف ، وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات ، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه ، وهذا هو معهد التربية الروحية للاخوان المسلمين .

٢ ـ الفرق للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية : ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الاخوان وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة وإعدادهم للجندية الصحيحة التي يفرضها الاسلام على كل مسلم ، وهذا هو معهد التربية الجسمية للاخوان المسلمين .

٣ ـ درس التعاليم في الكتائب أو في أندية الاخوان المسلمين : ويراد بها تقوية الصف بتنمية أفكار الاخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته لدينه ودنياه وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للاخوان المسلمين .

ذلك ، الى مختلف نواحي النشاط الأخرى التي يدرب بها الاخوان على الواجب الذي ينتظرهم كجماعة تغذ نفسها لقيادة أمة بل لهداية العالمين .

بعد ان نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة نخطو إن شاء الله الخطوة الثالثة ، وهي الخطوة العملية التي تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الاخوان المسلمين .

مصارحة

أيها الاخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم : اسمعوها مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع : ان طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده . ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها . إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب ، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات . ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين : إما النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة .

أيها الاخوان المسلمون :

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة . ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد .

أيها الاخوان المسلمون :

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه ، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين . ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد ، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين ، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين . على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ، ولا إنتاج إلا مع خطتكم ، ولا صواب إلا فيما تعملون ، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم . واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين ﴿ وما كان الله ليُضيعَ إيمانكم إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيم﴾ البقرة .

متى تكون خطوتنا التنفيذية ؟

أيها الاخوان المسلمون :

نحن هنا في مؤتمر أعتبره مؤتمراً عائلياً يضم أسرة الاخوان المسلمين ، وأريد أن أكون معكم صريحاً للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة :

إن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطىء .

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالا باللسان ، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيع ان يعمل ، ولكن قليلا منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضني. وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفي قصة طالوت بيان لما أقول : فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل ، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها .

وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الاخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن اخوض بكم لجج البحار ، وأقتحم بكم عَنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله ، وصدق رسول الله القائل « ولن يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » . إني أقدر لذلك وقتاً ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته ، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الاخوان ومندوبيهم أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم ، وقد تهملون فيخطىء هذا الحساب ، وتختلف النتائج المترتبة عليه ، فأشعروا أنفسكم العبء وألفوا الكتائب وكونوا الفرق ، وأقبلوا على الدروس ، وسارعوا إلى التدريب وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد ، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل .

وقد يظن من يسمع هذا أن الاخوان المسلمين قليل عددهم أو ضعيف مجهودهم ، ولست الى هذا أقصد وليس هذا هو مفهوم كلامي ، فالاخوان المسلمون والحمد لله كثيرون ، وإن جماعة يمثلها في هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينوب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها أو ينسى مجهودها أو يغمط حقها ، ولكن أقصد الى ما ذكرت أولا من أن رجل

القول غير رجل العمل ، ورجل العمل غير رجل الجهاد ، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي الى أعظم الربح بأقل التضحيات .

٥ ـ إيثار الناحية العملية

وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والاعلانات ، فقد أثارها في نفس الاخوان ودعا إليها في منهاجهم أمور :

منها ما جاء في الاسلام خاصا بهذه الناحية بالذات ، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسرع إليها التلف والفساد . والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد في إذاعة الخير ، والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه ، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق .

ومنها نفور الاخوان الطبيعي من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذي ليس من ورائه عمل ، وما أنتجه هذا في الامة من اثر سيء وتضليل كبير وفساد ملموس .

ومنها ما كان يخشاه الاخوان من معاجلة الدعوة بخصومة حادة او صداقة ضارة ينتج عن كليهما تعويق في السير أو تعطيل عن الغاية .

كل هذه أمور وضعها الاخوان في ميزانهم وآثروا أن يسيروا في دعوتهم بجد وإسراع وان لم يشعر بهم إلا من حولهم ، وإن لم يؤثر ذلك إلا في محيطهم .

قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعاة الاخوان قد يخرج من عمله المصلحي في عصر الخميس ، فاذا هو في العشاء بالمنيا يحاضر الناس ، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب بمنفلوط ، فإذا هو في العصر يحاضر بأسيوط ، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج ، ثم يعود أدراجه فإذا هو في الصباح الباكر في مركز عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين .أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الاخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة ، ثم يعود أدراجه هادىء النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه اليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه .

هذا مجهود لو قام به غير الاخوان لملأ الدنيا صياحاً ودعاية ، لكن الاخوان ـ لما قدمت ـ يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين ، فمن أقنعه العمل فبها ، ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول .

قد يقضي الاخ شهراً أو شهرين بعيداً عن أهله وبيته وزوجه وولده يدعو إلى الله . هو في الليل محاضر وفي النهار مسافر ، يوماً بحزوَى ويوماً بالعقيق ، فيلقي أكثر من ستين محاضرة من شرق القطر إلى غربه ، وقد تضم الحفلات التي يحاضر فيها الآلاف من مختلف

الطبقات ، ثم هو بعد ذلك يوصي ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان .

يعقد الاخوان معسكراً نموذجياً بالاسكندرية قرابة شهر فيكون معسكراً نموذجياً بحق ، يجمع رياضة الفكر والروح الى رياضة البدن والجسم ، وتتمثل فيه بجلاء ووضوح المعاني الرياضية والعسكرية الكاملة ، ويدوم ذلك طول هذه الفترة ، ويضم تحت خيامه المباركة مائة من الشباب التقي المؤمن ، فلا يكون لذلك صداه في غير من حضروه من الاخوان المسلمين .

يعقد مؤتمركم مؤتمركم هذا وهو في الواقع أصدق برلمان لمصر إذ مثلت فيه مديرياتها ومراكزها وقراها وحواضرها من كل الطبقات أصدق تمثيل ، وقد حضرتم جميعاً لا يحملكم الى ذلك إلا الرغبة الأكيدة في العمل المنتج ، فنوجه إليكم الدعوة ويضمكم معشر الاخوان المسلمين هذا المكان المبارك .

يقوم الاخوان بهذا وبغيره من ضروب الاصلاح التي تنتج أحسن الاثار ثم هم بذلك لا يتشدقون ولا يباهون ، ولا يذكرون حتى الحقيقة فضلاً عن المبالغة والاغراق . ولو كان بعض هذا النشاط وبعض هذه الاعمال مما يوفق إليه غير الاخوان من الهيئات لملأوا الدنيا صراخاً ، ولأسمعوا من في المشرق والمغرب ، ولا عجب فنحن في عصر الدعايات .

أيها الاخوان :

ذلك المعنى الذي تقصدون اليه معنى جميل حقاً وخطة محمودة عند الله وعند الناس ، فادرجوا عليها ولا بأس عليكم ، ولكن لاحظوا أنكم الآن وقد أرغمتكم الدعوة على أن تتخطوا الحواجز الخاصة الى الميادين الواسعة ، وقد أظهرت الدعوة نفسها فأخذ الناس يتساءلون عنها وعنكم ، واخذ بعض الفضوليين يتطوع بتصويركم لغيركم وهو لا يدري قليلاً ولا كثيراً من شؤونكم ، فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم ، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس ، لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد الى ما فيها من نفع للأمة وخير لأبنائها فاكتبوا الى النذير وهي لسانكم ، واكتبوا الى الصحف اليومية وأظنها لا تقف في سبيلكم ، واحرصوا على أن تكونوا صادقين لا تتجاوزون الحقيقة ، وأن تكون دعايتكم في حدود الأدب الكامل والخلق الفاضل والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح ، واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل في ذلك كله لله : ﴿ بل الله يمنّ عليكم أنْ هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ الحجرات .

٦ ـ اقبال الشباب على الدعوة

وأما إقبال الشباب على الدعوة ، ونموها في كثير من الأوساط التي هي أخصب المنابت للدعوات من الطبقات العاملة والوسطى ، فتوفيق كبير نحمد الله عليه ، فقد أقبل الشباب في كل مكان على دعوة الاخوان يؤ من بها ويؤ يدها ويناصرها ، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل في سبيلها .

تقدم ستة من شباب الجامعة منذ سنوات يهبون الله نفوسهم وجهودهم ، وعلم الله منهم ذلك فأيدهم وآزرهم ، فإذا بالجامعة كلها من أنصار الاخوان المسلمين تحبهم وتحترمهم وتتمنى لهم النجاح ، وإذا من الشباب الجامعي فئة كريمة مؤ منة تتفانى في الدعوة وتبشر بها في كل مكان .

قل مثل ذلك في الأزهر الشريف ، والأزهر بطبعه معقل الدعوة الاسلامية وموئل الاسلام ، فليس غريباً عليه أن يعتبر دعوة الاخوان دعوته وأن يعد غايتها غايته ، وأن تمتلىء الصفوف الاخوانية والأندية الاخوانية بشبابه الناهض وعلمائه الفضلاء ومدرسيه ووعاظه ، وأن يكون لهم جميعاً أكبر الأثر في نشر الدعوة وتأييدها والمناداة بها في كل مكان .
ولم يقتصر إقبال الشباب على طوائف الطلبة الفضلاء ومن إليهم ، بل أن كثيراً من طبقات الشعب المؤ منة أقبل على الدعوة وكان خير معوان في مناصرتها ، وإن كثيراً من الشباب كان ضالاً فهداه الله وكان حائراً فأرشده الله ، وكانت المعصية له عادة فوفقه الله الى الطاعة ، وكان لا يعرف له غاية من الحياة فوضحت أمامه الغاية ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ ، وإنا لنعتبر ذلك من علامات التوفيق ونلمس كل يوم تقدماً جديداً في هذا الباب يدعونا الى الأمل القوي والمثابرة ومضاعفة الجهود ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

٧ ـ سرعة الانتشار في القرى والمدن

وأما سرعة انتشار الدعوة في القرى والمدن فقد قدمت لكم أن الدعوة نشأت في الإسماعيلية ، وترعرعت في جوها الصافي ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة ، يغذيها وينميها ما ترى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبي والاستئثار الأوربي بخير هذا البلد . فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء ، وفي الغرب المعسكر الانجليزي بأدواته ومعداته ، وفي الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياسته وعظمته

ومرتباته ؛ والمصري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده محروم وغيره ينعم بخير وطنه ، ذليل والأجنبي يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه . كان هذا الشعور غذاء جميلاً ومدداً طيباً لدعوة الاخوان فبسطت رواقها في منطقة القناة ، ثم تخطتها الى البحر الصغير ثم مديرية الدقهلية ، تحتل قلوب المؤمنين بها بذرة صغيرة متواضعة ، ثم لا تلبث ان تستولي على هذه القلوب وتستغرق شعورها وتفكيرها ، وتصبح للرجل أمل الآمال وغاية الغايات فيدعو ويضحي ويبذل .

وخطت الدعوة الى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الاسلامية بدعاتها وادواتها الى الاخوان ، إيماناً بفكرتهم وإيثاراً للعمل مع الجماعة ، وزهادة في الألقاب والأسماء ، واحتقاراً لهذه الأنانية الفردية التي أفسدت علينا كل عمل . ثم تبع ذلك تكوّن مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وإشرافه على شعب الجماعة الناشئة في الأقاليم والبلدان ، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها الى البلدان التي لم تتصل بها بعد .

ودأب المكتب على ذلك يقتطع أعضاؤه من قوتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستعينون به على خدمة عقيدتهم في عفة الأسد ، وفي طهارة ماء الغمام ، لا يمدون لأحد يداً ولا يسألون كبيراً ولا هيئة شيئاً ، ولا يأخذون من مال حكومة ولا يطلبون معونة أحد إلا الله ، حتى انتشرت شعب الاخوان بسرعة فائقة في جميع نواحي القطر المصري من اسوان الى الاسكندرية الى رشيد إلى بور سعيد الى السويس الى طنطا ، الى الفيوم الى بني سويف ، الى المينا ، الى أسيوط ، الى جرجا ، الى قنا ، وفيما بين ذلك من المراكز والقرى .

ولم تقف عند هذه الحدود المصرية بل تجاوزتها الى القسم الجنوبي من الوطن الغالي ، الى السودان المفدى ، ثم الى بقية أجزاء الوطن الاسلامي العزيز : سوريا بأقسامها شرقاً ، والمغرب باقسامه غربا ، ثم الى غير ذلك من بقية بلادنا الاسلامية المباركة .

كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها من قبل ، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا الى البلاد والقرى وتضطرنا الى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان في ذلك من عنت ومن إرهاق . والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها ليس مجرد التشابه في الاسم او الوحدة في المقصد العام ، كلا بل إنها أقوى الصلات جميعاً ، إنها صلة الحب العميق والتعاون الوثيق ، والارتباط القدسي المتين ، والالتفاف التام حول مصدر الدعوة ومركزها ، والوحدة

الشاملة في الآلم والأمل والجهاد والعمل ، والوسائل والغايات والمناهج والخطوات . وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد .

وليست هذه الهيئات في البلدان والقرى مقتصره في عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسي لها بالقاهرة ، بل إنها تجدُّ وتعمل في مناحي الخدمة العامة فتبني أنديتها ، وكثير منها قد بنى داره واصبحت ملكاً خالصاً له خاصاً به ، وكثير منها كذلك قام بكثير من المشروعات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية . وجميعها دائمة النشاط جمة الإنتاج ، كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرؤوس ، وليست صلة الادارة البحتة والاشراف العلمي فقط ، ولكنها صلة فوق ذلك كله : صلة الروح أولاً ، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، التزاور في الله ، فدعاة الاخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشؤونهم الخاصة والعامة ، ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة فيما أعلم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أيها الاخوان :

لا أكتمكم أني مزهو بهذه الوحدة الاخوانية الصادقة ، فخور بهذا الارتباط الرباني القوي المتين ، عظيم الأمل في المستقبل ، ما دمتم كذلك إخوة في الله متحابين متعاونين ، فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم .

وإن كثيراً من الناس ليتساءل : ومن أين يقوم الاخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة ، وهي نفقات كثيرة تعجز الأغنياء فضلاً عن الفقراء ؟

ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الاخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يوماً من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم ، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم ، وأنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال ، فخرجوا عن ذلك كله لله وفقهوا معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنة ﴾ فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس ، معتقدين أن الفضل كله لله ، فاستغنوا بما في أيديهم عما في أيدي الناس ، ومنحهم الله البركة في القليل فأنتج الكثير . إلى الآن أيها الاخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أياً كانت ، وهو يباهي ويفاخر ويتحدى الناس جميعاً أن يقول أحدهم إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه ، ولسنا نريد

إلا هذا ، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب ، ولن نعتمد على الحكومات في شيء ، ولا تجعلوا في ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك ولا تنظروا إليه ولا تعملوا له ، واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما .

تلك أيها الاخوان بعض خصائص دعوتكم ، انتهزت هذه الفرصة لأتحدث إليكم عنها ، وأنتقل بعد ذلك الى ناحية هامة من نواحي الدعوة قد يلتبس الأمر في موقف الاخوان منها على كثير من الناس ، وربما خفي على بعض الاخوان أنفسهم حتى نحدد معاً ونكشف معاً ما عسى أن يكون من إبهام .

من منهاج الاخوان المسلمين

الغاية والوسيلة

أظنكم أيها الاخوة الفضلاء قد عرفتم من هذا الحديث الطويل غاية الاخوان ووسيلتهم ومهمتهم تماماً .

إن غاية الاخوان تنحصر في تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الاسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الاسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها : ﴿ صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة ﴾ وأن وسيلتهم في ذلك تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها ؛ وأنهم ساروا الى غايتهم في حدود وسيلتهم فوصلوا الى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها ، وأظنني لست في حاجة إلى مزيد شرح أو بيان في هذه الناحية .

الاخوان والقوة والثورة

ويتساءل كثير من الناس : هل في عزم الاخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ؟ وهل يفكر الاخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة ، بل إنني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء ، فليسمع من يشاء .

أما القوة فشعار الاسلام في كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء : ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عَدُوَّ الله وعدوكم ﴾ الانفال . والنبي ﷺ يقول : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » ، بل إن القوة شعار الاسلام حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة ، واسمع ما كان يدعو به النبي ﷺ في خاصة نفسه ويعلّمه أصحابه ويناجي به ربه : « اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزَن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبْن والبخل ، وأعوذ بك من غَلَبَة الدَّيْنِ وقهر الرجال » ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف : ضعف الإرادة بالهم والحزن ، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل ، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل ، وضعف العزة والكرامة بالدَّيْنِ والقهر ؟ فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء شعاره القوة في كل شيء ؟ فالاخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء ، ولا بد أن يعملوا في قوة .

ولكن الاخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر ، فلا يغوصوا الى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان ، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح . ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً ، وإنها اذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك .

هذه نظرة ، ونظرة أخرى : هل أوصى الاسلام ـ والقوة شعاره ـ باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال ؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدوداً ؟

ونظرة ثالثة ـ هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكيّ ؟ وهل من الواجب أن يوازن الانسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟

هذه نظرات يلقيها الاخوان المسلمون على اسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه ، والثورة أعنف مظاهر القوة ، فنظر الاخوان المسلمين إليها أدق وأعمق ، وبخاصة في وطن كمصر جرّب حظه في الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون . وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين : إن الاخوان المسلمين سيستخدمون القوة

العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة ، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً ، وينتظرون بعد ذلك ثم يُقدِمون في كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح .

وأما الثورة فلا يفكر الاخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها ، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر اولو الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل ، فسيؤدي ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الاخوان المسلمين ولا من دعوتهم ، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الاحوال ، وإهمال مرافق الإصلاح . وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالأعمال .

الاخوان المسلمون والحكم

ويتساءل فريق آخر من الناس : هل في منهاج الاخوان المسلمين أن يكوِّنوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم ؟ وما وسيلتهم الى ذلك ؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضاً في حيرة ، ولا نبخل عليهم بالجواب .

فالاخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الاسلام الحنيف كما فهموه ، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة . وهذا الاسلام الذي يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد ، وقديماً قال الخليفة الثالث رضي الله عنه : « إنَّ الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وقد جعل النبيﷺ الحكم عروة من عرى الاسلام . والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول ، لا من الفقهيات والفروع ، فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الآخر . والمصلح الاسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول ، وترك أهل التنفيذ يشرِّعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد كما يقولون .

قد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاءً لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه ، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه ﷺ ، وأما والحال كما نرى : التشريع الاسلامي في واد والتشريع الفعلي والتنفيذي في واد آخر ، فإن قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف .

هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الاسلام الحنيف . وعلى هذا فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة ، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله .

وعلى هذا فالاخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنشر فيها مبادىء الاخوان وتسود ، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

وكلمة لا بد أن نقولها في هذا الموقف هي أن الاخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها ـ لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية ـ من ينهض بهذا العبء ، أو من يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الاسلامية ، فلتعلم الأمة ذلك ، ولتطالب حكامها بحقوقها الاسلامية ، وليعمل الاخوان المسلمون .

وكلمة ثانية أنه ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الاخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات ، أو منفذين لغاية غير غايتهم ، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم ، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الاخوان ومن غير الاخوان .

الاخوان المسلمون والدستور المصري

ويتساءل كذلك فريق من الناس ما موقف الاخوان المسلمين من الدستور المصري ؟ ولا سيما بعد أن كتب الأخ صالح أفندي عشماوي رئيس تحرير مجلة النذير في

هذا الموضوع ، وتناولت كتابته صحيفة (مصر الفتاة) بالنقد والموازنة . وهذه فرصة طيبة أتحدث الى حضراتكم فيها عن رأي الاخوان المسلمين ، وموقفهم من الدستور المصري . وأحب قبل هذا ان نفرق دائماً بين ﴿ الدستور ﴾ وهو نظام الحكم العام الذي ينظم حدود السلطات وواجبات الحاكمين ومدى صلتهم بالمحكومين ، وبين ﴿ القانون ﴾ وهو الذي ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض ، ويحمي حقوقهم الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال . وأستطيع بعد هذا البيان أن أجلي لكم موقفنا من نظام الحكم الدستوري عامة ، ومن الدستور المصري خاصة :

الواقع أيها الاخوان ، أن الباحث حين ينظر الى مبادىء الحكم الدستوري التي تتلخص في المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها ، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة ، وعلى مسؤ ولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال ، وبيان حدود كل سلطة من السلطات ، هذه الاصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الاسلام ونظمه وقواعده في شكل الحكم .

ولهذا يعتقد الاخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله الى الاسلام ، وهم لا يعدلون به نظاماً آخر .

بقي بعد ذلك أمران : أولهما النصوص التي تصاغ في قالبها هذه المبادىء ، ثانيهما طريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً هذه النصوص . إن المبدأ السليم القويم قد يوضع في نص مبهم غامض فيدع مجالاً للعبث بسلامة المبدأ في ذاته . وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات ، فيذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة .

وإذا تقرر هذا فإن من نصوص الدستور المصري ما يراه الاخوان المسلمون مبهماً غامضاً يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء ، فهي في حاجة الى وضوح والى تحديد وبيان. هذه واحدة ، والثانية هي أن طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور ، ويتوصل بها الى جني ثمرات الحكم الدستوري في مصر ، طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع ، فهي في حاجة شديدة الى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفي بالغاية . . .

وحسبنا أن نشير هنا إلى قانون الانتخاب ، وهو وسيلة اختيار النواب الذين يمثلون

الأمة ويقومون بتنفيذ دستورها وحمايته ، وما جره هذا القانون على الأمة من خصومات وحزازات ، وما أنتجه من أضرار يشهد به الواقع الملموس . ولا بد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطاء والعمل على تعديلها .

لهذا يعمل الاخوان المسلمون جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة في الدستور المصري ، وتعدل الطريقة التي ينفذ بها هذا الدستور في البلاد . وأظن أن موقف الاخوان قد وضح بهذا البيان ، وردت الأمور إلى نصابها الصحيح .

إن الأخ صالح أفندي قد أراد أن يعبر في مقاله الأول عن وجهة النقد التي يراها الاخوان فاحتد واشتد . ولما نبهناه إلى ان هذا ليس موقفنا في الواقع ، فنحن نسلم بالمبادىء الأساسية للحكم الدستوري باعتبارها متفقة بل مستمدة من نظام الاسلام ، وإنما ننقد الابهام وطرائق الإنفاذ ، أراد أن يعبر عن ذلك ويقر الأمر في وضعه الطبيعي بالنسبة للاخوان فتساهل ولان ، وهو في كلا الموقفين مأجور فالخير اراد ونية المرء خير من عمله . ونحن نشكر الذين أخذوا على الأخ صالح أفندي هذا الموقف ، ولا يضره فيما أعتقد أن يستفيد من هذا التنبيه فيؤثر الاعتدال في كل حال ، واعتقد أنه لا مجال لقول بعد هذا البيان . أما الأمثلة التفصيلية والأدلة الوافية ووصف طرائق العلاج والإصلاح ففي رسالة خاصة إن شاء الله .

الاخوان المسلمون والقانون

قدمت أن الدستور شيء والقانون شيء آخر ، وقد أبنت موقف الاخوان من الدستور ، وأبيّن لحضراتكم الآن ، موقفهم من القانون .

إن الاسلام لم يجيء خلواً من القوانين بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام ، سواء أكانت مادية أم جنائية ، تجارية أم دولية . والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني ، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي ، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة وأقرها مؤتمر لاهاي الدولي أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله .

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضاً مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها ، مصطدماً كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله ، وقد حذر الله نبيه ﷺ ذلك من قبل ، فقال تبارك وتعالى ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزلَ الله ولا

تتبعْ أهواءَهم واحذرْهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزلَ الله إليك فإن تولّوا فاعلم أنما يريدُ الله أن يُصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ المائدة . وذلك بعد قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ والظالمون ـ والفاسقون ﴾ المائدة . فكيف يكون موقف المسلم الذي يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام ، ثم رأى نفسه محكوماً بقانون يصطدم معها ؟ فإذا طالب بالتعديل قيل له إن الأجانب لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه ، ثم يقال بعد هذا الحجر والتضييق إن المصريين مستقلون وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين ، وهي أقدس الحريات .

على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه تصطدم بالدستور الوضعي نفسه الذي يقرر أن دين الدولة هو الاسلام ، فكيف نوفق بين هذين يا أولي الألباب ؟

وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا وحظر الربا ومنع الخمور وحارب الميسر ، وجاء القانون يحمي الزانية والزاني ويلزم بالربا ويبيح الخمر وينظم القمار ، فكيف يكون موقف المسلم بينهما ؟ أيطيع اللهِ ورسوله ويعصي الحكومة وقانونها والله خير وأبقى ؟ أم يعصي الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى في الآخرة والأولى ؟ نريد الجواب على هذا من رفعة رئيس الحكومة ومعالي وزير العدل ومن علمائنا الفضلاء الأجلاء .

أما الاخوان المسلمون فهم لا يوافقون على هذا القانون أبداً ولا يرضونه بحال ، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الاسلامي العادل الفاضل في نواحي القانون . ولسنا هنا في مقام الرد على ما قيل في هذه الناحية من شبهات أو ما يعترض سبيلها من توهم العقبات ، ولكنا في مقام بيان موقفنا الذي عملنا وسنعمل عليه ، متخطين في سبيله كل عقبة ، موضحين كل شبهة ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولقد تقدم الاخوان المسلمون إلى معالي وزير العدل بمذكرة ضافية في هذا الموضوع ، ولقد حذروا الحكومة في نهايتها من إحراج الناس هذا الإحراج ، فالعقيدة أثمن ما في الوجود ، وسوف يعاودون الكرة ، وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم ﴿ ويأبى الله إلا أن يُتم نورَه ولو كرهَ الكافرون ﴾ التوبة .

موقف الاخوان المسلمين
من الوحدة القومية والعربية والاسلامية

كثيراً ما تتوزع أفكار الناس في هذه النواحي الثلاث : الوحدة القومية ، والوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية ، وقد يضيفون الى ذلك الوحدة الشرقية . ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها ، وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان ، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها ، والتشيع لبعضها دون البعض الآخر .

فما موقف الاخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحي ؟ ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الاخوان المسلمين في وطنيتهم ، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الاسلامية مانعا إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية .

والجواب على هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التي وضعناها أساساً لفكرتنا ، وهي السير على هدى الاسلام وضوء تعاليمه السامية . فما موقف الاسلام نفسه من هذه النواحي ؟ .

إن الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل كل إنسان لخير بلده وأن يتفانى في خدمته ، وأن يقدم اكثر ما يستطيع من الخير للأمة التي يعيش فيها ، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً حتى أنه لم يُجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر - إلا لضرورة - إيثاراً للأقربين بالمعروف . فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها وأن يخدم الوطن الذي نشأ فيه ، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعاً لمواطنيه ، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين ، وكان الاخوان المسلمون بالتالي أشد الناس حرصاً على خير وطنهم ، وتفانياً في خدمة قومهم ، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقي ، وكل فلاح ونجاح ، وقد انتهت إليها رياسة الأمم الاسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم . وإن حب المدينة لم يمنع رسول الله ﷺ أن يحنَّ الى مكة وأن يقول لأصيل ، وقد أخذ يصفها « يا أصيلُ دَعِ القلوبَ تقرُّ » ، وأن يجعل بلالا يهتف من قرارة نفسه :

الا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنَّة ... وهل يبدُوَنْ لي شامة وطفيل ؟

فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أي إنسان أن يخلص لبلده ، وأن يفنى في سبيل قومه ، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار . هذا من وجهة القومية الخاصة .

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين . وقد جاء في الأثر : إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسي وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم ، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه .

وأحب هنا أن ننبه إلى أن الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة ، كما عرفها النبي ﷺ ، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : « ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان » .

ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لا بد منه لاعادة مجد الاسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه . ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها ، وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية .

بقي علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الاسلامية . والحق أن الاسلام كما هو عقيدة وأنه قضى على الفوارق النَّسَبية بين الناس ، فالله تبارك وتعالى يقول ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ والنبي ﷺ يقول : « المسلم أخو المسلم » ، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم .

فالاسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة ، ويعتبر الوطن الاسلامي وطنا واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده . وكذلك الاخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة ، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الاسلام ، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ وما أروع ما قال في هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان :

ولست أدري سوى الاسلام لي وطناً   الشام فيه ووادي النيل سيّانِ

وكلما ذكر اسم الله في بلدٍ عَدَدْت أرجــاءه من لب أوطاني

يقول بعض الناس : إن ذلك يناقض تيار الفكرة السائدة في العالم فكرة التعصب للأجناس والألوان ، والعالم الآن تجرفه موجة القوميات الجنسية ، فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس ؟

وجواب ذلك ان الناس يخطئون وأن نتائج خطئهم في ذلك ظاهرة ملموسة في إقلاق راحة الأمم وتعذيب ضمائر الشعوب مما لا يحتاج الى برهان . وليست مهمة الطبيب ان يجاري المرضى ولكن أن يعالجهم وأن يهديهم سواء السبيل ، وتلك مهمة الاسلام ومن وصل دعوته بالاسلام .

ويقول آخرون : إن ذلك غير ممكن والعمل له عبث لا طائل تحته ومجهود لا فائدة منه ، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لاقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم .

والجواب على هذا أن هذه لغة الضعف والاستكانة . فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل متخالفة في كل شيء : في الدين واللغة ، والمشاعر والآمال والآلام ، فوحّدها الاسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء . وما زال الاسلام كما هو بحدوده وبرسومه ، فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة اليه وتجديده في نفوس المسلمين ، فإنه يجمع هذه الأمم جميعاً من جديد كما جمعها من قديم ، والإعادة اهون من الابتداء ، والتجربة أصدق دليل على الإمكان .

يهتف بعض الناس بعد هذا بالوحدة الشرقية ، وأظن انه لم يثر هذه النعرة في نفوس الهاتفين بها إلا تعصب الغربيين لغربهم وسوء عقيدتهم في الشرق وأبنائه ، وهم في ذلك مخطئون ، وإذا استمر الغربيون على عقيدتهم هذه فستجر عليهم الوبال والنكال . والاخوان المسلمون لا ينظرون الى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فقط ، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقفهما من الاسلام ، وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان .

وضح إذنْ أن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول

للنهوض المنشود ، ولا يرون بأساً بأن يعمل كل إنسان لوطنه ، وأن يقدمه في الوطن على سواه . ثم هم بعد ذلك يؤ يدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية في النهوض ، ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام . ولي أن أقول بعد هذا : إن الاخوان يريدون الخير للعالم كله ، فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء .

وأنا في غنى بعد هذا البيان عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، وبأن كلاً منها يشد أزر الاخرى ويحقق الغاية منها ، فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداها ، فالاخوان المسلمون ليسوا معهم ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس .

الاخوان المسلمون والخلافة

ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الاخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها ، وبيان ذلك أن الاخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الاسلامية ، ومظهر الارتباط بين أمم الاسلام ، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها ، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله ، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ﷺ ودفنه ، حتى فرغوا من تلك المهمة وأطمأنوا إلى انجازها .

والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام ، وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها ، لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حوِّرت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتاً الى الآن .

والاخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم ، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بدَّ منها ، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لا بد أن تسبقها خطوات :

لا بد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الاسلامية كلها ، يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد . و إنَّ المؤتمر البرلماني الاسلامي لقضية فلسطين ودعوة وفود الممالك الاسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق

العرب في الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتان في هذا السبيل . ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الاسلامية ، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على ﴿الإمام﴾ الذي هو واسطة العقد ، ومجتمع الشمل ، ومهوى الأفئدة وظل الله في الأرض .

موقف الاخوان من الهيئات المختلفة

الاخوان المسلمون والهيئات الاسلامية :

الآن وقد أفصحت عن رأي الاخوان وموقفهم في كثير من المسائل العامة التي تشغل أذهان الأمة في هذه الأوقات ، أحب كذلك أن أفصح لحضراتكم عن موقف الاخوان المسلمين من الهيئات الاسلامية في مصر . ذلك أن كثيراً من محبي الخير يتمنون ان تجتمع هذه الهيئات وتتوحد في جمعية إسلامية ترمي عن قوس واحدة ، ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح في هذا البلد .

والإخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصرة الاسلام ، وهم يتمنون لها جميعاً النجاح ، ولم يفتهم أن يجعلوا من منهاجهم التقرب منها والعمل على جمعها وتوحيدها حول الفكرة العامة . وقد تقرر هذا في المؤتمر الدوري الرابع للاخوان بالمنصورة وأسيوط في العام الفائت ، وأبشركم بأن مكتب الإرشاد حين أخذ يعمل على تنفيذ هذا القرار ، وجد روحاً طيبة من كل الهيئات التي اتصل بها وتحدث إليها ، مما يبشر بنجاح المسعى مع الزمن إن شاء الله .

الاخوان والشبان :

كثيراً ما يرد على أذهان الناس هذا السؤال : ما الفرق بين جماعة الإخوان وجماعة الشبان ؟ ولماذا لا تكونان هيئة واحدة تعملان على منهاج واحد ؟

وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان ، وبخاصة هنا في القاهرة ، لا يشعرون بأنهم في ميدان مناقشة ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق ، وأن كثيراً من القضايا الإسلامية العامة يظهر

فيها الإخوان والشبان شيئاً واحداً وجماعة واحدة ؛ إذ أن الغاية العامة مشتركة وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين . وإنما تقع فروق يسيرة في اسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين ، وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد ، والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله .

الاخوان المسلمون والأحزاب :

والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعاً قد وجدت في ظروف خاصة ، ولدواع اكثرها شخصي لا مصلحي وشرح ذلك تعلمونه حضراتكم جميعاً .

ويعتقدون كذلك ان هذه الأحزاب لم تحدد براجها ومناهجها إلى الآن ، فكل منها سيدعي أنه يعمل لمصلحة الأمة في كل نواحي الإصلاح ، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال ، وما وسائل تحقيقها ؟ وما الذي أعد من هذه الوسائل ، وما العقبات التي ينتظر أن تقف في سبيل التنفيذ ، وما أعد لتذليلها ؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب ، فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ ، كما اتفقوا في أمر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية وكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول إليه ، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه .

ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم ، وعطلت مصالحهم ، وأتلفت أخلاقهم ، ومزقت روابطهم ، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر .

ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي ، بل حتى البرلماني ، في غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر . وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية ، فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك في الإمكان .

كما يعتقد الإخوان أن هناك فارقاً بين حرية الرأي والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصحية ـ وهو ما يوجبه الإسلام ـ وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة ، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الأمة وزعزعة سلطان الحكام ، وهو

ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم ، والإسلام في كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون .

هذا مجمل نظرات الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب في مصر . وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب منذ عام تقريباً أن يطرحوا هذه الخصومة جانباً وينضم بعضهم إلى بعض ، كما اقترحوا التوسط في هذه القضية على صاحب السمو الأمير محمد علي وصاحب السمو الأمير عمر طوسون . . كما طلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعاً في هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام .

وإذا كانت الظروف لم تساعد في الماضي على تحقيق هذه الفكرة ، فإننا نعتقد أن هذا العام كان دليلاً على صدق نظرة الإخوان ، وكان مقنعاً لمن كان في شك بأنه لا خير في بقاء هذه الأحزاب ، وسيواصل الإخوان جهودهم في هذا السبيل ، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة ، وبتوالي فشل رجال الأحزاب في ميادينها وسيتحقق قطعاً ناموس الله ﴿ فأما الزَّبدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناسَ فيمكثُ في الأرض ﴾ الرعد .

يظن رجال بعض الأحزاب أننا إنما نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم خدمة لغيره من الأحزاب وجرياً وراء منفعة خاصة ، وليس أدل على خطأ هذه النظرة من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعاً ، فكثير من رجال الوفد يتهم الإخوان المسلمين بأنهم يعملون لمحاربته وبأنه هو وحده المقصود بهذه النعوت والأوصاف ، وبأن الإخوان إنما يحملون الناس على محاربته والانفضاض عنه ، وبأنهم إنما يقصدون بذلك خدمة الحكومة وتقوية الأحزاب الممثلة فيها ، في الوقت الذي نسمع فيه هذه التهمة بعينها من أحزاب الحكومة أيضاً ! فهل هناك دليل أصدق من هذا على أن الإخوان يقفون من الجميع موقفاً واحداً ، ويصدرون فيه عن عقيدتهم ، ويعملون فيه بوحي من ضمائرهم وإيمانهم ؟

أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها : إن اليوم الذي يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجيء بعد ولن يجيء أبداً . وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أياً كان خصومة خاصة به ، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها ، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم .

وبهذه المناسبة أقول : إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ، ويعتقدون أنها مسكّن لا علاج ، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض ، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف . والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون .

الاخوان ومصر الفتاة :

بهذه المناسبة لا بد لي أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من جماعة (مصر الفتاة) . لقد تكونت جماعة الإخوان منذ عشر سنين وتكونت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين ، فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تماماً ، ومع هذا أيضاً شاع في كثير من الأوساط أن جماعة الإخوان من شُعَب مصر الفتاة . وسبب ذلك أن (مصر الفتاة) اعتمدت على الدعاية والإعلان في الوقت الذي آثر فيه الاخوان العمل والانتاج ، وما علينا من ذلك كله فسواء أكان الاخوان هم الذين رسموا لمصر الفتاة طريق الجهاد والعمل للاسلام أم أن (مصر الفتاة) هي التي أظهرت الاخوان وأبرزتهم للناس ، وهم قد ولدوا قبلها وسبقوها إلى الجهاد والميدان بخمس سنوات أي بمثل عمرها ؛ وذلك أمر نظري لا يقيم له الاخوان وزناً ، ولكن الذي أريد أن أنبه إليه في هذه الكلمة أن الاخوان المسلمين لم يكونوا يوماً من الأيام في صفوف (مصر الفتاة) ولا عاملين لها ؛ ولا أقصد بذلك أن أنال منها أو من القائمين بدعوتها ولكن أقول تقريراً للواقع ، وأن جريدة مصر الفتاة هاجمت الاخوان واتهمتهم تهماً غير صحيحة وزعمت أنهم يعتدون عليها ويتهمونها وذلك غير صحيح أيضاً ، ونحن معشر الاخوان لم نعلق على ماكتب أهمية ، ولا نحب أن نؤاخذ بشيء منه ، وأرجو أن يكون ذلك هو شعور الاخوان جميعا .

وأن كثيراً من الناس يود أن لو اتحدت جماعة (مصر الفتاة) مع الاخوان المسلمين ، وهذا شعور ما من شك في أنه جميل نبيل فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير ، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده . في مصر الفتاة من لا يرى الاخوان إلا جماعة وعظية وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم ، وفي الاخوان من يعتقد أن جماعة (مصر الفتاة) لم ينضج في نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الاسلامي الصحيح نضجاً يؤهلهم للمناداة بالدعوة الاسلامية خالصة سليمة ، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز .

وليس معنى هذا أن الاخوان سيحاربون (مصر الفتاة) بل إنه ليسرنا أن يوفق كل عامل للخير وإلى الخير ، ولا يحب الاخوان أن يخلطوا البناء بهدم ، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع .

ذلك موقفنا من (مصر الفتاة) ما دامت قد أعلنت أنها ليست حزباً سياسياً ، وأنها تعمل وستظل تعمل للفكرة الاسلامية و لمبادىء الاسلام ، وفي ذلك الواقع انتصار جديد لمبادىء الاخوان المسلمين .

بقي أمر أخير ذلك هو موقف الاخوان من (مصر الفتاة) في قضية تحطيم الحانات ، ومعلوم أنه ما من غيور في مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة ، وقد ألقى الاخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه ، لأنها هي التي أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفساني ، والاتجاه الجديد القوي الذي طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه . وقديما قيل (قبل أن تأمر الباكي بالكفّ عن البكاء تأمر الضارب أن يرفع العصا) . ونحن نعتقد أن هذا التحدي لم يحن وقته بعد ، ولا بد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه ، وإنفاذه بصورة أخف ضرراً وأبلغ في الدلالة على المقصد ، كلفتِ نظر الحكومة إلى واجبها الاسلامي . وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا ، فقد وجه الاخوان خطاباً إلى معالي وزير العدل ، يلفتون نظر معاليه فيه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها ، وأن يسرع باصدار تشريع يحمي البلاد من هذه المهالك الخلقية .

موقف الاخوان من الدول الاوروبية

بعد هذا البيان عن موقف الاخوان المسلمين ، الذي يمليه عليهم الاسلام، في أهم القضايا الداخلية يحسن أن أتحدث إلى حضراتكم عن موقفهم من الدول الأوروبية :

الاسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة ويشارك بعضها بعضاً في الآلام والآمال . وأن أي عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعاً .

أضحكني وأبكاني حكم فقهي رأيته عرضاً في كتاب « الشرح الصغير على أقرب المسالك » قال مؤلفه : مسألة امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها

ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين . ورأيت مثله قبل ذلك في كتاب « البحر في مذهب الأحناف » رأيت هذا فضحكت وبكيت ، وقلت لنفسي : أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعاً في أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان ؟ ؟

أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الاسلامي واحد لايتجزأ ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله . هذه واحدة ، والثانية أن الاسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم ، سادة في أوطانهم ، بل ليس ذلك فحسب ، بل إن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الاسلام التي اهتدوا بها من قبل .

ومن هنا يعتقد الاخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدي على أوطان الاسلام دولة ظالمة لا بد أن تكف عدوانها ، ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من نيرها .

إن انجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالفتها إياها ، ولا فائدة في أن نقول إن المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغي تعديلها أو يجب إنفاذها ، فهذا كلام لا طائل تحته . والمعاهدة غل في عنق مصر وقيد في يدها ما في ذلك شك ، وهل تستطيع أن تتخلص من هذا القيد إلا بالعمل وحسن الاستعداد ؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان ، فلتعمل على ذلك ولتكتسب الوقت إذا أرادت الحرية والاستقلال .

وإن انجلترا لا تزال تسيء إلى فلسطين وتحاول أن تنقص من حقوق أهلها ، وفلسطين وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الاسلام وباعتبارها مهد الأنبياء ، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله . ففلسطين دَيْن على انجلترا للمسلمين لا تهدأ ثائرتهم حتى توفيهم فيه حقهم ؛ وانجلترا تعلم ذلك العلم ، ذلك ما حداها إلى دعوة ممثلي البلاد الاسلامية إلى مؤتمر لندن . وإنا ننتهز هذه الفرصة فنُذكّرها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تنقص ؛ وبأن هذه الاعمال القاسية التي يدأب ممثلوها على ارتكابها في فلسطين ليست مما يساعد على حسن ظن المسلمين بها ، وخير لها أن تكف هذه الحملات العدوانية عن الأبرياء الأحرار . وإنا لنبعث لسماحة المفتي الأكبر من فوق هذا المنبر أخلص تحيات الاخوان المسلمين وأطيب تمنياتهم ، ولن يضر سماحته ولن يضير آل الحسيني أن تفتش دورهم ويسجن أحرارهم ، فذلك مما يزيدهم شرفاً إلى شرفهم وفخاراً إلى فخارهم ، ونذكر الوفود الاسلامية بمكر انجلترا وخداعها وبوجوب القيام على حقوق العرب كاملة غير منقوصة .

وبهذه المناسبة أذكّر الاخوان بأنه قد تألفت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الاسلامية جميعاً ، للتعاون على إصدار قرش موحد يوزع من أول السنة الهجرية إغاثة لفلسطين المجاهدة ، وسيحل هذا الطابع محل كل الطوابع المختلفة لكل الهيئات . فالوصية للاخوان أن يبذلوا جهدهم في تشجيع هذه اللجنة بتوزيع طوابعها حين صدورها ، وبتصفية ما قد يكون موجوداً لديهم من حساب الطوابع القديمة وإعادتها إلى المكتب لإعدامها .

ولنا حساب بعد ذلك مع انجلترا في الأقاليم الاسلامية التي تحتلها بغير حق ، والتي يفرض الاسلام على أهلها وعلينا معهم أن نعمل لإنقاذها وخلاصها .

أما فرنسا التي ادعت صداقة الاسلام حيناً من الدهر فلها مع المسلمين حساب طويل ، ولا ننسى لها هذا الموقف المخجل مع سورية الشقيقة ، ولا ننسى لها موقفها في قضية المغرب الأقصى والظهير البربري ، ولا ننسى أن كثيراً من إخواننا الأعزاء ، شباب المغرب الأقصى الوطني الحر المجاهد ، في أعماق السجون وأطراف المنافي ، وسيأتي اليوم الذي يصفى فيه هذا الحساب وتلك الأيام نداولها بين الناس .

وليس حسابنا مع إيطاليا بأقل من حسابنا مع فرنسا . فطرابلس، طرابلس العربية المسلمة الجارة القريبة العزيزة ، يعمل الدوتشي ورجاله على إفنائها وإبادة أهلها واستئصالها ومحو كل أثر للعروبة والاسلام منها ؛ وكيف يكون فيها أثر للعروبة والاسلام وقد اعتبرت جزءاً من إيطاليا ؟ ولا يجد الدوتشي بعد ذلك مانعاً يمنعه من أن يدعي أنه حامي الاسلام وأن يطلب بهذا العنوان صداقة المسلمين ! ! ! .

أيها الاخوان المسلمون :

هذا الكلام يدمي القلوب ويفتت الأكباد ! وحسبي هذه الفواجع في هذا البيان ، فتلك سلسلة لا آخر لها ، وأنتم تعرفون هذا . ولكن عليكم أن تبينوه للناس ، وأن تعلّموهم أن الاسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد ، ولو كلفهم ذلك الدم والمال . فالموت خير من هذه الحياة ، حياة العبودية والرق والاستذلال ! وأنتم إن فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلا بد من النصر إن شاء الله : ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورُسلي إن الله قويٌّ عزيز﴾ المجادلة .

خاتمـــة

أيها الاخوان المسلمون :

تقدمت إليكم في هذا البيان بخلاصة وافية موجزة عن فكرتكم في مظهرها الخاص ، واليوم كنت أحب أن أستعرض معكم بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية القائمة في المجتمع المصري - وإن شئتم فقولوا الاسلامي فإن الداء يكون واحدا في الجميع - لولا ضيق الوقت ، ولولا أن ينحصر في واحدة هي : ضعف الأخلاق وفقدان المثل العليا ، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، والجبن عن مواجهة الحقائق ، والهروب من تبعات العلاج ، والفرقة قاتلها الله ، هذا هو الداء . والدواء كلمة واحدة أيضاً هي ضد هذه الأخلاق ، هي علاج النفوس أيها الاخوان وتقويم أخلاق الشعب : ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ الشمس .

أيها الاخوان المسلمون :

لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الايمان بالله ، والزهادة في متعة الحياة الفانية وإيثار دار الخلود ، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق ، وحب الموت في سبيل الله والسير في ذلك كله على هدي القرآن الكريم .

فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

أيها الاخوان المسلمون :

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين ، وحقائق اليوم أحلام الأمس ، وأحلام اليوم حقائق الغد . ولا زال في الوقت متسع ، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد . والضعيف لا يظل ضعيفاً طول حياته ، والقوي لا تدوم قوته أبد الأبدين : ﴿ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضْعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض﴾ القصص .

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام ، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمه ، وإن العالم ينظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من

آلام . وإن الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وترجون من الله ما لا يرجون ، فاستعدوا واعملوا اليوم ، فقد تعجزون عن العمل غداً .

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان ، وإني لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة : ﴿والذين جاهدوا فينا لنَهدينَّهم سُبُلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ وإلى الأمام دائماً .

والله أكبر ولله الحمد .

حسن البنا

مشكلاتنا
في ضوء النظام الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ظهرَ الفسادُ في البر والبحر بما كسبَتْ أيدي
الناس ، ليُذيقَهم بعضَ الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾

سورة الروم

إلى رئيس الحكومة باعتباره المسؤول الأول . .

وإلى أعضاء الهيئات النيابية ـ على اختلافها ـ باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام . .

وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير

وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الانسان .

أوجه هذه الكلمات ، أداء للامانة ، وقياماً بحق الدعوة . .

ألا قدْ بلغت ، اللهم فاشهد . .

نـظـرات ثـلاث

فأما « النظرة الاولى » : فإلى ما وصلت إليه الحال في وطننا العزيز ، وادي النيل ، من فساد تغلغل في كل المرافق ، وشمل كل مظاهر الحياة :

... مطالبنا الوطنية لم نصل فيها إلى شيء ...

وروح الشعب المعنوية محطمة أشد تحطيم بسبب هذا الركود . والشقاق والخلاف يملك نفوس القادة والزعماء ، حاكمين ومحكومين على السواء ...

والجهاز الاداري افسدته المطامع الشخصية ، والغايات الحزبية ، وسوء التصرفات وضعف الأخلاق ، والمركزية القاتلة والاجراءات المعقدة ، والهرب من تحمل التبعات .

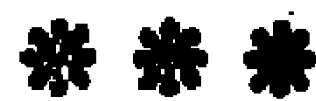
والقانون قد ضعف سلطانه على النفوس والأوضاع لكثرة ما اقتحم عليه من تحايل واستثناءات .

... وشدة الغلاء ، وكثرة المتعطلين لقلة الاعمال ، وانخفاض مستوى المعيشة ـ إلى حد لا يكاد يتصوره إنسان ـ بين الاغلبية العظمى من السكان ، مع نضوب معين الرحمة من القلوب واستيلاء القسوة وروح الجبروت والظلم على النفوس ، كل ذلك أخذ يتحول إلى حال من السخط تتمثل في كثرة الاضرابات ، وتتجلى في كثير من المظاهر والعبارات ...

والاخلاق قد انتهى امرها ـ أو كاد ـ وعصف بها الجهل والفقر والحاجة والفاقة ، وانتشرت الرذائل ومظاهر الانحلال الخلقي في كل مكان ...

والأفكار مبلبلة ، والنفوس قلقة لا تكاد تستقر في شيء على حال .

وكل هذه المعاني تزداد بمرور الايام ، وتتضاعف ساعة بعد ساعة ، وتنذر ببلاء محيط وشر مستطير ، إن لم يتداركها العقلاء قبل فوات الاوان ...



وأما « النظرة الثانية » : فإلى ما وصلت إليه الحال في أوطاننا الغالية العزيزة من بلاد العروبة وأمم الاسلام :

فلسطين : مهددة بهذا الاجتياح الذي انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأميركان والروس والانجليز على السواء ، بفعل الصهيونية العالمية التي سخرت الحكومات والشعوب الغربية بالمال ، مع استعدادها السابق ، بكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا . . .

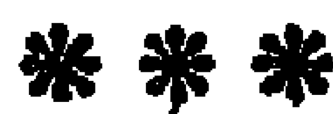
والباكستان الناشئة : تقاسي الأمرين من هذا العدوان الوثني المسلح ، المؤيد بدسائس الاستعمار وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله ، حتى روسيا - التي تتظاهر باحترام إرادات الأمم والشعوب - تتآمر هي الأخرى على الدولة الناشئة إن صح ما وافتنا به اليوم البرقيات والأخبار . . .

وأندونيسيا : التي تبلغ سبعين مليوناً أكثرهم من المسلمين ، تضغط عليها هولندا التي لم تكسر قيد الاحتلال الالماني إلا بيد غيرها من جنود الحلفاء ، وتريد ان تحول بين الشعب المسلم الباسل وبين ما هو حق طبيعي له من حرية واستقلال . . .

وطرابلس الغرب وبرقة : تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدري عواقب هذه اللعنة السياسية إلا الله ، وإن غداً لناظره قريب . . .

وشمال أفريقيا بأقسامه : تونس ، والجزائر ، ومراكش ، يستغيث ولا مغيث ، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والاغلال التي ضربتها من حوله فرنسا ، وحرمته بها حقه في العيش الحر الكريم ، ومن الاستقلال التام . . .

وقل مثل ذلك في كل شعب عربي إسلامي ، فإنك لن تجد واحداً منها قد سلم من مناورات الغصب ، ودسائس الاستعمار . . . هذا في أوضاعه السياسية ، وكلها من حيث الاوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالاً مما تقدم ذكره في وادي النيل . . . وكلنا في الهمّ شرق .



وأما « النظرة الثالثة » : فإلى ما انحدر إليه التفكير بين زعماء العالم وساسة

الشعوب ، والذين أتاحت لهم المقادير ان يكونوا قادة الدنيا في هذه الايام بعد الحرب العالمية الثانية .

لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء ، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الاهداف الجميلة التي نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة ، وجندوا باسمها قوى الامم ضد الظلم والطغيان . . . فالعدالة الاجتماعية ، والحريات الأربع ، ومبادىء ميثاق الامم . . الخ . هذه القائمة الطويلة العريضة من المبادىء السامية والأهداف المغرية ، اصبحت في خبر كان ، ولم تعد لهؤلاء الساسة والزعماء « فلسفة راقية » يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية ، والمطامع الاستعمارية ، ومناطق النفوذ ، والاستيلاء على المواد الخام ! وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً ولا بعد الحرب العالمية الأولى . . . وأصبحت هذه المعاني وحدها هي محور التنافس بين الدول المنتصرة ، روسيا من جانب ، وأمريكا وانجلترا من جانب آخر . وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادىء الاجتماعية الصالحة ، والنظم الإنسانية الفاضلة ، باسم الشيوعية أو الديمقراطية . وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية في كل مكان .

ونتيجة هذا الانحراف ـ الذي هو في حقيقة أمره مسخ لإنسانية بني الإنسان ـ ليست إلا « الحرب الثالثة » المسلحة بالقنابل الذرية ، والغازات الخانقة ، والأسلحة المهلكة ، وما سمعنا وما لم نسمع عنه بعد من معدات الهلاك والدمار التي تمثل ما جاءت به الكتب السماوية من وصف القارعة وهول القيامة ﴿يوم يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنْفوش﴾ القارعة .



هذه هي صورة الحال في وطننا الخاص ، وفي وطننا العربي والإسلامي ، وفي وطننا الإنساني العام ، وإذا لم تقم في الدنيا امة « الدعوة الجديدة » تحمل رسالة الحق والسلام فعلى الدنيا العفاء ، وعلى الإنسانية السلام . .

وإن من واجبنا وفي يدنا شعلة النور وقارورة الدواء ، ان نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا ، فإن نجحنا فذاك ، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة ، وأدينا الامانة ، وأردنا الخير للناس . ولا يصح أبداً ان نحتقر أنفسنا ، فحسب الذين يحملون

الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين ، ولها مخلصين ، وفي سبيلها مجاهدين ، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها . . فهل من مجيب ؟

﴿قلْ إنما أعظُكم بواحدة ، أنْ تَقوموا للهِ مثنى وفُرادى ، ثم تَتَفكَّروا ما بصاحبِكم من جِنَّة إنْ هو إلا نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد﴾ سبأ .

* * *

أي لـون نختـار ؟

﴿صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾
ـ البقرة ـ

تسود مجتمعنا اليوم حيرة . . . وإذا دامت هذه الحيرة فليس وراءها إلا الثورة ، الثورة الهوجاء التي لا غاية لها ، ولا ضابط ولا نظام ولا حدود ، ولا تعقيب إلا الهلاك والدمار والخسارة البالغة ، وبخاصة في هذا العصر الذي لا يرحم ، والذي تتجارى بأهله الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، وفي وطـن كمصر تتطلـع إليه الأنظـار وتتقاذفه المطامع في الداخل والخارج .

هذا الكلام متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر هذا الوطن ، وإنـك لتسمعه من الزعماء والمفكرين ، كما تسمعه من العامة في مجالسهم والمجتمعين في أنديتهم ، وذوي الأعمال في أماكن عملهم ، ومن سائق العربة إذا ركبت معه ، ومن بائع الخضر إذا تحدثت إليه . . وإذا أنكرنا ذلك ، أو تغافلنا عن أثره ، أو استصغرنا نتائجه كنا كالنعامة التـي تدفن رأسها في الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد .

* * *

ومن هذه الثغرة ، وتطبيقاً لهذا القانون الاجتماعي الذي لا يتخلف ، تأمل المبادىء الجديدة والدعوات الجديدة أن تنفذ إلى مصر ، وتكافح في سبيل استيلائها على النفوس المصرية والقلوب المصرية أشد الكفـاح ، وتسـلك إلى ذلك كل سبيل مستطاعـة وغـير مستطاعة . ومن هنا سمعنا كثـيراً من هذه الاصـوات يتـردد في الصـحف السيارة وفي المجـالس والمنتـديات ، فالشيوعية جادة في فرض تعاليمهـا على أبنـاء هذا المجتمـع ، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها ان تقاوم هذا التيار ، ويتوسطهم قوم داعون للاشتراكية ، ويقف بين هؤلاء جميعاً وبين امتنا الاسلام العتيد المستقـر في هذه القلوب أربعة عشر قرناً ، المستولي عليها ، المؤثر فيها بجماله وجلاله وسموه وروعته ، يأبى على الجميع أن ينزل عن مرتبته أو يتخلى عن هذه القلوب التي آمنت به وجاهدت أكرم الجهاد في سبيل إعلائه وبقائه ورفعته ، وردت عنه بهذا الجهاد غارات الصليبيين ، وهجمات التتار ، ومكايد الصهيونية ﴿والله غالـبٌ على أمره ، ولـكنَّ أكثـرَ النـاس لا يعلمون﴾ يوسف .

* * *

ولكن إلى متى هذا التطاحن بين هذه الآراء والأوضاع . وهو إن كان اليوم صغيراً فهو لن يظل كذلك ؟ ! .

وإلى متى ينظر أهل الرأي في مصر إلى هذا الصراع في غفلة وبَلَه وانصراف كأن الأمر لا يعنيهم ، وكأنه يتناول بلداً غير بلدهم وأشخاصاً غير أشخاصهم ؟! . لا مناص لنا من أن نختار .

وإذا لم نختر اليوم ونحن راضون ، فسنقبل غداً ـ بل الغد القريب جداً ـ ونحن مرغمون ، وإني لأرى الوميض خلال الرماد ويوشك أن يكون له ضرام .

***

لا بد من أن نختار لون الحياة الجديدة التي نحياها . ولم تعد أوضاع الحياة الاجتماعية بكل نواحيها في مصر صالحة أمام التطور الجديد في الأخلاق والأفكار وحاجات الناس ؛ والعاقل من تدبر الأمر قبل وقوعه وأعد له عدته .

وأمامنا الشيوعية والاشتراكية ، وهما معتبرتان في منطق التحالف الدولي اليوم من معاني الديمقراطية ، ولا يستطيع الديمقراطيون أن يقدموا غير هذا . وأمامنا كذلك « نظام الاسلام » وتوجيه الاسلام ، وتعاليم الاسلام ، وأحكام الاسلام .

***

ونحن في الحقيقة لسنا مخيرين ولسنا أحراراً في الاختيار ، فإننا جميعاً آمنا بهذا الاسلام الحنيف ديناً ودولة ، واعتبرنا مصر دولة إسلامية ، بل هي زعيمة دول الاسلام . وقال دستورنا صراحة في مادته التاسعة والأربعين بعد المائة : « دين الدولة الرسمي الاسلام ولغتها اللغة العربية » .

وهذا الشعب ـ شعب وادي النيل كله في الشمال وفي الجنوب ـ يدين بهذا الدين الحنيف ، والأقلية غير المسلمة.من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة في كل تعاليمه وأحكامه ، هذا الذي يقول كتابه : ﴿لا ينهاكم اللهُ عن الذينَ لم يُقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تَبروهم وتُقسطوا إليهم إنَّ اللهَ يحبُّ المقسِطين﴾ الممتحنة . والكلام في هذا المعنى مفروغ منه ؛ وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً ـ مسلمين وغ

مسلمين ـ يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف ، فإن من الجميل حقاً أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعاني في كل المناسبات ، ويعتبرون الاسلام معنى من معاني قوميتهم ، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم .

وإذن فلا مناص للحكومة المصرية ، والهيئات المصرية ، والأحزاب المصرية ، من أن تفي بعهدها الشرعي لله ولرسوله ، يوم نطقت بالشهادتين ، فالتزمت الاسلام . وبعهدها المدني الوطني لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور ، ونصت فيه على أن الدين الرسمي هو الاسلام . وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها وخانت أمانة الله والناس عندها ، وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه ، ولا محل اليوم للمداورة والخداع .

وهذا الوفاء سيحمي الوطن مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة ، ويعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس والقلوب ؛ لكنه يستلزم حالاً تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها والمجاهرة بأن وادي النيل هو حامل رسالة الاسلام ومنفذها ومبلغها في غير مواربة ولا وهن ، ولا يغني عن العمل الكلام .

فهل تصيخ الآذان المغلقة إلى هذا النذير ، فتعود إلى حجر الاسلام قولاً وعملاً وتطبيقاً ؟؟ ﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفُسهم حَرَجاً مما قَضيْتَ ويُسلموا تسليماً﴾ النساء .

يا دولة رئيس الحكومة .

ويا رجال الأزهر الشريف .

ويا رؤساء الهيئات والجماعات والأحزاب .

ويا أيها الغيّر على مصلحة هذا الوطن العزيز .

ويا أبناء هذا الوطن جميعاً . .

إليكم أوجه النداء ؛ فإلى تعاليم الاسلام ، ﴿صبغةَ اللهِ ومَنْ أحسنُ من اللهِ صبغةً ونحن له عابدون﴾ البقرة .

ألا قد بلغت . . . اللهم فاشهد .

اعتـراضـات

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يُسارعون فيهم يَقولون نخشى أن تُصيبنَا دائرة ، فعسى الله أن يأتيَ بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين﴾

ـ المائدة ـ

دعوت قومي إلى أن يختاروا ، أو بعبارة أصح وأوضح ، إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع انفسهم ، فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الاسلام الحنيف ، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التي شملت كل شيء ، والتي وقفت بنا عن كل تقدم ، والتي حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوي إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة في الداخل والخارج . وقلت إنه لا سبيل إلى النجاة إلا هذا الاتجاه عقيدة وعملاً بكل ما نستطيع من حزم وسرعة .

وقد يقال : كيف ذلك والحياة العصرية في العالم كله لا تقوم على أساس الدين في أية ناحية من نواحيها ، وقد اصطلحت أمم العالم ، التي بيدها اليوم مقاليد الامور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب ، على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد ، وهي وحدها نافذة المؤمن التي يتصل منها بالله .

والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا « الاسلام » ، ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه ، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم . . من أنه دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ، ودنيا وآخرة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية ؛ وإن كان قد أقام الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب ، وحياة الوجدان ، ومراقبة الله ، وطهر النفس . فالدين على هذا جزء من نظام الاسلام ، والاسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تماماً . ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الاسلامية : ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ المائدة .

ومن هنا فرق الفقهاء في النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام المعاملات وشؤون الحياة الاجتماعية ، فأفسح للنظر والاجتهاد في الثانية ما ليس في الأولى ، حتى لا

يكون على الناس في ذلك حرج ولا مشقة ﴿يُريدُ اللهُ بكم اليسرَ ولا يُريدُ بكم العُسرَ﴾ البقرة . وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور .

***

وقد يقال : إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد ، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظماً جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلاً ، في أرض غير أرضنا ، وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا ؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والإرتقاء ؟

ونقول لهؤلاء كذلك إنكم أيضاً لم تفهموا طبيعة الاسلام الحنيف ، الذي جاء للناس فكرة سامية تحدد الاهداف العليا ، وتضع القواعد الأساسية ، وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط في الجزئيات ؛ وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشيء منها .

وهذا تاريخ التشريع الاسلامي يحدثنا أن ابن عمر رضي الله عنه كان يفتي في الموسم في القضية من القضايا برأي ، ثم تعرض عليه في الموسم التالي من العام القابل فيفتي برأي آخر . فيقال له في ذلك ، فيقول : ذاك على ما علمنا ، وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه .

كما يحدثنا ان الشافعي رضي الله عنه وضع بالعراق مذهبه القديم ، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة ، وتمشياً مع مظاهر الحياة الجديدة ، من غير ان يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الاسلامية الكلية الأولى . . . وأصبحنا نسمع : « قال الشافعي في القديم ، وقال الشافعي في الجديد » . ونرى تغير رأي الرجل الواحد في القضية الواحدة بحسب الزمان تارة ـ كما فعل ابن عمر ـ وبحسب المكان تارة اخرى ـ كما فعل الشافعي ـ أو بحسبهما معا كما سمعنا أنَّ عمر رضي الله عنه أمرَ بعدم القطع في السرقة عام المجاعة ، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام وملبس . . . إلخ . فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً : « إذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت » واعتبرها شبهة تدرأ الحد ، ولاحظ الظروف والملابسات . .

فهل يقال بعد هذا إن في الرجوع إلى النظام الاسلامي رجعية وجموداً ، وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ، وتساير مقتضيات التقدم ، وتتمتع بمعاني المرونة والسلاسة

والسعة كشريعة الاسلام الحنيف : ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ المائدة .

وقد يقال إن الجهر بالعودة إلى نظام الاسلام مما يخيف الدول الاجنبية والأمم الغربية ، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا ، ولا طاقة لنا بها ، ولا يدرة لنا عليها . وهذا منتهى الوهن ، وغاية الفساد في التقدير وقصر النظر . وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها في نظمها ، وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها في تقاليدها ، فهل أغنى ذلك عنا شيئاً ؟! وهل دفع عنا من كيدها ؟ وهل منعها من أن تحتل ارضنا ، وتسلب استقلالنا ، وتستأثر بخيرات بلادنا ، ثم تتجمع في كل مؤتمر أو مجتمع دولي ضد حقوقنا ، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات في وجوهنا ، ولا تتأثر إلا بشيء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط . ولا يعنيها بعد ذلك إلا أنها نصرانية ، فقد رأيناها في الحرب الماضية يحطم بعضها بعضاً ، وكلها مسيحية ، وتتملق مع هذا دول الاسلام وأممه وشعوبه وتتزلف إليه بمعسول وحلو الحديث . وهاهم أولاء جميعاً يناصرون الصهيونية اليهودية وهي أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة . وقد أصبح هذا المعنى معلوماً في تصرفات كل الساسة الغربيين .

إذن فلن يجدينا شيئاً عندهم أن نتنصل من الاسلام ، ولن يزيدهم فينا بغضاً أن نعلن التمسك به والاهتداء بهديه ، وبخاصة وهم الآن معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها .

ولكن خطر التنصل من الاسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن ، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه ، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا ، متفرقين فتضعف قوتنا . ولو أخذنا بالحزم واعلناها صريحة واضحة : اننا معشر أمم الاسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذي يزعمون ، ولكننا بحمد الله مسلمون ، لارتسمت امامنا تواً طريق الهداية والنور ، ولجمعتنا كلمة الاسلام ، ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعاً في اقطار الأرض . . . وفي ذلك وحده ـ ولا شيء غيره ـ القوة والمنقذ أمام هذا العدوان الغربي الاستعماري الجارف الذي يهددنا في كل مكان .

وخلاصة هذا الكلام في إيجاز : اننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم في تمسكنا بالاسلام أو بعدنا عنه ، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالاسلام فلن نكسب رضاهم وسنخسر أنفسنا ، في حين اننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا

أنفسنا ولا شك ، وكان هناك احتمال قوي ان نكسبهم أيضاً بتأثير قوة الوحدة فأي الرأيين أولى بالاتباع يا أولى الألباب ؟!

أما اعتراض الاقليات غير المسلمة فقد أشرنا إليه من قبل ولا نريد أن نطيل فيه القول اليوم ، فالأمر أوضح من أن يكون موضع مراء .

إنه ليس امام الأمم الاسلامية اليوم إلا هذه الفرصة ، وإن الدول الغربية تدرك هذا تماماً ، فهي تشغلنا بأنفسنا ، وتزيدنا حيرة على حيرة ، وليس في الوقت متسع للتردد ، وإن تبعة من لا يعلم في عنق من يعلم ، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم .

فيا رئيس الحكومة . . ويا رجال الأزهر الشريف . . .

ويا أعضاء الجماعات والأحزاب ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن .

ويا أبناءه جميعاً . . إليكم أوجه القول :

عودوا إلى الاسلام تغنموا وتسلموا :

﴿إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى اللهِ ورسوله ليحكُمَ بينَهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ النور .

الا قد بلغت . . . اللهم فاشهد .

قضيتنا الوطنية . . .

وكيف تحل في ضوء التوجيه الإسلامي

حقوقنا الوطنية معروفة ، أعلنتها الامة بكل وضوح وجلاء على لسان أحزابها وهيئاتها وجماعاتها وأفرادها في كل المناسبات ، وهي : تحقيق وحدة وادي النيل جنوبه وشماله ، وجلاء القوات الاجنبية عنه جميعاً ، لتتم بذلك حقيقة حريته واستقلاله .

والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها ، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها ، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها ، ويقول نبيه ﷺ : « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس مني » . وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التي يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة ، ولا ترضى تعاليمه أبداً بأن تسود أمة أو يرهق شعب شعباً آخر ، ولا تزال كلمة عمر الفاروق رضي الله عنه ترن في الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص : « متى تعبَّدتُّم الناس وقد ولدتهم أمهاتُهم أحراراً » .

ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه ، وانطلق غازياً في أرض الله ، لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية ، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الامم والشعوب ليستأثر بها دونها وان امتلأت يداه منها بغير قصد منه . . ولكن كان يؤمن بدعوة ويحمل رسالة ، ويحمي في العالم مبادىء الحق والعدل والسلام. وتاريخ الصدر الأول من أئمة المسلمين الراشدين المهديين ـ وهم الحجة للاسلام ـ يعطيك هذه الصورة بينة المعالم ، واضحة الحدود .

والاسلام مع هذا يعتبر الامة الاسلامية أمينة على رسالة الله في أرضه ، ولها في العالم مرتبة الاستاذية ـ ولا نقول مرتبة السيادة ـ بحكم هذه الامانة ، فلا يسمح لها أن تذل لأحد ، أو تستعبد لأحد ، أو تلين قناتها لغامز أو تخضع لغاصب معتدٍ أثيم : ﴿ولن يجعلَ اللهُ للكافرين على المؤمنينَ سبيلاً﴾ النساء .

ويوم قرر الاسلام هذا ، قرر الطريق العملي لحماية هذه الحرية . فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة ، وفرض عين على كل أبناء الامة لرد العدوان على الوطن إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين ، وجعل الشهادة أعلى

مراتب الايمان ، ووعد المجاهدين النصر والتأييد في الدنيا ، والخلود والبقاء والنعيم المقيم في الآخرة ، وأعلن أن الجهاد أفضل الاعمال بعد الايمان : ﴿الذينَ آمنوا وهاجَروا وجاهدوا في سبيلِ اللهِ بأموالهم وأنفُسِهم أعظمُ درجةً عندَ اللهِ ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبداً ، إن الله عنده أجر عظيم﴾ التوبة .

ومع هذا فقد رحب الاسلام بالوسائل السلمية وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه : ﴿وإن جنَحوا للسَّلم فاجْنَحْ لها وتوكلْ على الله﴾ الانفال . وما خُيِّرَ النبيﷺ بين امرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرماً . ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت الى الحق الكامل ، وقد فاوض رسول اللهﷺ في الحديبية . . ومن السلم التحاكم إذا أدى الى هذا الحق أيضاً ، وإن كنا لا نعلم أن رسول اللهﷺ ـ أو أحداً من الخلفاء الراشدين المهديين ـ رضي بتحكيم كافر ، ولكنه مقتضى عموم الآية ، ولازم الاتفاق على الخير، الذي لا يمنعه الاسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم .

فإذا فشلت هذه الجهود السلمية فإن رأي الاسلام صريح في « النبذ » الذي يتضمن إعلان الخصومة ، ثم الأخذ تواً بكل وسيلة من وسائل الجهاد : ﴿وإمّا تخافَنَّ من قوم خيانة فانْبِذْ إليهم على سواء ، ان الله لا يحبُ الخائنين . ولا يَحسبنَّ الذين كفروا سبَقوا إنهم لا يعجزون . واعدّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رِباطِ الخيل تُرهِبونَ به عدوَّ اللهِ وعدوكم﴾ الانفال . وقد وعد الله المجاهدين للحق أن يدافع عنهم ، وينصرهم لا محالة على أعدائهم مهما يكن عدوهم كامل الاهبة ، عظيم العدد ، موفور العدة ، قوي الوسائل . وعليهم ألا يعبأوا بذلك ، وأن يعتمدوا على الله وحده : ﴿وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين﴾ . هذه الأحكام جميعاً مقررة في الاسلام ، يعرفها بتفصيل اوسع واستدلال اقوى وادق وأحكم كل من نهل من معينه ، وأخذ بحظ من الفقه فيه . وعلى ضوئها نستطيع ان نحل قضيتنا الوطنية التي وصلت الى حد من الارتباك ، تبلبلت معه الخواطر ، واضطربت الأذهان ، وإليك بيان ذلك :

لقد فاوضنا فلم نصل إلى شيء لتعنُّت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم . .

واحتكمنا فلم نصل إلى شيء كذلك ، امام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية ، ولقد قال كاتب فاضل : إننا وصلنا إلى كسب أدبي عظيم بالدعاية الواسعة

لقضيتنا بطرحها أمام أنظار العالم كله ، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائي الضيق ، إلى حيز التحاكم الدولي الواسع ، وذلك صحيح . ولكن هذا الكسب الادبي لن يغني عن الحقيقة الواقعة شيئاً ، وهي اننا ما زلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نتقدم خطوة ، بل ان هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤ ل والبلبلة .

لم يبق إذن إلا «النبذ على سواء» بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر في صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات ، ونعلن اعتبار امة الوادي معهم في حالة حرب ـ ولو سلبية ـ وننظم حياتنا على هذا الاعتبار .

اقتصادياً : بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت .

واجتماعياً : تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية .

وعملياً : بتدريب الشعب كله تدريباً عسكرياً حتى يأتي امر الله .

وتُهيأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة ، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية ، وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس .

وهذا العمل لا يتسنى للافراد ولا للهيئات ابتداء ، ولكن الحكومة هي المسؤ ولة عنه أولاً وآخراً . والعجيب أن رئيس الحكومة أعلن هذا صراحة في مجلس الامن ، ثم عاد فلم يعمل شيئاً ، ولم يتقدم في هذا السبيل خطوة . . هذا واجب الحكومة قطعاً .

واما الشعب ، فنحن نقولها في صراحة ووضوح وثقة ، إنه على أتم استعداد لبذل كل شيء لو سلكت الحكومة هذا السبيل ، إنه مستعد ليجوع ويعرى . . . وليموت ويناضل ، ويكافح بأشد انواع النضال والكفاح . . ولكن على شريطة ان يكون ذلك في سبيل حريته واستقلاله لا في سبيل ارتباك اللجان الحكومية ، وضعف الوسائل الإدارية ، والتخبط في السياسة الاقتصادية ، والوقوف امام مكايد الانجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين .

لقد سمعت عاملاً فقيراً يقول حين صدرت الأوامر بخلط الخبز : إنني مستعد أنا وأولادي أن نأكل كل يوم مرة واحدة ، إذا وثقنا من أن هذا في سبيل الحرية والتخلص من الانجليز ، ولكني ساخط كل السخط لأني لا افهم لماذا نلجأ إلى هذا الخلط ونحن بلد

زراعي اعظم محصوله المواد الغذائية ؟!

فالشعب على اتم استعداد للبذل ، ولكن في طريق واضحة مرسومة تؤدي إلى الحرية أو الشهادة ، بقيادة حكومة حازمة ترسم له في قوة وإخلاص مراحل هذا الطريق . اما إذا استمرت الحكومة في ترددها وتراخيها واضطرابها ، فلن يؤدي ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين ، إما أن يثور ، وإما ان يموت ، وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبداً التاريخ .

فيا دولة رئيس الحكومة . ويا رجال الأزهر الشريف . . ويا زعماء الهيئات والأحزاب . . ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن ويا ابناء الامة جميعاً :

هذه هي الطريق فاسلكوها في ضوء الإسلام ، والله معكم . ألا قد بلغت . . اللهم فاشهد .

وحدتنا في ضوء التوجيه الإسلامي

﴿وإن هذه امتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون﴾
- المؤمنون -

بالامس وضعت بين يدي قومي ، في قضيتنا الوطنية الخاصة ، توجيه الاسلام الذي هو أخصر الطرق كلها حلاً حاسماً كريماً ، والذي لا يعدو النبذ بالخصومة ، وإعداد وسائل الجهاد . ومتى فعلنا ذلك ، فقد خرجنا ولا شك من هذه الحيرة ، ووجدنا الجواب الصحيح لهذا السؤال الذي يتحرك به كل لسان ، ويتردد في خاطر كل مواطن : « ماذا نعمل الآن » .

والحق أننا لا نحار لأننا لا نريد أن نفعل شيئاً ، ونهرب من تبعات العمل ، ونفر من ثقل التضحيات وتكاليف الكفاح ، ونلتمس اللين والسهولة دائماً ، ولا نفكر في سواهما . ونتصور أن الحرية والاستقلال يهبطان من السماء بغير عمل ، والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ولا تفيض بحرية أو استقلال . . ولو كنا جادين حقيقة في الطلب ، لسرنا في الطريق بعد أن عرفناه في كلمتين اثنتين « ننبذ ، ونجاهد » ، والنصر بعد ذلك من عند الله .

* * *

والآن أعرض لموضوع آخر يتصل بقضيتنا الوطنية العامة ، التي تنتظم قضايا الأمة العربية بمختلف شعوبها ، والعالم الإسلامي كله ، لنرى كيف تحل هي الأخرى في ضوء توجيه الإسلام الحنيف .

معلوم أن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعاً ، لا فرق بين عربي ولا عجمي أو شرقي وغربي : ﴿تبارَكَ الذي نزَّلَ الفرقانَ على عبده ليكونَ للعالمينَ نذيراً﴾ الفرقان . ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية ، وأعلن الأخوة الانسانية ، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة في تاريخ البشر : ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربكم الذي خَلَقَكم من نفس واحدة وخلقَ منها زَوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تَساءَلونَ به والارحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ النساء .

ومعلوم أن الاسلام كذلك قد قرر من باب الأولى أقوى معاني الاخوة بين المؤمنين

به والمنتسبين إليه والمعتقدين لرسالته ، حتى جعل الاخوة معنى من معاني الإيمان ، بل هي أكمل معانيه : ﴿إنما المؤمنونَ إخوة﴾ و « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه » ، « ومثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً » .

***

ويوم واجه المسلمون العالم كله صفاً واحداً وقلباً واحداً ، في ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة ، لم تلبث أمامهم ممالك الروابط الإدارية او السياسية المجردة ساعة من نهار ، وانهزم أمامهم ـ بغير نظام ـ الروم والفرس على السواء . وكوَّنوا إمبراطورية ضخمة تمتد من المحيط الى المحيط ، ذات علم وحضارة ، وقوة وإشراق .

ويوم غفلوا عن سر قوتهم ولم يأخذوا بهدي كتابهم ﴿ولا تَنازَعوا فتَفْشلوا وتذهبَ ريحكم ، واصبروا إنَّ اللهَ مع الصابرين﴾ الانفال . ودب إليهم داء الامم من قبلهم ، من تغليب المصالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية الباقية . . . تمزقت هذه الامبراطورية أيدي سبأ ، ولعبت بها المطامع الداخلية والخارجية ، وانتهى أمرها مؤخراً بعد الحرب العالمية الأولى الى الانهيار ، والوقوع في أسر خصومها من غير المسلمين ، الذين احتلوا أرضها ، وملكوا أمرها وتقاسموها فيها بينهم ، وظنوا انه قد انتهى امر الاسلام وختمت الحرب الصليبية أفضل ختام .

وكانت الدسيسة الكبرى التي اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً ، ثم أرضهم وبلادهم ثانياً ، هي تأثرهم بالعنصرية والشعوبية ، واعتداد كل أمة منهم بجنسها ، وتناسي ما جاء به الاسلام من القضاء على عصبية الجاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب .

***

وقد انتهت الحرب العالمية الثانية ، التي قضت على العنصريات الحديثة في أوربا ، عنصرية النازية والفاشية ، فرأينا بعدها الدول الأوربية الكبرى تسعى سعياً حثيثاً الى التجمع والتكتل ، باسم العنصريات تارة ، والمصالح تارة أخرى . . فروسيا تحاول أن تجمع العنصر الصقلبي بكل شعوبه تحت لواء الاتحاد السوفييتي . وانجلترا وامريكا

تتجمعان باسم الجنس واللغة ، ثم تتقاسمان بعد ذلك امم العالم ومناطق النفوذ في الأرض باسم المصالح والضرورات الحيوية . وتستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الامم المتحدة لتوهم الناس انها تزكي العالمية ، وتعمل لخير بني الإنسان ، كما رأينا هذه الدول نفسها تتجمع ضد حقوقنا الوطنية ، وتخذلنا في كل قضية من قضايانا الجوهرية ، سواء عرضت على مجلس الامن أم في هيئة الامم المتحدة ، كما حدث في قضية مصر ، وفي قضية فلسطين ، وفي قضية اندونيسيا .

***

نحن امام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة ، وأمام تشابه قضايانا وتشاكلها ، فهي كلها قضية واحدة ، معناها استكمال الحرية والاستقلال ، وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار . لابد أن نلجأ من جديد الى ما فرضه الاسلام على أبنائه منذ اول يوم ، حين جعل الوحدة معنى من معاني الإيمان . . . يجب ان نتكتل ونتوحد . وقد بدأنا بالجامعة العربية ، وهي وإن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل ، إلا أنها نواة طيبة مباركة على كل حال . فعلينا أن ندعمها ونقويها ، ونخلّصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل . وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الاسلام ـ عربية وغير عربية ـ فتكون نواة (لهيئة الامم الاسلامية) بإذن الله . . .

وبهذه الطريقة ، التي ستضيف الى وسائلنا الخاصة بكل أمة ، من النبذ والجهاد ، معنى آخر من معاني القوة ، هو الوحدة والتجمع ، نستطيع أن نتخلص ، وأن نحفظ التوازن العالمي بين الأمم الطامعة ، والدول المتنافسة على المغانم والحطام .

والمسؤول عن تحقيقّ هذه الخطوات ، الحكومات العربية والاسلامية جميعاً ، وكل دعاة الإصلاح في هذه الشعوب من رسميين وأهليين .

واليوم أوجّه النداء : ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقوا﴾ .

ألا قد بلغت . اللهم فاشهد .

مشكلاتنا الداخلية

في ضوء النظام الإسلامي

نظام الحكم

١ ـ نـظام الحـكـم

﴿وأن احكُم بينهم بما أنزلَ اللهُ ، ولا تتبع أهواءَهم ،
واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزلَ اللهُ إليك﴾ .
ـ المائدة ـ

الحـكومـة فـي الإسـلام

يفترض الاسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام ، ولقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه : « إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه » ، كما قال في حديث آخر لبعض أصحابه كذلك : « وإذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلاً » .

فمن ظن أن الدين ـ أو بعبارة أدق الاسلام ـ لا يعرض للسياسة ، أو أن السياسة ليست من مباحثه ، فقد ظلم نفسه ، وظلم علمه بهذا الاسلام ؛ ولا أقول ظلم الاسلام فإن الاسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . وجميل قول الإمام الغزالي رضي الله عنه : « إعلم أن الشريعة أصـل ، والملك حارس ، ومـا لا أصـل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع » فلا تقوم الدولة الاسلامية إلا على أساس الدعوة ، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة ، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها . كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها .

* * *

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الاصل ، ففصلنا الدين عن السياسة عملياً ، وإن كنا لم نستطع ان نتنكر له نظرياً ، فنصصنـا في دستورنـا على ان دين الدولـة الرسمـي هو الاسلام ، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية ان يفسدوا الذوق الاسلامي في الرؤوس ، والنظرة الاسلامية في النفوس ، والجمال الاسلامي في الأوضـاع ، باعتقادهـم وإعلانهـم وعملهـم على ان يباعـدوا دائماً بـين توجيه الـدين ومقتضيات السياسة ، وهذا اول الوهن واصل الفساد .

دعائم الحكم الاسلامي

والحكومة في الاسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة ، هي الهيكل الاساسي لنظام الحكم الاسلامي . . فهي تقوم على مسؤ ولية الحاكم ووحدة الامة واحترام إرادتها ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال .

مسؤولية الحاكم

فالحاكم مسؤول بين يدي الله وبين الناس ، وهو أجير لهم وعامل لديهم ، ورسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤ ول عن رعيته » ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول عندما وَلِيَ الامرَ وصعد المنبر : « أيها الناس ، كنت أحترفُ لعيالي فأكتسب قوتَهم ، فأنا الآن احترف لكم ، فافرضوا لي من بيت مالكم » . وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعي افضل واعدل تفسير ، بل هو وضع اساسه ، فما هو إلا تعاقد بين الامة والحاكم على رعاية المصالح العامة ،فإن أحسن فله اجره ، وإن اساء فعليه عقابه .

وحدة الأمة

والأمة الاسلامية واحدة ، لأن الاخوة التي جمع الاسلام عليها القلوب أصل من اصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها . ولا يمنع ذلك حرية الرأي وبذل النصح من الصغير إلى الكبير ، ومن الكبير إلى الصغير ، وذلك هو المعبر عنه في عرف الاسلام ببذل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » وقال : « إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منها » ، وفي رواية : « وبطن الأرض خير لهم من ظهرها » ، وقال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

ولا تكون الفرقة في الشؤ ون الجوهرية في الامة الاسلامية ، لان نظام الحياة الاجتماعية الذي يضمها نظام واحد هو الاسلام ، معترف به من أبنائها جميعها . والخلاف في الفروع لا يضر ، ولا يوجب بغضاً ولا خصومة ولا حزبية يدور معها الحكم كما تدور . . ولكنه يستلزم البحث والتمحيص ، والتشاور وبذل النصيحة ، فما كان من

المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه ، وما لا نص فيه فقرار ولي الامر يجمع الامة عليه ، ولا شيء بعد هذا .

احترام إرادة الأمـة

ومن حق الامة الاسلامية ان تراقب الحاكم أدق مراقبة ، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير . وعليه ان يشاورها وان يحترم إرادتها ، وأن يأخذ بالصالح من آرائها ، وقد أمر الله الحاكمين بذلك ، فقال : ﴿وشاورهم في الأمر﴾ آل عمـران . وأثنـى به على المؤمنين خيراً : فقال : ﴿وأمرُهم شورى بينهم﴾ الشـورى . ونصت على ذلك سنة رسول الله ﷺ والخلفـاء الراشدين المهديين من بعده : إذا جاءهـم أمر جمعـوا اهل الـرأي من المسلمين ، واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم ، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه . فيقول أبو بكر رضي الله عنه : « فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني أو قوموني » ، ويقول عمر بن الخطـاب : « من رأى فيَّ اعوجاجاً فليقومه » .

و« النظام الإسلامي » في هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الاساسية التي لا يكون الحكم صالحاً بدونها ، ومتى طبقت تطبيقاً يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض . ولا يمكن ان يحفظ هذا التوازان بغـير الوجـدان الحـي والشعور الحقيقي بقدسية هذه التعاليم ، وإن في المحافظة عليها وصيانتها الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة ، وهو ما يعبرون عنه في الاصطلاح الحديث « بالوعـي القومـي » او « النضج السياسي » أو « التربية الوطنية » او نحو هذه الالفاظ ، ومردها جميعاً إلى حقيقة واحدة هي اعتقاد صلاحية النظام ، والشعور بفائدة المحافظة عليه . . . إذ أن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه .

ونحن في حياتنا العصرية قد نقلنا من أوربا هذا النظام النيابي الذي تعيش في ظله حكوماتنا الآن ، ووضعنا دستورنا على اساسه ، وتغير هذا الدستور مرة باسمه كذلك ، وجرَّبنا الكثير من آثاره ، فإلى أي مدى ينطبق هذا النظام على الاسلام ؟ وإلى أي مدى كانت فائدتنا منه طول هذه المدة ؟

ذلك ما سنعرض له إن شاء الله .

٢ ـ نظام الحكم

﴿أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾
ـ المائدة ـ

قدمت في الكلمة السابقة أن الدعائم التي يقوم عليها نظام الحكم الاسلامي ثلاث :

(أ) مسؤولية الحاكم .

(ب) ووحدة الامة .

(ج) واحترام إرادتها .

ولقد تحقق هذا النظام بأكمل صورة في عهد الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ ، فكانوا يشعرون أتم الشعور بالتبعات الملقاة على كواهلهم كحكام مسؤولين عن رعاياهم ، ويظهر ذلك في كل أقوالهم وتصرفاتهم وحسبك ان تقرأ ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي الخلافة ، وعمر بن عبد العزيز حين وليها كذلك . وجاءت سيرتاهما مطابقتين لقولهما « أيها الناس قد وُلّيتُ عليكم ، ولولا رجاء ان أكون خيركم لكم ، واقواكم عليكم ، وأشدكم اضطلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، وكفى عمرَ مُهِماً مُحزِناً انتظار موافقة الحساب ، بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها اين أضعها ، وبالسير منكم كيف أسير فربي المستعان » فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده ، وكان يقول : « لو أن جملاً هلك ضَيَاعاً بشط الفرات لخشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب » .

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته : « اما بعد ، فإنه ليس بعد نبيكم ﷺ نبيٌّ ، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب . ألا ما أحل الله عز وجل حلال الى يوم القيامة ، وما حرم الله حرام الى يوم القيامة ، ألا لست بقاضٍ ولكنني منفذ ، ألا وإنني لست بمبتدع ولكني متبع ، ألا إنه ليس لأحد ان يطاع في معصية الله عز وجل ، ألا إني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني اثقلكم حملاً » . وقُدِّمَتْ إليه مراكب الخلافة بعد دفن سليمان بن عبد الملك فأمر بتأخيرها ، وركب بغلته وعاد الى منزله ، فدخل عليه مولاه مُزاحم فقال : يا امير المؤمنين لعلك مهتم ؟! فقال : « بمثل هذا الامر الذي نزل بي

اهتممت ، إنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب أحد إلا له قِبَلي حق يحق عليّ أداؤ ه إليه ، غير كاتب اليّ فيه ولا طالبه مني » .

وكانت الامة مجتمعة الكلمة باستمساكها بأهداب الدين ، واعتقادها فضل ما جاء به من احكام ، ورعايتها لأمر رسول الله ﷺ وتشديده في الوحدة حتى امر بقتل من فارق الجماعة او خرج على الطاعة ، فقال : « من اتاكم وأمركم جميع يريد ان يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائناً من كان» ، كما قال: «من خرج على الطاعة وخالف الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عَمِيَّة[1] يغضب لعصبَة ، أو يدعو الى عَصَبَة ، او ينصر عَصَبَة[2] ، فقتل ، فقِتلة جاهلية . ومن خرج على أمتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤ منها ، ولا يفي ذا عهد عهده ، فليس مني ولست منه » .

كما كانت إرادتها محترمة مقدورة ، فما كان ابو بكر يمضي في الناس أمراً إلا بعد أن يستشيرهم وخصوصاً فيما لا نص فيه ، وكذلك كان عمر بن الخطاب ، فقد جعل الخلافة من بعده شورى في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

وقلت في الكلمة السابقة أيضاً إننا نقلنا هذا النظام النيابي ، الذي تعيش حكومتنا في ظله ، عن أوربا ، فإلى أي مدى ينطبق على الاسلام ؟ وما الذي افدناه منه منذ طبق في عهده الاخير في بلادنا إلى الآن ، وهي مدة تبلغ ربع قرن من الزمان تقريباً ؟

موقف الإسلام
من النظام النيابي والدستور المصري

يقول علماء الفقه الدستوري إن النظام النيابي يقوم على مسؤ ولية الحاكم ، وسلطة الأمة ، واحترام إرادتها ، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها ، وليست الفرقة والخلاف شرطاً فيه ، وإن كان بعضهم يقول إن من دعائم النظام النيابي البرلماني :

---

(١) عميّة : أي فتنة وجهالة .

(٢) عصبة الرجل : أقاربه . والمعنى : يقاتل ويدعو وينصر لا لنصرة الدين والحق ، بل لمحض التعصب لقومه وهواه .

الحزبية . ولكن هذا إذا كان عرفاً فليس أصلاً في قيام هذا النظام ، لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده الاصلية .

وعلى هذا فليس في قواعد هذا النظام النيابي ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الاسلام لنظام الحكم ، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيداً عن النظام الاسلامي ولا غريباً عنه . وبهذا الاعتبار يمكن أيضاً ان نقول في اطمئنان إن القواعد الاساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الاسلام ، وليست بعيدة من النظام الاسلامي ولا غريبة عنه ، بل إن واضعي الدستور المصري رغم انهم وضعوه على احدث المبادىء والآراء الدستورية وأرقاها ، فقد توخوا فيه ألا يصطدم اي نص من نصوصه بالقواعد الاسلامية ، فهي إما متمشية معها صراحة كالنص الذي يقول : « دين الدولة الاسلام » او قابلة للتفسير الذي يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذي يقول : « حرية الاعتقاد مكفولة » .

وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها المحاكم ، إذ ان كثيراً من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الاسلام ، وذلك بحث آخر سنعرض له في موضعه إن شاء الله .

ومع أن النظام النيابي والدستور المصري في قواعدهما الأساسية لا يتنافيان مع ما وضعه الاسلام في نظام الحكم ، فإننا نصرح بأن هناك قصوراً في عبارات الدستور ، وسوءاً في التطبيق ، وتقصيراً في حماية القواعد الأساسية التي جاء بها الاسلام وقام عليها الدستور ، أدت جميعاً الى ما نشكو منه من فساد ، وما وقعنا فيه من اضطراب في كل هذه الحياة النيابية .

وستتناول هذا الإيجاز بشيء من البيان .

مسؤولية الحاكم ـ الوزراة

فأما عن مسؤولية الحاكم فإن الأصل فيها في النظام الاسلامي ان المسؤول فيها هو رئيس الدولة كائناً من كان ، له ان يتصرف ، وعليه ان يقدم حساب تصرفه للأمة ، فإن أحسن أعانته وإن اساء قومته . ولا مانع في الاسلام في أن يفوض رئيس الدرلة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسؤولية ، كما عرف ذلك في « وزارات التفويض » في

كثير من العهود الاسلامية ، ورخّص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة ، والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة . قال الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية : « والوزارة على ضربين ، وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ . فأما وزارة التفويض فهو ان يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الامور برأيه ، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده ، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة . قال تعالى حكاية عن نبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿واجعلْ لي وزيراً من أهْلي . هٰرونَ أخي . أُشددْ به أزري . وأشركْهُ في أمري﴾ طـه . فإذا جاز ذلك في النبوّة كان في الإمامة أجوز ، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر بها على نفسه ، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل » .

والأصل في هذه المسؤولية في النظام النيابي ، أن المسؤول هو الوزارة ولا مسؤولية على رئيس الدولة ، وقد جرى على هذا الوضع الدستور المصري والدستور الانجليزي ، فصرح كل منهما بمسؤولية الوزارة ، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسؤولية واعتباره لا يخطىء ، واعتبار ذاته مصونة لا تمس .

على انه لا مانع في النظام النيابي من تحمل رئيس الدولة المسؤولية واعتبار الوزارة تابعة له في ذلك ، كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة . والغريب ان تشير كتب الفقه الاسلامي الى هذا الوضع أيضاً ، وتسمى هذه الوزارة « وزارة التنفيذ » فيقول الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » أيضاً : « وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف ، وشروطها أقل ، لأن النظر مقصور فيها على رأي الإمام وتدبيره ، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة ، يؤدي عنه ما أمر ، وينفذ ما ذكر ويمُضي ما حكم . . . » ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

غموض الدستور المصري

هذه هي قواعد النظام الإسلامي والنيابي معاً في « مسؤولية الحاكم » فماذا فعلنا نحن في مصر؟ . وقفنا في منتصف الطريق نصاً وتطبيقاً ، وجاء دستورنا في هذا المعنى غامضاً مقتضباً غير واضح ولا مفصل ، مع أنها أهم نقطة في تحديد لون الحياة النيابية

والاسلامية التي نحياها . . وشرحاً لذلك سأسوق ما كتبه الاستاذان الدكتور إبراهيم مدكور عضو مجلس الشيوخ المصري ، والاستاذ مريت غالي في مذكرتهما « نظام جديد » قالا تحت عنوان « الدستور وغموضه » :

« فأما العامل الأول فملخصه أن دستورنا على الرغم من دقته وضبط عباراته ، قد وقع في نفس الغموض الذي وقعت فيه دساتير أسبق منه ، وترك أهم نقطة في الحكم النيابي دون ان يحددها التحديد الكافي ، ونعني بها سلطة الوزراء وصلتهم بالشعب ممثلة في نوابه من جهة ، وإشرافهم على ما يؤدي إليه من خدمات من طريق المصالح والإدارات من جهة أخرى . كما أجمل إجمالاً مخلاً في بيان موقفهم من رئيس الدولة ومليك البلاد ، واكتفى بأن يصوغ هنا في عبارات تصلح لكل ما يراد منها . وواضح أن الوزارة هي العمود الفقري لهيكل النظام النيابي كله ، وحلقة الاتصال بين التشريع والتنفيذ ، ومبعث الحياة والحركة في نظام يراد به احترام سلطة الشعب مع تصريف شؤون الدولة تصريفاً محكماً سريعاً . وإذا ما رجعنا إلى الدستوز وجدنا أن ما جاء به متصلاً بهذه النقطة الحساسة لا يكاد يتجاوز ثلاثة أسطر كلها غموض وعموم ، فيقرر في المادة ٢٩ : « أن السلطة التنفيذية يتولاها الملك في حدود هذا الدستور » وفي المادة ٤٨ : « الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه » وفي المادة ٤٩ : « الملك يعين وزراءه ويقيلهم » وفي المادة ٥٧ : « مجلس وزرائه هو المهيمن على مصالح الدولة » وفي المادة ٦١ : « الوزراء مسؤولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة ، وكل منهم مسؤول عن أعمال وزارته » وفي المادة ٦٣ : « أوامر الملك ـ شفهية أو كتابية ـ لا تخلي الوزراء من المسؤولية على أية حال »

تلك تقريباً جملة النصوص المتصلة بهذا الموضوع ، ولا نظن أن فيها ما يكفي مطلقاً لحل أي مشكل من المشاكل التي أشرنا إليها .

وقد أفاضا بعد ذلك في الشرح والتمثيل بما يفصل ما تقدم من هذه المعاني . . والمهم أن هذه النقطة وهي لب الأمر تحتاج إلى إيضاح واستقرار ، وهي القاعدة الأولى من قواعد « النظام الاسلامي » أو النيابي على السواء ،وبغير ذلك لا يمكن أن تستقيم الأمور أو تسلم .

٣ ـ نظام الحكم

﴿وأن احكمْ بينهم بما أنزلَ الله ولا تتبع أهواءَهم عما جاءك من الحق﴾
﴿لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ، ولو شاءالله لجعلكم أمة واحدة﴾
ـ المائدة ـ

وحدة الأمة

وأما عن وحدة الامة فقد أبَنْتُ أن الاسلام الحنيف يفترضها افتراضاً ، ويعتبرها جزءاً أساسياً في حياة المجتمع الاسلامي لا يتساهل فيه بحال ، إذ انه يعتبر الوحدة قرين الايمان : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ الصف . كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر ، كما قال تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ آل عمران . اي بعد وحدتكم متفرقين . وكما قال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم وجوهَ بعض » فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض .

وأعتقد أن الحكم النيابي ـ برلمانياً وغير برلماني ـ لا يأبى هذه الوحدة ، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية واحداً في أصوله واتجاهاته العامة ، كما هو شأن الامم الاسلامية جميعاً في هذه الأيام . وإنما لازمت الحزبية والفرقة والخلاف هذا النظام النيابي في أوربا وغيرها ، لأنها نشأت على أنقاضها ، وكانت الخلافات المتكررة الدامية بين الشعوب وحكامها هي السبب في نشأته فعلاً ، مع تباين المشارب واختلاف الآراء . . . أما الامم الاسلامية ، فقد حماها الله من ذلك كله ، وعصمها بوحدة الاسلام وسماحته من هذا التبلبل والاضطراب .

ومع هذا فإن الحكم النيابي في أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة . فليس في انجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيهما الأمر ، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة ، وتجمعهما دائماً المسائل القومية المهمة ، فلا تجد لهذه الحزبية أثراً البتة . كما أن امريكا ليس فيها إلا حزبان كذلك لا نسمع عنهما شيئاً إلا في مواسم الانتخابات . أما فيما عدا هذا ، فلا حزبية ولا أحزاب . والبلاد التي تطورت في الحزبية وأسرفت في تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرها في الحرب وفي السلم على السواء ، وفرنسا أوضح مثال لذلك .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكانت وحدة الأمة أساساً في النظام الاجتماعي الاسلامي ولا يأباه النظام النيابي ، فإن من الواجب أن نتحول سريعاً إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية في مصر الحرث والنسل .

الأحـزاب المصـريـة

لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى ، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن ، وأنها ليست أحزاباً حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا . فهي ليست أكثر من سلسلـة انشقاقـات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الامة ، اقتصت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية . كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج ، ولا خلاف بينهـا في شيء أبـداً إلا في الشـخصيات ؛ وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم . وبما أن الأحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب ، وهي التي تُسيِّر دفة الحكم في الحياه النيابية ، فإن من البديهي ألا يستقيم أمر الحكم وهـذه حال من يسيرُون دفته .

وهـذا الـكلام الـذي انعقـد إجمـاع الأمـة عليه ، أعلنـه شيوخ ونـواب وفقهـاء ودستوريون في صراحة ووضوح . ومن قرأ ما كتبـه علويـة باشـا في كتابـه « مبـادىء وطنية » ، أو الاستاذ حسن الجداوي في كتابه « عيوب الحـكم في مصر » أو غـيرهما من الكتّاب ، رأى صدق ما نقول . وحسبنا ان ننقل هنا فقرة من كتاب النسيه الدستوري الاستاذ سيد صبري « مبادىء القانون الدستوري » عن الأحزاب المصرية قال : « والواقع أنه لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية في مصر برنامج يدافع عنه أنصاره ، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون ، ولهذه النتيجة اهميتها ، فإن الانتخاب لن يقوم على المفاضلة بين البرامج ، فقد أصبحت واحدة للجميع ، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم ، وستكون الانتخابات شخصية لا حزبية بالمعنى المفهوم لدى الشعوب الغربية ، وبديهي أن بقاء الأحزاب على هذا المنوال يقسم البـلاد شيعـاً وأحزاباً ويثير الشقاق والمنازعات بـين الأفـراد والأسرات بلا سبـب مفهـوم ولا أسـاس معقول » .

وإذا أضيف إلى هذا أن مصر ما زالت بلداً محتلاً إلى الآن ، وأن الذي يستفيد من هذه الفرقة هم المحتلون الغاصبون فقط ، وأنه إذا استسيغ الخلاف ـ وهو غير مستساغ بحال ـ في أمة من الأمم ، فإن امة وادي النيل هي أحوج ما تكون إلى أكمل معاني الوحدة لتتجمع قواها في نضال الاستقلال وفي عمل الإصلاح الداخلي ؛ اذا أضيف هذا كله كان الأمر أخطر من أن يهمل أو يستهان به .

حـل الأحـزاب المصـريـة

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا ندري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية ؟ إن الأمر جد خطير ، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو مؤقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد ، فيئسوا وأخفقوا . ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول ، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعاً ، وتجمع قوى الأمـة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها ، ويضـع أصـول الإصـلاح الـداخلي العام ، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظل الوحدة التي يفرضها الاسلام .

٤ ـ نـظام الحـكم

﴿إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى اللهِ ورسوله
ليَحْكُمَ بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾
ـ النور ـ

احتـرام رأي الأمـة ـ نظـام الانتخـاب

وأما عن احتـرام رأي الامـة ، ووجـوب تمثيلهـا واشتراكهـا في الحـكم اشتـراكاً صحيحاً ، فإن الاسلام لم يشترط استبانة رأي أفرادها جميعاً في كل نازلة ، وهو المعبر عنه في الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام . ولكنه اكتفى في الأحوال العادية « بأهل الحـل والعقد » ولم يعينهم بأسمائهم ، ولا بأشخاصهم ، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم :

١ ـ الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام .

٢ ـ وأهل الخبرة في الشؤون العامة .

٣ ـ ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة في الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات .

فهؤلاء جميعاً يصح أن تشملهم عبارة « أهل الحل والعقد » .

ولقد رتب النظام النيابي الحديث طريق الوصول الى أهل الحق والعقد بما وضـع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة . والاسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدي الى اختيار أهل الحل والعقد ، وذلك ميسور إذا لوحظ في أي نظام من نظم تحديد الانتخاب صفات أهل الحل والعقد ، وعدم السماح لغيرهم بالتقـدم للنيابـة عن الأمة .

عيـوب نظـم الانتـخاب فـي مصـر

ونحن في مصر قد أخذنا بنظام الانتخاب المباشر تارة في قانون سنة ١٩٢٣ ، وبنظام الانتخاب على درجتين في قانون سنة ١٩٣٠ ، وكلاهما في الواقع لم يحقق الغرض المقصود

منه ، وظهرت له حين التطبيق عيوب يجب ان نعمل على إصلاحها بتعديل شامل ، وليس الخطأ عيباً في ذاته ، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه هو الخطأ كل الخطأ .
ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخاب الحالي عن الوفاء بالغرض الذي وضع من أجله وهو الوصول الى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة ، ووجهت إليه انتقادات مرة كشفت عن كثير من العيوب وأهمها ما ذكره الدكتور سيد صبري في كتابه « مبادىء القانون الدستوري » : « أنه أوجد هيئة ناخبة لا يمكنها تحقيق الغرض من الانتخابات على الوجه المطلوب ، وأنه لم يحقق فكرة تمثيل الامة تمثيلاً صحيحاً ، وأنه لم يصل الى إيجاد هيئة تعمل للصالح العام مجردة من كل قيد . . » وقد أورد بعد ذلك إحصائية دقيقة خلص منها بالأرقام الى ان قرارات البرلمان المصري في أدواره المختلفة لا تعبر عن رأي الامة ولا عن رأي أكثريتها ، ولا عن رأي أقلية محترمة من أبنائها وإنما تعبر عن رأي نسبة ضئيلة من مجموع من له حق الانتخاب ، لم تصل يوماً الى ١٢٪ وبيان ذلك :

ان مجلس نواب سنة ١٩٣٦ لا تمثل قراراته ـ مع أنها صحيحة ونافذة بحكم القانون ـ إلا ١٠,٧٥٪ من هيئة الناخبين .

ومجلس سنة ١٩٢٩ نسبة التمثيل فيه ٩,٢٥٪ .

مجلس سنة ١٩٣٦ النسبة فيه ٩,٢٥٪ .
ومجلس سنة ١٩٣٨ النسبة فيه ١١,٧٥٪ .
ومجلس سنة ١٩٤٢ النسبة فيه ٩,٧٥٪ .
والمجلس الحالي ليس أفضل مما تقدمه .

فكيف يقال بعد هذا إن ذلك تعبير عن رأي الأمة وتمثيل لها تمثيلاً صحيحاً؟؟

تعديل وإصلاح

لا بد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب ، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية :

١ ـ وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم ؛ فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح . وإذا

لم يكونوا ممثلين لهيئات فلا بد ان يكون لهم من الصفات والمناهج الإصلاحية ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة ، وهذا المعنى مرتبط الى حد كبير بإصلاح الأحزاب في مصر ، وما يجب ان يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها .

٢ ـ وضع حدود للدعاية الانتخابية ، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود ، بحيث لا تتناول الاسر ولا البيوت ولا المعاني الشخصية البحتة التي لا دخل لها في أهلية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية .

٣ ـ إصلاح جداول الانتخاب ، وتعميم نظام تحقيق الشخصية ، فقد أصبح امر جداول الانتخاب أمراً عجباً بعد ان لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طول هذه الفترات المتعاقبة ، وفرض التصويت إجبارياً .

٤ ـ وضع عقوبة قاسية للتزوير من أي نوع كان ، وللرشوة الانتخابية كذلك .

٥ ـ وإذا عدل الى الانتخاب بالقائمة ، لا الانتخاب الفردي كان ذلك أولى وأفضل ، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم ، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية في تقدير النواب والاتصال بهم .

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة ، هذه نماذج منها ، وإذا صدق العزم وضح السبيل ، والخطأ كل الخطأ في البقاء على هذا الحال والرضا به ، والانصراف عن محاولة الإصلاح .

٥ ـ نظام الحكم

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين
الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً﴾
ـ النساء ـ

عرضت في الكلمات السابقة لدعائم الحكم الصالح الثلاث في النظام الاسلامي أو النيابي على السواء ، وهي :

١ ـ مسؤولية الحاكم .

٢ ـ ووحدة الأمة .

٣ ـ واحترام إرادتها .

وأشرت في إيجاز بالغ الى نواحي الغموض في التشريع ، والقصور والفساد في التطبيق ،في أسلوب الحكم الذي جرينا عليه منذ صدور الدستور المصري الى الآن . وقد كانت نتيجة هذا الغموض والقصور والفساد . . . ما نحن عليه الآن من حيرة وقلق وارتباك ، وما وصلنا إليه من فرقة وتمزق وشتات .

ضعف الحكومات

لا يجادل أحد في ان الحكومات المتعاقبة قد ضعفت عن أداء واجبها ، وفقدت معظم هيبتها في النفوس كحكومة ، بسبب هذا التجريح بالحق وبالباطل الذي تمليه الروح الحزبية البحتة ، وبسبب هذا العجز الناتج عن عدم تحديد المسؤولية والاضطلاع بها كاملة غير منقوصة ، ولولا أن النفوس في مصر مطبوعة بطابع الطاعة والاستسلام ، والأعمال تسير بطريق روتيني لا تجديد فيه ولا ابتكار . . لتعطل كل شيء ، ولعجز الدولاب الإداري المضطرب عن ان ينهض بحاجات الشعب أو أن يؤدي للناس عملاً .

وهيبة القانون

ولا شك أن سلطان القانون قد تزعزع وفقد معظم احترامه كذلك ، بسبب هذه

الاستثناءات والمحسوبيات والحيل المتكررة ، والاعتداء أحياناً بنسخ القانون لغرض شخصي . . . ولو ان هذا النسخ بقانون في ظاهر الأمر . ولكن الدوافع تكون معروفة دائماً ولا تخفى على أحد ، فيعمل ذلك عمله في النفوس وينال من هيبة القانون واحترام النظام .

حزبية عمياء

ولا شك أن نار الخصومة والحقد قد اضطربت في نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء ، بفعل هذه الحزبية الخاطئة ، التي لم نفهمها نحن في مصر في يوم من الأيام على أنها خلاف في الرأي لا يفسد للود قضية ، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر في المصالح العامة الى المقاطعة في كل الشؤون عامة وخاصة ، والى ان نرى الحق في جانب خصومنا الحزبيين باطلاً ، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقاً ، ونصدر من هذا الشعور في كل تصرفاتنا وصلاتنا ، ويستفحل الداء ويستشري حتى في أحرج المواقف ، فلا نستطيع ان نوحد صفوفنا في أي موقف قومي مهما يكن يتوقف عليه إصلاح أمرنا ومستقبل بلادنا . .

وهذا الشعور البغيض ، والفهم الخاطىء للحزبية الذي تحول الى عداوة متأصلة ، قد كان من نتائجه : ان انصرفت معظم الجهود الفكرية والعملية الى أمرين استغرقا كل اهتمام رجالنا ، وهما : الايقاع بالخصوم الحزبيين واتقاء مكائدهم ، فالحاكم يصرف جل همه في هاتين الناحيتين ، والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتماماً بهما ، وفي سبيل ذلك تضيع الحقوق وتتعطل المصالح ، ويرثي الأصدقاء ويشمت الاعداء ، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد .



هذه الحال قد انتجت التحطم في المعنويات ، والفساد والاضطراب في الماديات ، وقد بلغ الأمر منتهاه ولم يعد في قوس الصبر منزع ، ولا بد من تغيير حازم حاسم سريع . . فإما ان يفقه أولو الأمر هذه الحقيقة ويقدروها ، فيبادروا في سرعة الى اجراء التغيير الصالح برأيهم وعلى أيديهم ، وفي ذلك السلامة والاستقرار ، وما زال في الوقت متسع للاصلاح . وإما ان يظلوا في هذا الانصراف فتسبقهم الحوادث ، ويفلت من يدهم الزمام ، ولا يدري عاقبة ذلك إلا الله .

يا أولي الأمـر في هذا البلـد . . . ويا دولـة رئيس الحكومـة . . . ويا رجـال الأزهر . . . ويا زعماء الأحزاب والهيئات والجماعات . . .

ويا ذوي الغيرة على هذا الوطن الأسيف :

تداركو الأمر قبل الفوات . . . وأمامكم سفينة النجاة من نظام الاسلام . . . ولله عاقبة الأمور .

ألا هل بلغت . . . اللهم فاشهد .

مشكلاتنا الداخلية
في ضوء النظام الإسلامي

النظام الاقتصادي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت تحت عنوان « مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الاسلامي » عدة كلمات سالفة بينت فيها أن نظام الحكم الاسلامي يقوم على قواعد ثلاث :

(أ) مسؤولية الحاكم .

(ب) احترام إرادة الأمة .

(ج) والمحافظة على وحدتها .

وإن من حسن الحظ أن هذه هي أيضاً دعائم النظام النيابي الحديث الذي اخترناه لأنفسنا . كما بينت أننا لم نطبق هذا النظام ولا ذاك تطبيقاً صحيحاً ، وبذلك اضطربت كل الأمور تبعاً لذلك ، فإن هذا الأمر أصل وكل ما عداه تبع له : « ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله . وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب » الحكومة ولا شك قلب الاصلاح الاجتماعي كله ، فاذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله وإذا صلحت صلح الأمر كله . . . وقد أهبت بالقائمين ان يبادروا بالاصلاح ، وأن يعودوا الى الاسلام الحنيف جماع الخير ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه وبغير ذلك لا يمكن ان نظفر بالاصلاح الحقيقي المنشود .

***

وهنا أتناول « وضعنا الاقتصادي » بمثل هذا البيان ، رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذاناً مصغية ، وقلوباً واعية ، تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه ، من قبل أن يستشري الداء ، ويعز الدواء ، ويتسع الخرق على الراقع . . . ولا يحرك النفوس ويثير الخواطر ، ويؤلم المشاعر شيء كالضائقة المالية ، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها . . . ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف ، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة . . . ولا حاجة أشد من حاجة القوت ، وطالب القوت ما تعدى . دخلت الجارية على محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، فقالت : يا سيدي فنيَ الدقيق . فقال : قاتلك الله ! أذهَبْتِ من رأسي أربعين مسألة .

وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها ، أو يتجاهلها منها :

غنـــى طبيعـــي

إن هذا البلد ليس فقيراً، بل لعله أغنى بلاد الله تبارك وتعالى بخيراته الطبيعية، وثرواتـه المختلفـة ، من زراعية ومـائية وحيوانية ومعـدنية ، ونيلـه العجيب ، وواديه الخصيب ، وما شئت من فضل الله تبارك وتعـالى على مصر وأهـل مصر منـذ القـدم : ﴿إهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سألتم﴾ البقرة .

استغـلال أجنبـي

ومنها أن الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله ، وتساهل من حكامه ، وظلم من غاصبيه ، أسعد حالاً من أهله وبنيه ، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه ، شركات أو أفـراداً ، فالصناعـة والتجـارة ، والمنافـع العامـة ، والمرافـق الرئيسية ، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقـة ، أو الأجانـب الـذين اتخـذوا من الجنسية المصرية شعارا وما زالوا يحنون بعد الى أوطانهم ويؤثرونها بأكبر أرباحهم . . . وإن كثيراً من هؤلاء الأجانـب ما زال ينظـر الى المواطـن المصري ، والعامـل المصري ، والحـاكم المصري ، نظرة لا تقدير فيها ولا إنصاف .

ثـراء فاحش وفقر مُدقع

ومنها أن التفاوت عظيم ، والبون شاسع ، والفرق كبير ، بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب ، فثراء فاحش وفقرمدقع . والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة ، والـذي نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليس إلا من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين ، على قاعدة : بعض الشر أهون من بعض . ورحم الله فقهاءنا الـذين حبّـروا البحـوث الطويلة في الفرق بين الفقراء والمساكين وإن كان كلاهما من المحتاجين البائسين .

تخبُّـط اقتصـادي

ومنها وهو الأهم ، أننا في وسط هذا المعترك الحاد الصاخب العنيف ، بين المبادىء

الاقتصادية ، من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية لم نحدد لوناً نصبغ به حياتنا الاقتصادية ؛ في وقت تحتم فيه التحديد، وتعقدت فيه الامور ، بحيث لم تعد تنفع فيها أنصاف الحلول ، ولم يعد يجدي إلا الوضوح الكامل ، وتحديد الاهداف تحديدا دقيقاً ، والسير إليها في قوة وعزيمة .

وهذه الأوضاع ، وإن امتزجت بها المعاني السياسية ، إلا أنها في أغلب صورها ودوافعها ونتائجها تعاليم وأوضاع اقتصادية ، ولهذا كان لا بد لنا من أن نختار لوناً من هذه الألوان أو من غيرها إن استطعنا ، لنعيش في حدود وضع معلوم له خصائصه ومميزاته ، يحدد أهدافنا الرئيسية ، ويرسم لنا طريق العمل للوصول الى هذه الأهداف .

إلـى الإسـلام

وأعتقد أنه لا خير لنا في واحد من هذه النظم جميعاً ، فلكل منها عيوبه الفاحشة ، كما له حسناته البادية . وهي نظم نبتت في غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا ، ومجتمعات فيها غير ما في مجتمعنا . . . فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذي يؤدي إلى الإصلاح الشامل في توجيهات الاسلام الحنيف ، وما وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقاً سليماً ، لانحلت مشكلاتنا ، ولظفرنا بكل ما في هذه النظم من حسنات ، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات ، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات ، ووجدنا أقرب الطرق الى الحياة الطيبة .

***

قواعد النظام الاقتصادي في الاسلام

قدمت في الكلمة السابقة أن مصر تتقاذفها الألوان الاقتصادية وتتضارب فيها النظم والآراء العصرية ، من رأسمالية واشتراكية وشيوعية ، وأن من الخير كل الخير أن تبرأ من هذه الألوان كلها ، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الاسلام وتوجيهاته العليا ؛ وتستمد منه وتعتمد عليه ، وبذلك تسلم من كل ما يصحب هذه الآراء من أخطاء ، وما يلصق بها من عيوب ، وتنحل مشاكلنا الاقتصادية من أقصر طريق .

ويتلخص نظام الاسلام الاقتصادي في أهمها :

١ ـ اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره .

٢ ـ إيجاب العمل والكسب على كل قادر .

٣ ـ الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود من قوى ومواد .

٤ ـ تحريم موارد الكسب الخبيث .

٥ ـ تقريب الشقة بين مختلف الطبقات ، تقريباً يقضي على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٦ ـ الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأمين حياته ، والعمل على راحته وإسعاده .

٧ ـ الحث على الإنفاق في وجوه الخير ، وافتراض التكافل بين المواطنين ، ووجوب التعاون على البر والتقوى .

٨ ـ تقرير حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة .

٩ ـ تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم ، والتدقيق في شؤون النقد .

١٠ ـ تقرير مسؤولية الدولة في حماية هذا النظام .

والذي ينظر في تعاليم الاسلام ، يجد فيه هذه القواعد مبيَّنة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الاسلامي بأوسع بيان .

المال الصالح قوام الحيـــاة

فقد امتدح الاسلام المال الصالح ، وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره ، وأشاد بمنزلة الغني الشاكر الذي يستخدم ماله في نفع الناس ومرضاة الله . وليس في الاسلام هذا المعنى الذي يدفع الناس الى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه ..

وما ورد في ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف ، ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران نعمة الله ، وفي الحديث : « نعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح » . وفي الآية الكريمة : ﴿ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم التي جعلَ اللهُ لكم قياماً﴾ النساء .

وفي ذلك الإشارة الى أن الأموال قوام الأعمال ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال في غير وجهه ؛ فقال : « إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . كما أن من مات مدافعاً عن ماله فهو شهيد كما جاء في الحديث : « من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد . . » الحديث .

العمل على كل قادر

وفي الاسلام الحث على العمل والكسب ، واعتبار الكسب واجباً على كل قادر عليه ، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين ، وتحريم السؤال ، وإعلان أن من أفضل العبادة العمل ، وان العمل من سنة الأنبياء ، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد ، والزراية على أهل البطالة ، والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم ، ولو كان الانقطاع لعبادة الله . فإن الاسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل . . . والتوكل على الله إنما هو بالأخذ في الأسباب وأيضاً بالنتائج ، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل . . . والرزق المقدور مقرون بالسعي الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿وقل اعملوا ، فسيرى اللهُ عملكم ورسولُه والمؤمنون ، وستُردون الى عالم الغيبِ والشهادةِ فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ التوبة . ويقول رسول الله ﷺ : «ماأكل أحدطعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » ويقول عمر : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » ، وفي الحديث : « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » .

الكشف عن منابع الثروات

كما أن فيه لفت النظر الى ما في الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير ، والحث على العناية بها ، ووجوب استغلالها ، وأن كل ما في هذا الكون العجيب مسخر للانسان

ليستفيدمنه وينتفع به ﴿ألم تَرَوْا أنَّ الله سخَّرَ لكم ما في السموات وما في الارض ، واسبَغَ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ لقمان ﴿وسخر لكم ما في السموات ومـا في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتكفرون ﴾ الجاثية . ومن قرأ آيات القرآن الكريم ، علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه .

تحريم الكسب الخبيـــث

ومن تعاليمه : تحريم موارد الكسب الخبيثة ، وتحديد الخبث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل : كالربا والقمار ، واليانصيب ونحوها . أوكان بغير حق : كالنصب والسرقة والغش ونحوهـا . أو كان عوضـاً لما يضر : كثمـن الخمـر والخنـزير والمخـدر ونحوها . فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الاسلام ولا يعترف بها .

التقريب بيـن الطبقات

وقد عمل الاسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر التـرف على الأغنياء ،والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء ، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء،ووصف الطريق العملي لذلك .

وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك ، وذم البخل والرياء والمن والأذى ، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبـارك وتعـالى ورجاء ما عنده : ﴿ وتعاونُوا على البرِّ والتقـوى ، ولا تعاوَنـوا على الإثـمِ والعدوان﴾ المائدة .

حرمة المال واحترام الملكيات

وقرر حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصـة ما دامـت لا تتعـارض مع المصلحـة العامة : « كل المسلم على المسلـم حرام : دمـه وعرضـه ومالـه » . . . و« لا ضرَرَ ولا ضرار » .

تنظيم المعاملات المالية

وشرع تنظيم المعاملات المالية في حدود مصلحة الأفراد والمجتمع ، واحترام العقود والالتزامات ، والدقة في شؤون النقد والتعامل به،حتى افردت له أبواب فيالفقه الاسلامي

تحرم التلاعب فيه كالصرف[1] ونحوه ، ولعل هنا موضعاً من مواضع الحكمة في تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمي للنقد[2] .

الضمان الاجتماعي

وقرر الضمان الاجتماعي لكل مواطن ، وتأمين راحته ومعيشته كائناً من كان ، ما دام مؤدياً لواجبه ، أو عاجزاً عن هذا الأداء بسبب قهري لا يستطيع أن يتغلب عليه . ولقد مر عمر على يهودي يتكفف الناس ، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال ، فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال له : « ما أنصفناك يا هذا ، أخذنا منك الجزية قوياً وأهملناك ضعيفاً ، إفرضوا له من بيت المال ما يكفيه » .

وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعا .

مسؤولية الدولة

وأعلن مسؤولية الدولة عن حماية هذا النظام ، وعن حسن التصرف في المال العام ، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه ، وتعدل في جبايته . ولقد قال عمر ما معناه : إن هذا المال مال الله ، وأنتم عباده ، وليصلنَّ الراعي بأقصى الأرض قسمه من هذا المال وإنه ليرعى في غنمه ، ومن غل غل في النار .

استغلال النفوذ . . من أين لك هذا ؟

كما حظر الاسلام استخدام السلطة والنفوذ ، ولعن الراشي والمرتشي والرائش ، وحرم الهدية على الحكام والأمراء ،وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم ، ويقول لأحدهم : « من أين لك هذا ؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار » ، وليس للوالي من مال الأمة إلا ما يكفيه . وقد قال أبو بكر لجماعة المسلمين حين ولي عليهم : « كنت أحترف لعيالي فأكتسب قوتهم ، وأنا الآن أحترف لكم ، فافرضوا لي من بيت مالكم » ففرض له أبو عبيدة قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم ، وكسوة الشتاء

---

(١) الصرف مبادلة تجري بين النقدين وتخضع لشروط خاصة تعرف في مراجعها من كتب الفقه .

(٢) يحرِّم الاسلام استخدام الذهب والفضة مطلقاً في الأواني والأدوات الخاصة ، ويحرِّم الذهب كزينة للرجال وكذا الإسراف فيه للنساء ، ولعل ذلك لأن حاجة الدولة إلى رصيد ضخم من هذه المعادن أولى بالاعتبار من الاستعمال الفردي .

وكسوة الصيف ، وراحلة يركبها ويحج عليها ، وقُوِّمت هذه الفريضة بألفيْ درهم . . ولما قال أبو بكر لا يكفيني ، زادها له خمسمائة وقضي الأمر .

* * *

تلك هي روح النظام الاقتصادي في الاسلام ، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز ، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخاماً ، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا في ذلك الخير الكثير .

استقلال النقد

ذكرنا بعض الأصول التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الاسلامي ، والروح التي تمليها علينا تلك الأصول ، التي تنتج مع التطبيق الصحيح وضعاً اقتصادياً سلمياً ليس أفضل منه. فهي توجب استقلال نقدنا ، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا ، لا على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلي البريطاني - وإن كان مقره مصر - وتأمل الآية الكريمة : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ النساء .

ومن أفظع التغرير بهذا الشعب ، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الانجليزي . وإن مصر إذا حزمت أمرها ، وأحكمت تصرفاتها ، ستصل ولا شك الى هذا الاستقلال . . . ولقد انفصلنا عن الكتلة الاسترلينية ، وفكرنا في تأميم البنك الأهلي ، وطالبنا بالديون الكثيرة التي لنا على الانجليز ، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصري . . . فماذا فعل الله بها ، وماذا أعددنا من العدة لانقاذها .

. . . ولعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات في الوقت الذي يذاع فيه أن المفاوضات بين مصر وانجلترا حول الأرصدة الاسترلينية باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل ، لتعنت الانجليز وتمسكهم بألا يدفعوا لمصر عن سنة ١٩٤٨ أكثر من ١٢ مليوناً ، في الوقت الذي تطلب فيه مصر طلباً متواضعاً هو ١٨ مليوناً .

. . . ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد ، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار ، هذه المآسي التي نصطلي بنارها من التضخم الذي استتبع غلاء المعيشة ، وصعوبة الاستيراد والتصدير .

ولم يحدث في تاريخ الدول الراقية فيما نعلم أن بنكا يستغل قراراً من وزير ، هذا الاستغلال الشائن ، كما فعل ذلك البنك الأهلي بقرار وزارة المالية غير الموقع عليه من أجد ، يونيو سنة ١٩١٦ ، فيصدر بمقتضاه من الأوراق ما يشاء .

تمصير الشركات

كما توجب هذه الأصول الاهتمام الكامل بتمصير الشركات ، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك ، وتخليص المرافق العامة - وهي أهم شيء للأمة - من يد غير أبنائها ، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء ، والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية ، والنقل الخارجي ، حتى الملح والصودا . . في يد شركات أجنبية تبلغ رؤوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات ، لا يصيب الجمهور الوطني ولا العامل الوطني منها إلا البؤس والشقاء والحرمان .

استغلال منابع الثروة

واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعاً منتجاً ، أمر يوجبه الاسلام ، الذي لفت كتابه أنظارنا الى آثار رحمة الله في الوجود ، وما أودع في الكون من خيرات في الأرض وفي السماء ، وأفاض في أحكام الرِّكاز ، وحث على طلب الخير أينما كان . في الماء عندنا ثروات ، وفي الصحارى ثروات ، وفي كل مكان ثروات ، لا ينقصها إلا فكر يوجه ، وعزيمة تدفع ، ويد تعمل ، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء : ﴿ألمْ ترَ أنَّ اللهَ أنزَلَ من السماء ماءً فأخرَجْنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانُها ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سودٌ ، ومن الناس والدوابِّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر ، والعلماء هنا فيما أظن الذين يعلمونَ علم الكائنات وما فيها للناس من خير،وما يتجلى في دقيق صنعها من واسع علم الله خالق الأرض والسموات .

والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى المهملة التي طال عليها الأمد ، وقعد بها التراخي والكسل أو أحبطتها الخصومة الحزبية أو طمرتها المنافع الشخصية ، أو قضت عليها الألاعيب السياسية والرشوة الحرام ، كل هذه يجب أن تتوجه إليها الهمم من جديد : « إن الله يحبُ من أحدِكم إذا عملَ عملاً أن يُتْقِنَه » .

كم كنا نربح لو أن مشروع خزان أسوان تحقق فعلاً منذ سنة ١٩٣٧ ، وكم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله طَلْعَتْ حرْب - عليه الرضوان - أن يتقدم بمشروعات (المحلة) هناك مشروعات كثيرة درست وبحثت ، ثم وضعت على الرف وطال عليها الأمد قبل الحرب ، ولا موجب لهذا الإهمال ، والضرورة قاسية والحاجة مُلحَّة ، والأمر لا يحتمل التأخير .

انفضوا الغبار عن ملفات هذه المشروعات واستذكروها من جديد ونفذوا : ﴿فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُهُ والمؤمنون﴾ التوبة .

الصناعة

والتحول الى الصناعة فوراً من روح الأسلام الذي يقول نبيه ﷺ : «إن الله يحبُ المؤمنَ المحترف » «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » . والذي أثنى كتابه على

داود وسليمان بهذا التقدم الصناعي ، وذكر لنا من دقائق الرقيّ فيه ما أعجز البشر ، واستغل قوى الجن والشياطين . .

حرام على الأمة التي تقرأ في كتابها من الثناء على داود عليه السلام : ﴿وألنّا له الحديدَ ، أن اعمل سابغاتٍ وقدِّرْ في السرْدِ ، واعلموا صالحاً إني بما تعملون بصير﴾ سبأ . وتقرأ : ﴿وعلّمناه صنعةَ لَبوس لكم لتُحْصِنكم من بأسِكم ، فهل أنتم شاكرون﴾ الأنبياء .ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح ؟ ثم تقرأ في كتابها : ﴿ولسُليمان الريحُ غدوُّها شهر ورواحُها شهر ، وأسَلْنا له عين القِطْر ، ومن الجنِّ من يعملُ بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نُذِقْهُ من عذاب السعير . يعملونَ له ما يشاءُ من محاريب وتماثيلَ وجفانٍ كالجَوابِ وقُدورٍ راسياتٍ اعملوا آل داود شكراً﴾ سبأ . . ثم لا يكون فيها مسبك عظيم ، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية .

ثم تقرأ : ﴿وأنزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع للناس﴾ الحديد . . ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال ، وهو من أجود الأنواع ويكفي العالم مائتي عام كما قدر الخبراء . . .

حرام هذا كله !!

نظام الملكيـــات في مصـــر

عرضت في الكلمة السابقة لبعض صور التطبيق التي تمليها علينا قواعـد النظـام الاسلامي الاقتصادي ، وأعرض في هذه الكلمة لبعض الصور التي تمليها هذه القواعد أيضاً في صميم الإصلاح الاقتصادي القومي .

توجب علينا روح الاسلام الحنيف ، وقواعده الأساسية في الاقتصاد القومي، ان نعيد النظر في نظام الملكيات في مصر ، فنختصر الملكيات الكبيرة ، ونعوِّض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع ، ونشجع الملكيات الصغـيرة ، حتـى يشعـر الفقراء المعدمون بأنه قد أصبح لهم في هذا الوطن ما يعنيهم أمره ، ويهمهم شأنه . . وأن نوزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا .

تنظـيم الضـــرائب

وتوجب علينا روح الاسلام في تشريعه الاقتصادي ، أن نبادر بتنظيم الضرائـب الاجتماعية ، وأوّلها الزكاة . وليس في الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالاسلام ؛ وذلك لحكم جليلة منها : محاربـة الكنـز وحبس الأمـوال عن التداول ، وما جعلت الأموال إلا وسيلة لهذا التداول الذي يستفيد من ورائه كل الذين يقع في أيديهم هذا المال المتداول .

وإنما جعل الاسلام مصارف الزكاة اجتماعية بحتة ، لتكون سبباً في جبـر النقص والقصور الذي لا تستطيع المشاعر الإنسانية والعواطف الطيبة أن تجبره ، فيطهـر بذلك المجتمع ويزكو ، وتصفو النفوس وتسمو . ﴿خُذْ من أموالهم صدقةً تطهرهـم وتُزكيهـم بها﴾ التوبة .

فلا بد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي ـ بحسب المال لا بحسب الربح ـ يعفى منها الفقراء طبعاً ، وتجبـى من الأغنياء الموسرين وتنفـق في رفـع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة . ومن لطائف عمر رضي الله عنه ، أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء ، والضريبة التي لا تذكر على التمر لأنه طعام الفقراء فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعي في الحكام والأمراء رضي الله عنه .

محاربة الربا

ويوجب علينا روح الاسلام أن نحارب الربا حالاً . ونحرمه ونقضي على كل تعامل على أساسه : « ألا وإنَّ الربا موضوع ، وأول رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب » وصدق رسول الله .

ولقد كان المصلحون يتجنبون أن يقولوا في الماضي هذا الكلام حتى لا يقال لهم إن ذلك مستحيل وعليه دولاب الاقتصاد العالمي كله . أما اليوم . . . فقد أصبحت هذه الحجة واهية ساقطة لا قيمة لها بعد أن حرمت روسيا الربا وجعلته أفظع المنكرات في دارها ، وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية الى هذه المنقبة الاسلامية ، فالربا حرام . . . حرام . . . حرام وأولى الناس بتحريمه أمم الاسلام ودول الاسلام .

تشجيع الصناعات المنزلية

وتوجب علينا روح الاسلام تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية ، وهذا هو باب الإسعاف السريع لهذه العائلات المنكوبة ، وباب التحول الى الروح الصناعي والوضع الصناعي . . . وأول ما تفعله هذه الأيدي العاطلة ، الغزل والنسيج بالأنوال الصغيرة ، وصناعة الصابون ، وصناعة العطور والمربيات ، وأنواع كثيرة وصنوف كبيرة تستطيع النساء والبنات والأولاد أن يشغلوا الوقت فيها ، فتعود بالربح الوفير ، وتمنعهم بؤس الحاجة وذل السؤال . .

وقد رأينا هذا بأعيننا منذ زمن في فوه غربية ، وبني عدي منفلوط ، وغيرها من بلدان القطر المصري . ورأينا في هذه البلاد الثروة والغنى ويسر الحال . ولقد كانت وزارة الشؤون قد فكرت في هذا المشروع الحيوي ، واستحضرت أصنافاً من المغازل ، ولا ندري ماذا فعل الله بها . . . ويوم الحكومة بسنة كما يقولون ، ولكن الأمر لم يعد يحتمل الانتظار .

تقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات

وإرشاد الشعب الى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات ، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار ، فتبطل هذه الحفلات الماجنة ، ويحرم هذا الترف والإسراف

الفاسد ، وظهور الجسد بخشونته وعبوسته ووقاره وهيبته على الدور والقصور ، والوجوه والمنتديات . . . أمر يحتمه الاسلام الحنيف ، وكل ذلك يحتاج إلى إعداد .

هذه كلها واجبات لا بد أن تنهض بأعبائها حالاً . . . فإلى العمل .

***

وبعد

فهنا نحن قد رأينا مما تقدم كيف أننا لم نسر على نظام اقتصادي معروف لا نظرياً ولا عملياً ، وأن هذا الغموض والارتجال قد أدّيا بنا إلى ضائقة أخذت بمخانق الناس جميعاً .

وليس الشأن أن نرتجل الحلول ، ونواجه الظروف ، بالمخدرات والمسكنات التي يكون لها من رد الفعل ما ينذر بأخطر العواقب . . ولكن المهم في أن ننظر إلى الأمور نظرة شاملة محيطة ، وأن نردها الى أصل ثابت تستند إليه ، وترتكز عليه . وليس ذلك الأمر إلا « النظام الاسلامي » الشامل الدقيق ، وفيه خير السداد .

لقد أتاح الله لنا من أسباب اليسر الاقتصادي ، والنجاح المادي ما لم يتحه لغيرنا من الأمم والشعوب ، فهذه الرابطة الوثيقة من اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ بيننا وبين أمم العروبة والاسلام ، وهي بحمد الله أغنى بلاد الله في أرضه ، أخصبها تربة ، وأعدلها جواً ، وأكثرها خيرات ، وأثراها بالمواد الأولية وبالخامات من كل شيء . .

هذه الرابطة ، تمهد لنا ـ لو أحسنا الانتفاع بها ـ سبيل الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي ، وتنقذنا من هذا التحكم الغربي في التصدير والاستيراد وما إليهما . . .

ولا يكلفنا الأمر أكثر من أن نعزم ونقدم ، ونقوي الصلة ، ونحكم الرابطة ، ونوالي البعثات والدراسات ، ونحاول بكل سبيل إنشاء أسطول تجاري ، ونشيع روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الاسلام .

لقد صبر الشعب المصري صبراً طويلاً على هذه الحياة الجافية القاسية ، وهذا الحرمان العجيب الذي لا يصبر عليه آدمي إلا بمعجزة من معجزات الإيمان . ومن نظر الى العامل المصري والفلاح المصري ومن إليهما من عامة الشعب المصري ، أخذه العجب مما يشاهد من فاقة وصبر . .

لقد أخجلني أحد الإخوان الهنود وقد قدم من انجلترا حديثاً ، حين عاد من جولة

قصيرة في القاهرة ، يقول لي : لقد كنا نظن أن ما تنشره الصحف في انجلترا من سوء حالة الشعب المصري ، وانخفاض مستوى معيشته ، مجرد دعاية يراد بها الحط من كرامته ، ولكنني قضيت هذه الفترة القصيرة في القاهرة وزرت بعض أحياء عامتها فأسفت لما رأيت . فخجلت لقوله هذا ، ولكنني رددت عن نفسي وعن الشعب بقولي له : سل هذه الجرائد التي تنشر ، أليس هذا البؤس من مظالم الاحتلال ؟ .

وتألمت مرة ثانية حين وجه إليّ مدير شركة أجنبي قوله : أأنت راض عن حال هؤلاء العمال المساكين ؟ ! ولكنني رددت عليه أيضاً : أو لست تعلم أن السبب في هذه المسكنة استئثار هذه الشركات وبخلها على هؤلاء العمال بما يوازي ضروريات الحياة ؟ !

إن الأمر جدٌّ لا هزل فيه ، وقد بلغ غايته ، ووصل الى مداه ، ولا بد من علاج حاسم وسريع ، ولن نجده كما قلت إلا في طب الاسلام الحنيف وعلاجه .

فيا دولة رئيس الحكومة ، ويا رؤساء الهيئات والجماعات ، ويا من يعنيهم أمر الطمأنينة والسلام في هذا الوطن . .

تداركوا الأمر بحزم . . وعودوا إلى نظام الاسلام . . .

ألا قد بلغت . . اللهم فاشهد . .

حسن البنا

رسالة الجهاد

﴿وجَاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جهادِهِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه ومن جاهد في سبيل شريعته إلى يوم الدين .

الجهاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها ، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم في جهادهم. ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى ، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود ، ونعى عليهم الضعف والتخلف ، وأعد لهم في الدنيا خزياً لا يرفع إلا إن جاهدوا ، وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه ولو كان لهم مثل أحد ذهباً ، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وإحدى السبع الموبقات المهلكات .

ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً ، عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة ، وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق ، كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم فياضة بكل هذه المعاني السامية ، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات .

وسنورد لك طرفاً من ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستقراء والحصر ، وسوف لا نتناول شيئاً من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل . فسترى في جزالة

ألفاظها ونصاعة بيانها ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله .

بعض آيات الجهاد في كتاب الله

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :

١ - ﴿كُتِبَ عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾ . سورة البقرة الآية ٢١٦ .

ومعنى كتب : فرض . كما قال تعالى : ﴿كُتِبَ عليكم الصيام﴾ في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب .

٢ - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزّىً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتِلوا ليجعل الله ذلك حَسْرَةً في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير . ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مُتم لمغفرةٌ من الله ورحمة خير مما يجمعون . ولئن مُتم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ . آل عمران الآيات من ١٥٦ - ١٥٨ .

ومعنى ضربوا في الأرض : خرجوا فيها مجاهدين ، وغزّىً : غزاة محاربين .

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى ، وإلى خلوِّ الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد ، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين ، فانظر كيف انعكست الآية .

٣ - ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خَلْفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ الآيات آل عمران ١٦٩ - ١٧٥ - فارجع إلى تمامها في المصحف .

٤ - ﴿فليقاتِلْ في سبيل الله الذين يَشْرُون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقْتَلْ أو يَغْلِبْ فسوف نؤتيه اجراً عظيماً﴾ سورة النساء الآيات ابتداء من ٧١ - ٧٨ . فارجع إليها في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر ، وممارسة القتال في جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال ، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين ، وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين ، وكيف

يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلهما من أركان الإسلام ، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريء ، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية .

٥ - سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه ، وبيان لكثير من أحكامه . ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس ، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرْهبون به عدوَّ الله وعدوكم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال إن يكنْ منكم عشرون صابرون يَغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾ .

٦ - سورة التوبة وكلها كذلك حثٌّ على القتال وبيانٌ لأحكامه ، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين الناكثين : ﴿قاتلوهم يُعذبْهم الله بأيديكم ويخزهم وينْصركم عليهم ويَشْفِ صدورَ قوم مؤمنين ويذهبْ غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ .

وقوله تبارك وتعالى في قتال أهل الكتاب :

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرَّم اللهُ ورسولُهُ ولا يَدينون دينَ الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزيةَ عن يَدٍ وهم صاغرون﴾ التوبة . ثم إعلان النفير العام في آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى : ﴿انفِروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفُسِكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال ، وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين في قوله تعالى :

﴿فرحَ المخلَّفون بمقعَدهم خِلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفِروا في الحرِّ قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فلْيضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون . فإن رجعك الله إلى طائفةٍ منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ الآيات .

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم صلى الله عليه وسلم وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى : ﴿لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيراتُ وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ .

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر في قوله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايَعتمُ به وذلك هو الفوز العظيم﴾ .

٧ ـ سورة القتال ، وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى « سورة القتال » في كتاب الله الحكيم ، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران : الطاعة والنظام . وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه ، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى :

﴿ويقول الذين آمنوا لولا نُزِّلَتْ سورة ، فإذا أُنزِلَتْ سورة مُحكَمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرضٌ ينظرون إليك نَظَرَ المغشيِّ عليه من الموت فأولى لهم طاعةٌ وقول معروف فإذا عَزَمَ الأمرُ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ . وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى : ﴿إنَّ الله يحب الذين يقاتِلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ .

٨ ـ سورة الفتح ، وهي أيضاً كلها في غزوة من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز ، تحت ظل الشجرة المباركة ، حيث أعطيت بيعة الثبات والموت ، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرةِ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ، ومغانمَ كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ .

هذه يا أخي بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد ، وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل ، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب ، تر العجب العجيب ، وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب .

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك :

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تَطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لَوَددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » رواه البخاري ومسلم .

السرية : القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام .

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم من يُكْلَم في سبيله إلاّ جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

الكلم : الجرح . ويكلم : يجرح .

٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن اللهُ أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع . فلما كان يوم أحُد وانكشف المسلمون ، قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعدُ بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنةَ وربِّ النضر إني أجد ريحها من دون أحدُ ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مَثَّلَ به المشركون ، فما عَرَفه أحد إلا أخته ببَنانه ، قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . .﴾ إلى آخر الآية ، رواه البخاري .

من دون أحد : أي من جهة جبل أحد .

٤ ـ وعن أم حارثة بنت سراقة ، أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غَرْبٌ ـ فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » أخرجه البخاري .

السهم الغَرْب : الذي لا يُعرف راميه .

اجتهدت عليه في البكاء : بكيت بكاء شديداً .

فانظر يا أخي كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره .

٥ ـ وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إعلموا أن الجنةَ تحت ظلال السيوف » أخرجه الشيخان [١] وأبو داود .

٦ ـ وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جَهَّزَ غازياً في سبيل الله تعالى فقد غزا ، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا » رواه البخاري وملسم وأبو داود والترمذي .

أي : له أجره .

٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ، فإن شبعه وريَّه وروثه في ميزانه يوم القيامة » رواه البخاري .

ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله .

٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل : يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا تستطيعونه . ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثَل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يَفْتُرُ من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد » الستة [٢] إلا أبو داود .

٩ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخْبِركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه » رواه النسائي .

---

(١) البخاري ومسلم وهما أوثق كتابين في الحديث .

(٢) كتب الحديث الستةُ هي : البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود .

لا يرعوي : أي لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر .

١٠ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينانِ لا تمسُّهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى » الترمذي .

١١ ـ وعن أبي عميرة رضي الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أُقتلَ في سبيل الله أحب اليَّ من أن يكون لي أهل المدَر والوَبَر » أخرجه النسائي .

أهل المدر والوبر : أي أهل الحواضر والبوادي .

١٢ ـ وعن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ فقال : « كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة » أخرجه النسائي .

وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة ، وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد . .

١٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما يجد الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة » الترمذي والنسائي والدارمي ، وقال الترمذي حسن غريب .

وهذا امتياز آخر للشهيد .

١٤ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه ، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه ، فيقول الله للملائكة : أنظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى أريق دمه ، أُشهدكم أني قد غفرت له » .

شفقاً : خوفاً . وأريق دمه : سال دمه .

١٥ ـ وعن عبد الخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها أم خلاَّد وهي متنقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله تعالى ، فقال لها بعض أصحابه · جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة . فقالت : إن أرزأ ابني فلن أُرزأ حيائي . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « إن ابنك له أجرُ شهيدين » قالت ولم ؟ قال : « لأنه قتله أهل الكتاب » أخرجها أبو داود .

أرزأ ابني : أفقده وأصاب فيه .

وفي هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب ، وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم ، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم .

١٦ ـ وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغَه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » أخرجه الخمسة [١] إلا البخاري .

١٧ ـ وعن خُرَيم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كُتبَتْ له بسبعمائة ضعف » رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي .

١٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مرَّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشِعْب فيه عيينة من ماء عذْبة فأعجبته فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعب . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفرَ الله لكم ويدخلكم الجنة ، أغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » رواه الترمذي .

عيينة : عين صغيرة تفيض بالماء .

١٩ ـ وعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للشهيد عند الله ستُ خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويُرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه » رواه الترمذي وابن ماجه .

٢٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقيَ الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثُلْمة » رواه الترمذي وابن ماجه .

٢١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب الشهادة صادقاً أُعطيها ولو لم تُصبه » رواه مسلم .

---

(١) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

٢٢ ـ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها » رواه ابن ماجه .

٢٣ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر ، والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه » رواه ابن ماجه .

يسدر : يميل ويهتز وترتج به السفينة . وفيه الإشارة لغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها ، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافاً مضاعفة .

٢٤ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يقول : لما قُتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم : « يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلى ، قال : ما كلَّم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً فقال : يا عبدي تمنَّ علي أعطِكَ . قال يا رب تحييني فأُقتل فيك ثانية . قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون . قال : يا رب فأبلِغْ مَنْ ورائي . فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً . . الآية كلها﴾ رواه ابن ماجه .

٢٥ ـ وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لأن أشيِّع مجاهداً في سبيل الله فأكففُه على رحله غدوَةً أو رَوْحة أحب إلي من الدنيا وما فيها » رواه ابن ماجه .

فأكففه على رحله : فأساعده عليه . غدوة بالغـدو وهـو الصبـاح . روحـة : في الرواح وهو المساء .

٢٦ ـ وعن أبي هريرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلـم : « وَفْـدُ الله ثلاثة : الغازي والحاج والمعتمر » رواه مسلم .

٢٧ ـ عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُشفَّع الشهيد في سبعين من أهل بيته » رواه أبو الدرداء

٢٨ ـ عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينْزعه

عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

٢٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض » قال عمير بن الحمام : بخ بخ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » قال : فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة ، فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل » رواه مسلم .

٣٠ ـ عن أبي عمران قال : كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر ، وعلى أهل مصر عُقْبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد ، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال : أيها الناس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل ، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه ، قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم . رواه الترمذي .

ولاحظ يا أخي أن أبا أيوب حين يقول هذا كان في سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة ، ومع هذا فقلبه وروحه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام .

٣١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث به نفسه مات على شُعبة من النفاق » رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة .

والأحاديث الشريفة في ذلك وأمثاله ، وفي غزو البحر وتفضيله على غزو البر بمرات وفي غزو أهل الكتاب .

كذلك وفي تفصيل أحكام القتال ، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير ، وندلك على كتاب « العبرة فيما ورد عن الله ورسوله في الغزو والجهاد والهجرة » للسيد حسن صديق

خان وهو خاص بذلك البحث ، وكتاب « مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام » وما جاء في كتب الحديث كلها في باب الجهاد ترى الكثير الطيب .

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد ، وأحب أن أنقل إليك طرفاً مما قاله فقهاء المذاهب ، حتى المتأخرين منهم في أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد ، لتعلم إلى أي حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها في قضية الجهاد بإجماع آراء المسلمين في كل عصر من أعصارهم فاسمع :

١ ـ قال صاحب « مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر » مقرراً أحكام الجهاد في مذهب الأحناف : « الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل ، وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم ، والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين الذين هم أخبث الكفار ، للنقض بعد الإقرار والباغين . بُدءاً منا فرض كفاية ، يعني يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة ، وإن لم يقاتلونا ، فيجب على الامام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين ، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب ، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة ، أما الفريضة فلقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) ولقوله عليه الصلاة والسلام « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » وإن تركه الكل أثموا . . إلى أن قال : فإن غَلَبَ العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين ، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى ، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه ، والغريم بغير إذن دائنه .

وفي كتاب البحر : « امرأة مسلمة سبيت بالشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم » اهـ .

٢ ـ وقال صاحب « بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك » : الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي ، ويتعين (أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام وبهجوم العدو على

محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولي والزوج والسيد ورب الدَّيْن إن كان مديناً ، ويتعين أيضاً بالنذر ، وللوالدين المنع في فرض الكفاية فقط ، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين . اهـ .

٣ - وفي متن المنهاج للإمام النووي الشافعي :كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه سلم فرض كفاية وقيل عين ، وأما بعده فللكفار حالان :

أحدهما - يكونون ببلادهم ففرض كفاية ، إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

والثاني - يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن .

٤ - وفي « المغني » لابن قدامه الحنبلي قال : مسألة - والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين ، ويتعين في ثلاثة مواضع :

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ - إذا نزل الكفار ببلدة تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم .

٣ - إذا استنفر الامام قوماً لزمهم النفير معه .

وأقل مايفعل مرة كل عام .

قال أبو عبد الله يعني الإمام احمد بن حنبل لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد ، وغزوة البحر افضل من غزوة البر . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت أم حرام : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة» متفق عليه ، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعا لها ، فعمِّرت حتى ركبت البحر في أسطول المسلمين الذي فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها ، وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضي عنها .

٥ ـ وقال في « المحلى » لابن حزم الظاهري : مسألة ـ والجهاد فرض على المسلمين ، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين ، وإلا فلا قال الله تعالى : ﴿إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ ولا يجوز إلا بإذن الأبوين ، إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم ، أذن الأبوان أم لم يأذنا ، إلا أن يضيعا أو احدهما بعده ، فلا يحل له ترك من يضيع منهما .

٦ ـ وقال الشوكاني في « السيل الجرار » : الأدلة الواردة في فَرضيَّة الجهاد كتاباً وسنة أكثر من أن تكتب ها هنا ، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين . وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عَين على كل مكلف ، وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعيَّن ذلك عليه .

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين ، سلفيين وخلفيين ، على ان الجهاد فرض كفاية على الأمة الاسلامية ، لنشر الدعوة ، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها .والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار ، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم ، وتحكم في شؤونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم ، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم . فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمراً كان مفعولا .

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين في أي عصر من عصورهم ، قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم ، لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم ، فكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد ، كان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعاً في أكثر أوقاته بالجهاد ، وكان عبد الواحد بن زيد الصوفي الزاهد كذلك ، وكان شقيق البلخي شيخ الصوفية في وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد .

وكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة ، وكان القاضي أسد بن الفرات المالكي أميراً للبحر في وقته ، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة ولا يخطيء .

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم ، فأين نحن من هذا التاريخ ؟

لماذا يقاتل المسلم ؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الاسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال ، حتى تحققت الآية الكريمة : ﴿سنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتَبيَّن لهم أنه الحق﴾فصلت . فهاهم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام . فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضماناً للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون ، رسالة هداية الناس الى الحق والعدل ، وإن الاسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى : ﴿وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ الأنفال .

كان المسلم يخرج للقتال وفي نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد فرض دينه عليه أن لا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى ، فحب الجاه عليه حرام ، وحب الظهور عليه حرام ، وحب المال عليه حرام ، والغلول من الغنيمة عليه حرام ، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام . والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية الناس .

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيهُ قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، فلما بلغنا المغار استحثثت فرسي فسبقت أصحابي ، فتلقاني اهل الحي بالرنين ، فقلت لهم : قولوا لا إله إلا الله تحرزوا ، فقالوها ، فلامني أصحابي وقالوا : حرمتنا الغنيمة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بالذي صنعت ، فدعاني فحسن لي ما صنعت ثم قال لي : ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر ، وقال : أما إني سأكتب لك بالوصاية بعدي ، ففعل وختم عليه ودفعه إلي » أخرجه أبو داود .

وعن شداد بن الهادي رضي الله عنه : أن رجلا من الاعراب جاء فآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقسم وقسم له . فقال : ما هذا : فقال قسمته لك . فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة . قال : إن تصدق الله

يصدُقْك فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأُتي به النبي محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم . أهو هو؟ قالوا . نعم قال صدق الله فصدقه . ثم كفن في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدَّمه فصلى عليه . فكان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً وأنا شهيد على ذلك » . أخرجه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رجلاً قال : يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عَرَضاً من الدنيا فقال : لا أجر له . فأعادها عليه ثلاثـاً كل ذلك يقول : لا أجر له » أخرجه أبو داود .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟

قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » أخرجه الخمسة .

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكهم في البلاد التي فتحوها ، رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية ، وهي إرشاد الخلق الى الحق حتى تكون كلمة الله هي العليا ، ورأيت مبلغ الخطأ في اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق .

الرحمة في الجهاد الاسلامي

لما كانت الغاية في الجهاد الاسلامي أنبل الغايات ، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل فقد حرّم الله العدوان ، فقال تعالى : ﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾ وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى : ﴿ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة .

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال ، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى ، فهم في حربهم خير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسالمين

عن بريدة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : «أغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تَغُلّوا ولا تَغْدُروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » أخرجه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعَفُّ الناس قِتْلة أهلُ الإيمان » أخرجه أبو داود .

وعن عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النهب والمُثْلة » أخرجه البخاري .

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين ، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة ؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل ؟

اللهم فقه المسلمين في دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام .

ما يلحق بالجهاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهاداً أكبر هو جهاد النفس ، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد القلب أو جهاد النفس » .

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله . فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح ، قال أمير المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر في تسديد القوس : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة .

وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ،

ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر ؛ على أنه لو صح فليس يعطي أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها ، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله في كل عملها ، فليعلم . وهناك أمور تلحق بالجهاد منها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاء في الحديث : « إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

ولكن شيئاً منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يَقتل أو يقتل في سبيل الله .

خاتـــمة

أيها الإخوان : إن الأمة التي تحسن صناعة الموت ، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة ، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة . وما الوهم الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة .

واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة ، فان جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة ، وما يصيبكم إلا ما كتبَ الله لكم ، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أَمَنَةً نعاساً يَغْشى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمَّتْهم أنفسُهم يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قلْ إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لكَ ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرزَ الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم وليبتليَ الله ما في صدوركم وليمحِّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ آل عمران .

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله .

حسن البنا

رسالة التعاليم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم الى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه رسالتي الى الاخوان المجاهدين من الاخوان المسلمين ، الذين آمنوا بسموّ دعوتهم وقدسية فكرتهم ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها ، إلى هؤلاء الاخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة ، وهي ليست دروساً تحفظ لكنها تعليمات تنفذ ، فإلى العمل أيها الاخوة الصادقون ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملَكُم ورَسولهُ والمؤمنونَ وستردّون إلى عالِم الغيبِ والشهادةِ فينبئُكم بما كنتم تعملون﴾ التوبة ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيله ، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون﴾ الأنعام

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات ، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات ، ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات ، وكلاً وعد الله الحسنى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن البنا

أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها :

« الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » .

أيها الأخ الصادق :

الفهم

إنما أريد بالفهم :

أن توقن بأن فكرتنا « اسلامية صميمة » وأن تفهم الإسلام كما نفهمه ، في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز :

١ ـ الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة ، سواء بسواء .

٢ ـ والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرُّف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ ـ وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده ، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤ ى ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤ ـ والتمائم والرُّقى والوَدَعُ والرَمْلُ والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما

كان من هذا الباب منكر تجب محاربته « إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة » .

٥ ـ ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه ، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفي المصالح المرسلة ، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية ، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات . والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني ، وفي العاديات الالتفات الى الأسرار والحكم والمقاصد .

٦ ـ وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لا نعرض للاشخاص ـ فيما اختلف فيه ـ بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧ ـ ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته . وأن يستكمل نقصه العلمي ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨ ـ والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب .

٩ ـ وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيّته ، وفي التأول مندوحة .

١٠ ـ معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الاسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه ، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء ؛ ويسعنا ما وسع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا﴾ آل عمران .

١١ ـ وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ـ استحسنها النـ ـس بأهوائهـم ، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ـ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي الى ما هو شر منها .

١٢ ـ والبدعة الاضافية والتَّرْكِيَّة والالتزام في العبادات المطلقة خلاف فقهي ، لكل فيه رأيه ؛ ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ ـ ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة الى الله تبارك وتعالى ، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقـون﴾ والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً في حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ ـ وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالـكيفية المأثـورة ، ولـكن الاستعانـة بالمقبورين أياً كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ ـ والدعاء إذا قرن بالتوسل الى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة .

١٦ ـ والعرف الخاطىء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها ، والوقوف عندها . كما يجب الاحتـراز من الخـداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ ـ والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحـة ، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا ، وان اختلفت مرتبتا الطلب .

١٨ ـ والاسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الـكون ، ويرفـع قدر العلـم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء . و « الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها » .

١٩ ـ وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعي . فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ؛ ويؤوّل الظني منهما ليتفق مع القطعي ، فإن كانا ظنّيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

٢٠ ـ لا نكفّر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض ـ برأي أو معصية ـ إلا ان أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذّب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

وإذا علم الأخ المسلم « دينه » في هذه الأصول ، فقد عرف معنى هتافه دائماً « القرآن دستورنا والرسول قدوتنا » .

الإخلاص

وأريد بالإخلاص :

أن يقصد الاخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله ، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندي فكرة وعقيدة ، لا جندي غرض ومنفعة ﴿قل إنّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ﴾ الأنعام . وبذلك يفهم الاخ المسلم معنى هتافه الدائم : « الله غايتنا » و« الله أكبر ولله الحمد » .

العمل

وأريد بالعمل :

ثمرة العلم والاخلاص ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملَكُم ورسولُه والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ التوبة . ومراتب العمل المطلوبة من الاخ الصادق :

١ ـ اصلاح نفسه حتى يكون : قوي الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادراً على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ،

منظماً في شؤونه ، نافعاً لغيره . وذلك واجب كل أخ على حدته .

٢ ـ وتكوين بيت مسلم ، بأن يحمل أهله على احترام فكرته ، والمحافظة على آداب الاسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة ، وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحسن تربية الاولاد والخدم وتنشئتهم على مبادىء الاسلام . وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك .

٣ ـ وإرشاد المجتمع ، بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف ، والمبادرة الى فعل الخير ، وكسب الرأي العام الى جانب الفكرة الاسلامية ، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائما . وذلك واجب كل أخ على حدته ، وواجب الجماعة كهيئة عاملة .

٤ ـ وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبي ـ غير اسلامي ـ سياسي أو اقتصادي أو روحي .

٥ ـ واصلاح الحكومة حتى تكون اسلامية بحق ، وبذلك تؤدي مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها . والحكومة اسلامية ما كان اعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الاسلام غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الاسلام وتعاليمه . .

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة في غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذي تتخذه ولا بالنوع ، ما دام موافقاً للقواعد العامة في نظام الحكم الاسلامي .

ومن صفاتها : الشعور بالتبعة ، والشفقة على الرعية ، والعدالة بين الناس ، والعفة عن المال العام ، والاقتصاد فيه .

ومن واجباتها : صيانة الامن ، وانفاذ القانون ، ونشر التعليم ، واعداد القوة ، وحفظ الصحة ، ورعاية المنافع العامة ، وتنمية الثروة وحراسة المال ، وتقوية الاخلاق ، ونشر الدعوة .

ومن حقها ـ متى أدت واجبها ـ : الولاء والطاعة ، والمساعدة بالنفس والاموال .

فإذا قصرَّت ، فالنصح والارشاد ، ثم الخلع والابعاد ، ولا طاعـة لمخلـوق في معصية الخالق .

٦ ـ وإعادة الكيان الدولي للأمة الاسلامية ، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها ، حتى يؤدي ذلك كله الى اعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة .

٧ ـ وأستاذية العالم بنشر دعوة الاسلام في ربوعه ﴿حتـى لا تكونَ فتنـةٌ ويكونَ الدينُ كلُه لله﴾ ، ﴿ويأبى الله إلا أن يُتم نورَه﴾ .

وهذه المراتب الأربعة الاخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً في الجماعة ، وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات ، يراها الناس خيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبداً ، ولنا في الله أعظم الأمل ﴿والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يوسف .

الجهــاد

وأريد بالجهاد :

الفريضة الماضية الى يوم القيامة . والمقصود بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » . وأول مراتبـه إنـكار القلـب ، وأعلاها القتال في سبيل الله ، وبين ذلك : جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر . ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد ، وبقدر سمو الدعوة وسعـة أفقهـا تكون عظمة الجهاد في سبيلها ، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها ، وجزالة الثواب للعاملين ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ الحج .

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم « الجهاد سبيلنا » .

التـضــحية

وأريد بالتضحية :

بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية ، وليس في الدنيا جهاد لا تضحية معه . ولا تضيع في سبيل فكرتنا تضحية ، وإنما هو الاجر الجزيل والثواب الجميل ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفُسهم

وأموالهم﴾ ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ الآية ﴿ذلك بأنهم لا يُصيبهُم ظمأ ولا نَصَب﴾ الآية ﴿فإن تطيعوا يؤتِكم الله أجراً حسنا﴾ وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم « والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » .

الطاعة

وأريد بالطاعة :

امتثال الأمر وانفاذه تواً في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وذلك ان مراحل هذه الدعوة ثلاث :

التعريف ـ بنشر الفكرة العامة بين الناس ، ونظام الدعوة في هذا المرحلة نظام الجمعيات الادارية ، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والارشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى ، الى غير ذلك من الوسائل العملية . وكل شُعَب الاخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة ، وينظمها « القانون الاساسي » وتشرحها وسائل الاخوان وجريدتهم ، والدعوة في هذه المرحلة « عامة » .

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها . وليست الطاعة التامة لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادىء العامة للجماعة .

التكوين ـ باستخلاص العناصر الصالحة لحمل اعباء الجهاد وضم بعضها الى بعض ، ونظام الدعوة ـ في هذه المرحلة ـ صوفي بحت من الناحية الروحية ، وعسكري بحت من الناحية العملية ، وشعار هاتين الناحيتين دائماً (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج ، وتمثل الكتائب الاخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة ، وتنظمها رسالة المنهج سابقاً ، وهذه الرسالة الآن .

والدعوة فيها «خاصة» لا يتصل بها إلا من استعد استعداداً حقيقيا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات ، وأول بوادر هذا الاستعداد « كمال الطاعة » .

التنفيذ ـ والدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه ، وعمل متواصل في سبيل الوصول الى الغاية ، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون ، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا « كمال الطاعة كذلك » وعلى هذا بايع الصف الاول من الاخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الاول سنة ١٣٥٩ هـ

وأنت بانضمامك الى هذه الكتيبة ، وتقبلك لهذه الرسالة ، وتعهدك بهذه البيعة ، تكون في الدور الثاني . وبالقرب من الدور الثالث . فقدر التبعة التي التزمتها وأعِدَّ نفسك للوفاء بها .

الثبات

وأريد بالثبات :

أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً في سبيل غايته ، مهما بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام ، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين ، فإما الغاية وإما الشهادة في النهاية ﴿مِن المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحبَهُ ومنهم من ينتظرُ وما بدّلوا تبديلا﴾ الاحزاب . والوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيرة العقبات ، ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة .

وذلك أن كل وسيلة من وسائلنا (الستة) تحتاج إلى حسن الاعداد وتحين الفرص ودقة الانفاذ ، وكل ذلك مرهون بوقته ﴿ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾الاسراء .

التجرد

وأريد بالتجرد :

أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادىء والأشخاص ، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها ﴿صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغة﴾ البقرة ﴿قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيمَ والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُرءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وحدَه﴾ الممتحنة .والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف : مسلم مجاهد ، أو مسلم قاعد ، أو مسلم آثم ، أو ذمي معاهد ، أو محايد ، أو محارب . ولكلٍّ حكمه في ميزان الاسلام ، وفي حدود هذه الأقسام توزن الاشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء .

الأخـوة

وأريد بالاخوة :

أن ترتبط القلوب والارواح برباط العقيدة ، والعقيدة اوثق الروابط وأغلاها ؛ والاخوة أخوة الايمان والتفرق أخو الكفر ؛ واول القوة قوة الوحدة ، ولا وحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الايثار ﴿ومن يُوقَ شُحّ نفسِه فأولئك هم المفلحون﴾ الحشر . والاخ الصادق يرى إخوانه أَوْلى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ؛ وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ وهكذا يجب ان نكون .

الثقـة

وأريد بالثقـة :

اطمئنان الجندي الى القائد في كفاءته واخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حَرَجا مما قضيتَ ويُسلِّموا تسليما﴾ النساء . والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادة ، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة ، واحكام خططها ، ونجاحها في الوصول الى غايتها ، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب ﴿فأوْلى لهم طاعةٌ وقول معروف﴾ . وللقيادة في دعوة الاخوان حق الوالد بالرابطة القلبية ، والاستاذ بالافادة العلمية ، والشيخ بالتربية الروحية ، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة ؛ ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعا ، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات . ولهذا يجب ان يسأل الاخ الصادق نفسه هذه الاسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته :

١ ـ هل تعرف الى قائده من قبل ودرس ظروف حياته ؟

٢ ـ هل اطمأن الى كفايته واخلاصه ؟

٣ ـ هل هو مستعد لاعتبار الاوامر التي تصدر اليه من القيادة في غير معصية طبعا قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير ؟ مع ابداء النصيحة والتنبيه الى الصواب ؟

٤ ـ هل هو مستعد لأن يفترض في نفسه الخطأ وفي القيادة الصواب ، اذا تعارض ما

أمر به مع ما تعلم في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص شرعي ؟

٥ - هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة ؟ وهل تملك القيادة في نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة .

وبالاجابة على هذه الامثلة وأشباهها يستطيع الاخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد ، وثقته به ، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿لو أنفقتَ ما في الارض جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم ولكنَّ الله ألفَ بينهم إنه عزيز حكيم﴾ الأنفال .

ايها الأخ الصادق

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية في البناء :

١ - أن يكون لك « ورد » يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء ، واجتهد ألا تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام .

٢ - أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع اليه والتدبر في معانيه ، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك ، وأقل ما يكفي في ذلك كتاب « حماة الاسلام » وأن تكثر من القراءة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن تحفظ أربعين حديثاً على الأقل ولتكن الأربعين النووية ، وأن تدرس رسالة في أصول العقائد ورسالة في فروع الفقه .

٣ - أن تبادر بالكشف الصحي العام وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض ، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحي .

٤ - ان تبتعد عن الاسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة ، فلا تشربها إلا لضرورة ، وأن تمتنع بتاتاً عن التدخين .

٥ - أن تعنى بالنظافة في كل شيء في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل ، فقد بني الدين على النظافة .

٦ - ان تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً .

٧ - ان تكون وفياً بالعهد والكلمة والوعد ، فلا تخلف مهما كانت الظروف .

٨ ـ أن تكون شجاعاً عظيم الاحتمال ، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر ، والاعتراف بالخطأ والانصاف من النفس وملكها عند الغضب .

٩ ـ ان تكون وقوراً تؤثر الجد دائماً ، ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك في تبسم .

١٠ ـ أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور ، عظيم التأثير بالحسن والقبح تسر للاول وتتألم للثاني ، وأن تكون متواضعاً في غير ذلة ولا خنوع ولا ملق ، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل اليها .

١١ـ أن تكون عادلا صحيح الحكم في جميع الأحوال ، لا ينسيك الغضب الحسنات ولا تغضي عين الرضا عن السيئات ، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل ، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس اليك وان كان مراً .

١٢ ـ ان تكون عظيم النشاط مدرباً على الخدمات العامة ، تشعر بالسعادة والسرور إذا إستطعت أن تقدِّم خدمة لغيرك من الناس ، فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضعيف وتواسي المنكوب ولو بالكلمة الطيبة ، وتبادر دائماً إلى الخيرات .

١٣ ـ أن تكون رحيم القلب كريماً سمحاً تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالانسان والحيوان ، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً ، محافظاً على الآداب الاسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس ،ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب ، وتستأذن في الدخول والانصراف ، الخ .

١٤ ـ أن تجيد القراءة والكتابة ، وأن تكثر من المطالعة في رسائل الاخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها ، وأن تكوّن لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة ، وأن تتبحر في علمك وفنك ان كنت من أهل الاختصاص ، وان تلم بالشؤ ون الاسلامية العامة إلماماً يمكنك من تصورها والحكم عليها حكماً يتفق مع مقتضيات الفكرة .

١٥ ـ أن تزاول عملا اقتصادياً مهما كنت غنياً ، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلا ، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية .

١٦ ـ ألا تحرص على الوظيفة الحكومية ، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا

ترفضها إذا أتيحت لك ، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة .

١٧ ـ أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الاجادة والاتقان وعدم الغش وضبط الموعد .

١٨ ـ ان تكون حسن التقاضي لحقك ، وأن تؤدي حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب ، ولا تماطل أبداً .

١٩ ـ ان تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها ، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل .

٢٠ ـ أن تبتعد عن الربا في جميع المعاملات وأن تطهر منه تماماً .

٢١ ـ إن تخدم الثروة الاسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الاسلامية ، وأن تحرص على القرش فلا يقع في يد غير اسلامية مهما كانت الأحوال ، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الاسلامي .

٢٢ ـ أن تشترك في الدعوة بجزء من مالك ، تؤدي الزكاة الواجبة فيه ، وأن تجعل منه حقاً معلوماً للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلا .

٢٣ ـ ان تدخر للطوارىء جزءاً من دخلك مهما قلَّ ، وألا تتورط في الكماليات أبداً .

٢٤ ـ أن تعمل ما استطعت على احياء العادات الاسلامية واماتة العادات الأعجمية في كل مظاهر الحياة ، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزي والأثاث ، ومواعيد العمل والراحة ، والطعام والشراب ، والقدوم والانصراف ، والحزن والسرور .. الخ ، وان تتحرى السنة المطهرة في كل ذلك .

٢٥ ـ أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير اسلامي ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الاسلامية مقاطعة تامة .

٢٦ ـ ان تديم مراقبة الله تبارك وتعالى ، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمَّة وعزيمة ، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة

الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل ، والاكثار من الذكر القلبي واللساني ، وتحرّي الدعاء المذكور على كل الاحوال .

٢٧ ـ أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء في غالب الأحيان .

٢٨ ـ أن تحسن الصلاة وتواظب على ادائها في أوقاتها ، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك .

٢٩ ـ أن تصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، وتعمل على ذلك ان تكن مستطيعاً الآن ذلك .

٣٠ ـ أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد .

٣١ ـ أن تجدد التوبة والاستغفار دائما وأن تتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها ، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر ، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه في غير فائدة ، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع في الحرام .

٣٢ ـ أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك ، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازع الغريزة في نفسك ، وتسمو بها دائماً الى الحلال الطيب ، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أياً كان .

٣٣ ـ أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب .

٣٤ ـ أن تبتعد عن اقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والاثم .

٣٥ ـ ان تحارب اماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها ، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعاً .

٣٦ ـ أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة ، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك ، وتؤدي حقوق أخوتهم كاملة من الحب التقدير والمساعدة والايثار ، وان تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها الا بعذر قاهر ، وتؤثرهم بمعاملتك دائماً .

٣٧ ـ أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك وبخاصة إذا أمرت بذلك .

٣٨ ـ أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً الا باذن ، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملي بها ، وأن تعتبر نفسك دائماً جنديا في الثكنة تنتظر الأمر .

أيها الأخ الصادق :

هذا مجمل لدعوتك ، وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادىء في خمس كلمات :

الله غايتنا . والرسول قدوتنا . والقرآن شرعتنا . والجهاد سبيلنا . والشهادة أمنيتنا .

وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى :

البساطة . والتلاوة . والصلاة . والجندية . والخلق . فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم ، والا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين .

واعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك ، كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة ، وأنت منا ونحن منك ، وان انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك ، وان تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا باكبر المظاهر ، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب . فاختر لنفسك ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق .

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلُّكم على تجارة تُنْجيكم من عذاب اليم :

١ ـ تؤمنون بالله ورسولِهِ

٢ ـ وتجاهدون في سبيل الله بأموالِكُمْ وأنفُسِكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون:

١ ـ يَغْفِرْ لكم ذنوبكم

٢ ـ ويُدْخِلْكم جنَّات تجري من تحتِها الأنهارُ ومساكِنَ طيبةً في جناتِ عدْنٍ ذلك الفوز العظيم

٣ ـ وأخرى تحبونها نصرٌ من الله

٤ ـ وفتح قريب . وبشر المؤمنين ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارَ الله كما قال عيسى بنُ مريَمَ للحواريينَ من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصارُ الله فآمَنَتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكَفَرَتْ طائفةٌ فأيَّدْنا الذين آمنوا على عدوِّهم فأصبحوا ظاهرين﴾ الصف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نظام الأسرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

الأسـرة

يحرص الاسلام على تكوين أسر من أهله يوجههم الى المثل العليا ويقوّي روابطهم ، ويرفع أخوّتهم من مستوى الكلام والنظريات الى مستوى الافعال والعمليات . فاحرص يا أخي أن تكون لبنة صالحة في هذا البناء (الاسلام) .

وأركان هذا الرباط ثلاثة فاحفظها واهتم بتحقيقها حتى لا يكون هذا تكليفاً لا روح فيه :

١ ـ التعارف : هو أول هذه الأركان ، فتعارفوا وتحابوا بروح الله ، واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم ، واجتهدوا أن لا يعكر صفو علاقتكم شيء ، وتمثلوا الآيات الكريمة دائما والاحاديث الشريفة ، اجعلوها نصب أعينكم وتذاكروا قول الله تعالى : ﴿انما المؤمنون أخوة﴾ وقوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقول رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » « مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد » .

ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية بعد الصدر الاول كلاماً على ألسنة المسلمين ، وخيالا في نفوسهم ، حتى جئتم معشر الاخوان المتعارفين ، تحاولون تطبيقها في مجتمعكم ، وتريدون تأليف الأمة ، المتآخية بروح الله وأخوّة الاسلام من جديد ، فهنيئاً لكم ان كنتم صادقين ، وأرجو أن تكونوا كذلك ، والله ولي توفيقكم .

٢ ـ والتفاهم : وهو الركن الثاني من أركان هذا النظام . فاستقيموا على منهج

الحق ، وافعلوا ما أمركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه . وحاسبوا أنفسكم حساباً دقيقاً على الطاعة والمعصية . ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه ، متى رأى فيه عيباً . وليقبل الاخ نصح أخيه بسرور وفرح ، وليشكر له ذلك . وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة ، وليحذر أن يشعره بانتقاصه ، أو بتفضيل نفسه عليه ، ولكنه يتستر عليه شهراً كاملاً ، ولا يخبر بما لاحظه أحداً إلا رئيس الاسرة وحده اذا عجز عن الاصلاح ، ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له ، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا . وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة ، فان مرتبة الحب في الله هي أعلى المراتب ، والنصيحة ركن الدين : « الدين النصيحة » والله يعصمكم من بعض ، ويعزكم بطاعته ، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان .

٣ ـ التكافل : هو الركن الثالث . فتكافلوا ، وليحمل بعضكم عبء بعض ، وذلك صريح الايمان ولب الاخوة ، فليتعهد بعضكم بعضاً بالسؤال والبر ، وليبادر الى مساعدته ما وجد الى ذلك سبيلاً . وتصوروا قول رسول الله ﷺ « لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خير له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهراً » ـ « من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم يرَ الله له جزاء دون الجنة » والله يؤلف بين قلوبكم بروحه انه نعم المولى ونعم النصير .

أيها الاخوان : في الواجبات التي بين أيديكم ـ إن وعيتموها ـ والاعمال التي بين أيديكم ـ إن اتبعتموها ـ ما يكفل تحقيق هذه الاركان . فراجعوا دائماً واجبات الأخ التعاوني ، وليحاسب كل منكم نفسه على انفاذها ، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره ، ثم ليبادر كل منكم الى تسديد ما عليه لصندوق اسرته ، حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف ؛ فاذا أديتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية فان أركان هذا النظام ستتحقق ولا شك . واذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت ، وفي موته أكبر خسارة لهذه الدعوة ، وهي اليوم أمل الاسلام والمسلمين . ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الاسبوعي كأسرة ، وذلك أمر سهل ميسور وما اكثر الواجبات واقل الاوقات ، فليكن ما تشغل الاسرة به اجتماعاتها :

١ ـ يعرض كل أخ مشاكله ويشاركه اخوانه في دراسة حلولها في جو من صدق الأخوة واخلاص التوجه الى الله . وفي ذلك توطيد للثقة ، وتوثيق للرابطة « المؤمن مرآة

أخيه » وحتى يتحقق فينا شيء من مأثور قوله عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

٢ ـ مذاكرة حول شؤون الاسلام . وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للاسر ، ولا محل في الاسرة للجدل أو الحدة أو رفع الصوت ؛ فذلك حرام في فقه الاسرة ، ولكنه بيان واستيضاح في حدود الأدب الكامل والتقدير المتبادل من الجميع . فاذا اغلق شيء أو أريد اقتراح شيء او استيضاحه ، احتفظ به النقيب حتى يرجع الى القيادة ، قد عاب الله أقواماً فقال : ﴿واذا جاءَهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به . .﴾ ثم أرشدهم الى ما يجب أن يكون فقال : ﴿ولو ردوه الى الرسولِ وإلى أولي الأمر منهم لعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم﴾ سورة النساء .

٣ ـ مدارسة نافعة في كتاب من الكتب القيمة . وليحرص الاخوان بعد هذا على تحقيق معنى الأخوةّ في المجاملات الطارئة ، التي لا تحصرها الكتب ولا تحيط بها التوجيهات ، وأشار اليها الصادق الامين ﷺ : عيادة المريض ، ومواساة المحتاج ولو بالكلمة الطيبة ، وتفقد الغائب ، وتعهد المنقطع . . كلها تزيد رابطة الاخاء ، وتضاعف في النفوس الشعور بالحب والصلة .

ولزيادة الترابط بين الاخوان عليهم أن يحرصوا على :

١ ـ القيام برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغير ذلك .
٢ ـ القيام برحلات قمرية رياضية .
٣ ـ القيام برحلات نهرية للتجذيف .
٤ ـ القيام برحلات جبلية أو صحراوية أو حقلية .
٥ ـ القيام برحلات متنوعة بالدراجة .
٦ ـ صيام يوم في الأسبوع او كل اسبوعين .
٧ ـ صلاة الفجر جماعة مرة كل اسبوع على الاقل في المسجد .
٨ ـ الحرص على مبيت الاخوان مع بعضهم مرة كل أسبوع أو اسبوعين .

العقائد

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمات

١ ـ تعريف العقائد

العقائد : هي الأمورُ التي يجب أن يُصدِّق بها قلبُك ، وتطمئنّ إليها نفسُك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجُه ريْب ، ولا يخالطه شك .

٢ ـ درجات الاعتقاد

والناس في قوةِ العقيدة وضعفِها أقسام كثيرة ، بحسب وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم . ولنوضحْ لك هذا المقام بضرب المثال الآتي :

لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يَره ، كاليمن مثلاً ، من رجل آخر غيرِ معروفٍ بالكذب ، فإنه يصدق بوجود هذا البلد ويعتقدهُ ؛ فإذا سمع هذا الخبر من عدةِ رجالٍ زاد به ثقةً ، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشُّبهات . فإذا رأى صورته الفتوغرافية زاد اعتقادُه بوجوده ، وأصبح الشك متعسراً عليه أمامَ قوةِ هذا الدليل . فإذا سافر وبدت له أعلامهُ وبشائرهُ زاد إيقانُه وزالَ شكه ، فإذا نزله ورآه رأي العين ، لم يعد هناك مجالٌ للريبة ، ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخاً قويًا حتى يكون من المستحيل رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها . فإذا سار في طرقه وشوارعه ، ودرسَ شؤونَه وأحوالَه ازدَاد به خبرةً ومعرفةً ، وكان ذلك أمراً موضحاً لاعتقاده زائداً عليه .

إذا علمت هذا فاعلم أن الناسَ أمامَ العقائِد الدينية أقسامٌ كذلك : منهم من تلقاها تلقيناً ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبهات . ومنهم من نظر وفكَّر فازداد إيمانُه ، وقويَ يقينهُ . ومنهم من أدام النَّظرَ وأعملَ الفِكْر ، واستعان بطاعةِ الله تعالى وامتثالِ أمره ، وإحسانِ عبادتِه ، فأشرقت مصابيحُ الهداية في قلبه ، فرأى بنور بصيرتِه ما أكملَ إيمانَه وأتمَّ يقينه ، وثبَّت فؤادَه : ﴿ والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم[1] ﴾ .

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطِن التقليدِ في التوحيدِ ، وتُعمل الفكر في تَفَهُّمِ عقيدتك ، وتستعين بطاعة مولاك في معرفةِ أصولِ دينِك حتى تصلَ إلى مراتب الرجالِ ، وتترقّى في مدارج الكمال :

قد رشَّحوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ لـه فَارْبأْ بنفسِك أن ترعَى مع الهمَلِ

٣ ـ تقدير الاسلام للعقل

أساسُ العقائدِ الإسلامية ـ ككل الأحكام الشرعية ـ كتابُ الله تعالى ، وسنَّةُ رسولِهِ ﷺ .

ويجب أن تعلم ، مع ذلك ، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل ، ويثبِّتُها النظرُ الصحيحُ ؛ ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطابِ ، وجعلَه مناطَ التكليف ، وندبَه إلى البحثِ والنظر والتفكير . قال اللهُ تعالى : ﴿ قُلِ انْظُرُوا ماذا في السَّمواتِ والأرض[2] وما تُغْني الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنون[3] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أَفَلَم

---

(١) سورة محمد آية ١٧

(٢) أي من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى . ﴿ وما تغني الآيات ﴾ : أي الدلالات . ﴿ والنذر ﴾ : أي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

(٣) سورة يونس آية ١٠١

يَنْظُرُوا إلى السَّماءِ فوقَهم[1] بَنَيْناها ، وزَيَّناها ، وما لها من فُرُوجٍ . والأرضَ مَدَدْناها ، وألقَيْنا فيها رَواسِي ، وأنْبَتْنا فيها من كل زَوْجٍ بهيجٍ . تَبْصِرةً وذِكْرَى لكلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ . ونَزَّلنا من السَّماء ماءً مباركاً فَأَنْبَتْنَا بهِ جنَّاتٍ وَحَبَّ الحصيد . وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ . رِزْقاً للعِبادِ وأَحْيَيْنَا به بلدةً مَيْتاً ، كذلِكَ الخُروجُ[2] ﴾ وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى : ﴿وكأين من آيةٍ[3] في السَّموات والأرض يمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُون[4]﴾ وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان ؛ تقديراً للأدلةِ ، وإظهاراً لشرف الحجة . وقد ورد في الحديث أن بلالا جاءَ يُؤذِنُ النبيَّ ﷺ بصلاة الصبح ، فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه ، فقال : « ويحكَ يا بلالُ ! وما يمنعني أن أبكيَ وقد أنزلَ اللهُ عَلَيَّ في هذه الليلة ﴿ إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَيْلِ وَالنَّهارِ لآيَاتٍ لأولِي الألبابِ[5]﴾ ثم قال : « وَيْلٌ لمن قرأها ولم يَتَفكَّرْ فيها » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (التفكر) .

ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يَحْجُر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإن أرشدها إلى التزامِ حدِّها ، وعرَّفها قلّةَ علمها، وندَبها إلى الإستزادة من معارفها،فقال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم من العِلْمِ إلاَّ قَليلاً[6]﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْني عِلْماً[7]﴾ .

---

(١) أي نظر اعتبار وتفكر ﴿ كيف بنيناها ﴾ : أي رفعناها بلا عمد . ﴿ وزيناها ﴾ بالنجوم ﴿ ومالها من فروج ﴾ أي شقوق تعيبها ﴿ والأرض مددناها ﴾ : اي دحوناها ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالاً تثبتها ﴿ من كل زوج ﴾ : أي صنف من النبات ﴿ بهيج ﴾ أي حسن يسر الناظرين ﴿ تبصرة ﴾ أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿ وذكرى ﴾ تذكيراً ﴿ لكل عبد منيب ﴾ رجاع الى طاعتنا ﴿ فأنبتنا به جنات ﴾ : أي بساتين ﴿ وحب الحصيد ﴾ : أي وحب النبت المحصود . ﴿ والنخل باسقات ﴾ : أي طوالا ﴿ لها طلع نضيد ﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿ كذلك الخروج ﴾ : أي من القبور .

(٢) سورة ق آية ١١ .

(٣) ﴿ وكأين من آية ﴾ أي وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى ﴿ يمرون عليها ﴾ : أي يشاهدونها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ : أي لا يتفكرون فيها .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٠ .

(٥) ﴿ لآيات لأولي الألباب ﴾ الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل . قال القرطبي : ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حيّ قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستنداً الى اليقين لا إلى التقليد . سورة آل عمران آية ١٩٠ .

(٦) سورة الإسراء آية ٨٥

(٧) سورة طه آية ١١٤

٤ ـ أقسام العقائد الإسلامية

العقائد الإسلاميةُ تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ ، تحت كل قسم منها فروع عِدّة .

القسم الأول : الإلهيات ، وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله . ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادُه من العبد لمولاه .

القسم الثاني : النبوّات ، وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوانُ الله عليهم ، والمعجزةِ والكرامةِ ، والكتبِ السماويةِ .

القسم الثالث : الرُّوحانيَّات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالَم غير المادي : كالملائكةِ عليهم السلام ، والجن ، والروح .

القسم الرابع : السَّمْعيّات ، فيما يتعلق بالحياة البَرْزَخيَّةِ ، والحياة الأخروية : كأحوال القبر ، وعلاماتِ القيامةِ ، والبعثِ ، والموقفِ ، والحسابِ ، والجزاءِ .

القسم الأول ـ الإلهيات

١ ـ ذات الله تبارك وتعالى

اعلم يا أخي ، هدانا الله وإياك إلى الحق ، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيطَ بها العقولُ البشريةُ ، أو تدركَها الأفكارُ الإنسانيةُ ، لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ ، محصورة القدرةِ . وسنفرد لك بحثاً خاصا إن شاء الله تعالى ، تعلم منه مبلغ قصور العقل البشري عن إدراك حقائق الأشياء ، ولكن يكفي أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا ، من أكبرها إلى أصغرها ، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالكهرباء ، والمغناطيس وغيرهما ، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئاً من حقيقتها ، ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشيء ؛ على أن معرفة حقائق الأشياء وذواتِها لا يفيدنا بشيء ، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا في الأمور التي نلمسها ونحسُّها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى ؟ ! وقد ضل أقوام تكلموا في ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سببا لضلالهم وفتنتهم واختلافهم لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديدَه ، ولا يقدرون على معرفةِ كُنْهِهِ ، ولهذا نهى رسولُ الله ﷺ عن التفكر في ذات الله ، وأمر بالتفكر في مخلوقاته .

التفكر في ذات الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً تفكَّروا في الله عز وجل فقال النبيُّ ﷺ : « تَفكَّرُوا في خَلقِ اللهِ ، ولا تَتَفكَّرُوا في الله ، فإنكم لن تَقْدُرُوا قَدْرَهُ » قال العراقي : رواه أبو نُعَيمٍ في الحِلْيَة بإسنادٍ ضعيفٍ ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب بإسناد أصح منه ، ورواه أبو الشيخ كذلك ، وهو على كل حال صحيح المعنى .

وليس ذلك حَجْراً على حرية الفكر ، ولا جموداً في البحث ، ولا تضييقا على العقل ، ولكنه عِصمةٌ له من التردي في مهاوي الضلالةِ ، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم

تتوفر له وسائلُ بحثها ، ولا تحتمل قوتُهُ ، مهما عظمت ، علاجَها ، وهذه هي طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمةِ ذاتِه ، وجلالِ قدرِه . سئل الشبلي[1] رحمه الله تعالى عن الله تبارك وتعالى فقال : هو الله الواحد المعروف ، قبل الحدود وقبل الحروف . وقيل ليحيى بن مُعاذٍ : أخبرني عن الله عز وجل ؟ فقال : إلهٌ واحد . فقيل له : كيف هو ؟ فقال : مَلِكٌ قادر . فقيل له : أين هو ؟ فقال : هو بالمِرْصادِ . فقال السائل : لم أسألْك عن هذا . فقال : ما كان غير هذا كان صفة المخلوق ، فأما صفته فما أخبرتك عنه .

فاحصر همتك في إدراك عظمةِ ربِّك بالتفكرِ في مخلوقاتِه والتمسك بلوازم صفاتِه .

٢ ـ أسماء الله الحسنى

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركاً بها ، وتلذذاً بذكرها ، وتعظيما لقدرها . وإليك الحديث الصحيح الذي جمعها ، فَنِعم المعلِّم حديثُ رسولِ الله ﷺ ، ونعم المرشدُ والهادي لسانُ الوحي ، ومشكاةُ النبوَّةِ .

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « لله تسعةٌ وتسعونَ اسماً مائةً إلا واحداً[2] لا يحفظها أحدٌ إلا دخلَ الجنّةَ ، وهو وِتْرٌ[3] يحبُّ الوتْرَ » رواه البخاريُّ ومسلمٌ ، وفي رواية للبخاري « من أحصاها » ورواه الترْمِذِيُّ وزاد : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمنُ الرحيمُ ، الملِكُ ، القدُّوسُ ، السلامُ ، المؤمنُ ، المُهَيمِنُ ، العزيزُ ،

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي . قال أبو القاسم القشيري : بغدادي المولد والمنشأ ، صحب الجنيد ومن في عصره .

(٢) قوله ﷺ « مائة إلا واحدا » ، قال الحافظ العسقلاني في شرح البخاري : قال جماعة من العلماء الحكمة في قوله « مائة إلا واحداً » بعد قوله ﴿ تسعة وتسعون ﴾ أن يتقرر ذلك في نفس السامع جمعاً بين جهتي الإجمال والتفصيل ، أو دفعا للتصحيف الخطي والسمعي .

(٣) قوله ﷺ « وهو وتر » : أي انه تبارك وتعالى الواحد الذي لا نظير له في ذاته ولاانقسام وقوله ﷺ « يحب الوتر » . قال القرطبي : الظاهر أو الوتر هنا لـ[illegible]ـس ؛ اذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه ، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه . ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه ، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترا من مخلوقاته ، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها . ويحتمل أن يريد بذلك وتراً بعينه وإن لم يجر له ذكر . ثم قال بعد كلام : ويظهر لي وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد ، فيكون المعنى ان الله في ذاته وكماله وأفعاله واحد يحب التوحيد ؛ اي ان يوحّد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه ، فليتئم أول الحديث وآخره ، والله أعلم .

الجبّار ، المتكبّرُ ، الخالِقُ ، البارىء ، المصوِّرُ ، الغفارْ القهّار ، الوهّابُ ، الرزّاقُ ، الفتّاحُ ، العليمُ ، القابضُ ، الباسِطُ، الخافِضُ ، الرافع ، المعزُّ ، المذِلُّ ، السميعُ ، البصيرُ ، الحكَمُ ، العدلُ ، اللطيفُ ، الخبيرُ ، الحليمُ ، العظيمُ ، الغفورُ ، الشكورُ ، العليُّ ، الكبيرُ ، الحفيظ ، المُقيتُ ، الحسيبُ ، الجليلُ ، الكريمُ ، الرّقيبُ ، المجيبُ ، الواسعُ ، الحكيمُ ، الودُودُ، المجيدُ ، الباعثُ ، الشّهيدُ ، الحقُّ ، الوكيلُ ، القويُّ ، المتينُ ، الوليُّ ، الحميدُ ، المحصي ، المبدىءُ ، المُعيدُ ، المحيي ، المميتُ ، الحيُّ ، القيّومُ ، الواجدُ ، الماجدُ ، الواحِدُ ، الصَّمَدُ ، القادرُ ، المقتدِرُ ، المقدِّمُ ، المؤخِّرُ ، الأولُ ، الآخِرُ ، الظاهرُ ، الباطِنُ ، الوالي ، المتعالي ، البَرُّ ، التوابُ ، المنتقمُ ، العفوُّ ، الرؤوفُ ، مالِكُ الملكِ ، ذو الجلالِ والإكرام ، المقْسط ، الجامعُ ، الغنيُّ ، المغني ، المانعُ ، الضارُّ ، النافعُ ، النورُ ، الهادي ، البديعُ ، الباقي ، الوارثُ ، الرَّشيدُ ، الصَّبورُ ﴾ .

معـاني بعـض أسمـاء الله

﴿ القدُّوسُ ﴾ المطهَّرُ من العيوبِ . ﴿ السلامُ ﴾ الأمان لخلقِه ، أو هو السالمُ من العيوبِ ، ﴿ المُؤْمِنُ ﴾ المصدِّقُ وعدَه لخلقِه والمؤمِّنُ لهم من عذابِه . ﴿ المهيْمن ﴾ المسيطرُ المتصرِّفُ ، أو الشهيدُ الرقيبُ . ﴿ العزيزُ ﴾ القاهرُ الغالبُ . ﴿ الجبَّارُ ﴾ المنفذ لأوامره . ﴿ المتكبِّرُ ﴾ العالي عن صفات الخلق المتفرِّد بصفات عظمتِه ﴿ البارىءُ ﴾ الخالقُ وهو في خلق ذي الروح أظهر . يقال : بارىءُ النّسَم وخالقُ السموات والأرض . ﴿ المقيتُ ﴾ العالمُ العارفُ ﴿ الحَسيبُ ﴾ الكافي لخلقِه . ﴿ المحْصي ﴾ هو الذي أحصى كل شيء بعلمِه فلا يفوته شيء من الأشياءِ . ﴿ البَرُّ ﴾ المتعطِّفُ على عباده ببرِّه ولطفِه . ﴿ المقْسِطُ ﴾ العادلُ في حكمه . ﴿ الرشيدُ ﴾ الذي يُرشِدُ الخلق إلى مصالحهم . ﴿ الصبورُ ﴾ هو الذي لا يعاجلُ العُصاةَ بالانتقامِ منهم .

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١ ـ الاسماء الزائدة عن التسعة والتسعين

هذه التسعة والتسعون ليست كل ما ورد في اسماء الله تبارك وتعالى ، بل وردت الأحاديث بغيرها من الأسماء . فقد ورد في هذا الحديث من رواية أخرى ﴿ الحنَّانُ ﴾ ﴿ المنان ﴾ ﴿ البديع ﴾ ، وورد كذلك من أسمائه تعالى ﴿ المغيثُ ﴾ ، و﴿ الكفيلُ ﴾ ، و﴿ ذو الطَّوْل ﴾ و ﴿ ذو المعارج ﴾ و ﴿ ذو الفضْلِ ﴾ ، و ﴿ الخلاقُ ﴾ .

قال أبو بكر بنُ العربيُّ في شرح الترمذيِّ حاكيا عن بعضَ أهل العلم : إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعالى ألف اسم . وفي كلام صاحب « القَصد المجرَّد » ما يفيد ذلك ، وأشار الى ذلك الشوكاني في « تحفة الذاكرين » ثم قال : وأنهضُ ما ورد في إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية .

٢ ـ الأحاديث التي وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز .

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى ، ولكن قرائن الحالِ وأصل الوضع يدل على غير ذلك ، فاعلم أن ذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ، ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تَسبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الله هو الدَّهْرُ » رواه مسلم ، وحديث عائشة رضي الله عنها : « دَعُوهُ يَئن فَإِنَّ الأَنينَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى يَرْتَاحُ إِلَيْهِ المريضُ » ، ذكره الجلالُ السيوطيُّ في الجامع الصغير عن الرافعي وحسّنه ، وليس هو من رواية مسلم ، ولا من حديث أبي هريرة كما يخطىء بعض الناس ، ومنه ما ورد في إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى في بعض الآثار .

فكل هذه لا يُراد منها ظواهرُها وحقيقةُ الإطلاق ، بل المقصودُ في الأول مثلا : فإن

الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن يُنسب إلى الدهر شيء ولا أن يُسبَّ ويُذم[1] ؛ وفي الثاني : فإن الأنين أثر قهر الله تعالى يرتاح إليه المريض ، وهكذا في المعاني التي تدل عليها قرائن الأحوال .

٣ ـ التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرعُ ، بقصد اتخاذه اسما له تعالى وإن كان يُشعر بالكمال . فلا يصح أن نقولَ : مهندسُ الكون الأعظم ، ولا أن نقولَ مثلا : المديرُ العام لشؤون الخلقِ ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إن جاءت في عرضِ الكلام لبيانِ تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدولُ عن ذلك تأدباً مع الحق تبارك وتعالى .

٤ ـ العلمية والوصفية في هذه الاسماء

وهذه الأسماء المتقدمةُ منها علَمٌ واحد وضع للذاتِ القُدْسية وهو لفظ الجلالة : الله ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات ، ولهذا صح أن تكون أخبارا للفظ الجلالة . وهل هو مشتَقٌّ أو غير مشتق ؟ مسألةٌ خلافيةٌ ، لا يترتب عليها أمرٌ عمليٌّ ، وحسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربةٌ بالوصْفيَّة ، وفي هذا الكفاية .

٥ ـ خواص اسماء الله الحسنى

يذكر البعضُ أنَّ لكلِّ اسمٍ من أسماء الله تعالى خواصَّ وأسراراً تتعلق به على إفاضةٍ فيها أو إيجازٍ ، وقد يتغالى البعض فيتجاوزُ هذا القدر الى زعمِ أن لكلٍّ اسم خادماً رُوحانياً يخدم من يواظب على الذكر به ، وهكذا ، والذي أعلمهُ في هذا ، وفوقَ كلِّ ذي

---

(١) وقال النووي في شرح مسلم : أي لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها . وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له . بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى .

علم عليمٌ ،أنَّ أسماء الله تعالى ألفاظٌ مشرَّفةٌ لهافضل على سائر الكلام،وفيها بركةٌ وفي ذكرها ثوابٌ عظيمٌ ، وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه ، وصفت روحُه ، ولا سيما إذا كان ذكره بحضورِ قلبٍ وفهمٍ للمعنى . أما ما زاد على ذلك فلم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد نُهينا عن الغلوّ في دين الله تعالى ، والزيادةِ فيه ، وحسبنا الاقتصارُ على ما ورد .

٦ ـ اسم الله الأعظم

ورد ذكر اسمِ اللهِ الأعظمِ في أحاديث كثيرة ، منها :

١ ـ عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال : سمعَ النَّبيُّ ﷺ رجلا يدعو وهو يقولُ : اللَّهُمَّ إني أسألُك بأنّي أشهدُ أنك أنتَ الله لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحدُ الصَّمدُ(١) الذي لم يلدْ ولم يولَدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ . قالَ : فقالَ : « والذي نفسي بيدِه لقد سأل الله باسمِه الأعظمِ(٢) ، الذي إذا دُعيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطى » رواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجَه . وقال المنذريُّ : قال شيخنا أبو الحسن المقْدسي : هو إسنادٌ لا مطعن فيه ، ولا أعلمُ أنه روي في هذا الباب حديثٌ أجودُ إسناداً منه . وقال الحافظُ ابنُ حجر : هذا الحديث أرجحُ ما ورد في هذا الباب من حيث السند .

٢ ـ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : دخلَ النَّبيُّ ﷺ المسجدَ ورجلٌ قد صلى(٣) وهو يدعو ويقول في دعائه : اللَّهُمَّ لا إله إلا اللهُ ، أنتَ المنَّانُ ،بديعَ السَّمواتِ والأرض ، ذا الجلالِ والإكرامِ(٤) . فقال النَّبيُّ ﷺ : « أتدرون بمَ دعا الله ؟ دعا اللهَ

---

(١) ﴿ الصمد ﴾ : أي المقصود في الحوائج . ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ : أي ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلا .

(٢) « ولقد سأل الله باسمه الأعظم » قال الطيبي : فيه دلالة على أن لله تعالى اسماً أعظم إذا دعي به أجاب ، وأن ذلك مذكور ههنا ، وفيه حجة على من قال : كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سواه هو الاسم الأعظم ؛ إذ لا شرف للحروف ، وقد ذكر في أحاديث أخر مثل ذلك وفيها أسماء ليست في هذا بالحديث إلا أن لفظ الله مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم .

(٣) « دخل النبي ﷺ المسجد ورجل قد صلى » قال النووي : قال الخطيب : هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصاري الزرقي .

(٤) ﴿ ذا الجلال والإكرام ﴾ : أي ياذا العظمة والكبرياء وذا الإكرام لأوليائك .

باسمِهِ الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطى » رواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجَه .

٣ ـ عن أسماءَ بنت يزيد رضى الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال : « اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتين الآيتين ﴿ وإلهُكُمْ إلهٌ واحِدٌ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ وفاتحة آل عمران : ﴿ الم . اللهُ لا إلهَ إلاَّ هو الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ رواه أحمد وأبو داودَ والترمذيُّ وابنُ ماجَه ، وقال الترمذيُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤ ـ عن سعدِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : هل أدلكم على اسمِ اللهِ الأعظمِ ، الذي إذا دُعيَ به أجابَ ، وإذا سُئِلَ به أعطَى ؟ الدعوةُ التي دعا بها يونُسُ حيث نادَى في الظلمات الثلاث (١) : ﴿ لاَ إلهَ إلاَّ أنتَ، سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ هل كانتْ ليونُسَ خاصةً أم للمؤمنين عامةً ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : ألاَ تسمعُ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ من الغَمِّ وكذلكَ نُنْجي المؤمنينَ ﴾ رواه الحاكم .

فأنت ترى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعينْ الاسمَ الأعظمَ بالذاتِ ، وأنَّ العلماءَ مختلفون في تعيينه لاختلافِهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض ، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولا . والذي نأخذُه من هذه الأحاديث الشريفة ، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ الملّة ، أنَّ الأسمَ الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعا استجاب الله له ، وقد صرَّحَتْ به الأحاديثُ الشريفةُ في عِدّة مواضع .

وإذا تقرر هذا ، فما يدَّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌّ من الأسرار يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغْلَقات ، ويخرقون به العادات ، ويكونُ لهم به من الخواصِّ ما ليس لغيرهم من الناس ، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن الله ورسوله . وإذا احتجَّ هؤلاء

---

(١) ﴿ في الظلمات الثلاث ﴾ ظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر .

البعض بالآيةِ الكريمة وهي قوله تعالى ﴿ قالَ الّذي عنده علمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبلَ أن يرتَدَّ إليك طرفُـك ﴾ النمل على القول بأن معنى ﴿ عِنْدَه علمٌ من الكتابِ ﴾ أنه اسمُ اللهِ الأعظمُ ، نقول لهم قد صرَّح المفسرون بأن ذلك المدعوَّ به كان : يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، أو : اللهُ لا إلهَ إلاّ هو الحَيُّ القَيُّومُ . وادعى بعضُهـم أنـه سريانـي لفظـه (آهيا شراهيا) ، وهي دعوَى بغير دليلٍ ، فلم يخرج الأمرُ عما ورد في الأحاديثِ الصحيحةِ .

وخلاصةُ البحثِ أن بعضَ الناسِ ولِعوا بالمعمَّياتِ وادعاء الخصوصياتِ ،والزيادةِ في المأثوراتِ ، فقالوا ما لم يرد في كتابٍ ولا سنةٍ ، وقد نُهينا عن ذلك نهياً شديداً ، فلنقف مع المأثور .

صفـات الله تعـالـى

١ ـ صفات الله تبارك وتعالى في نظر العقل

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحِكَم ، وغرائبِ المخلـوق ، ودقيقِ الصنع ، وكبير الإحكام ، مع العظمةِ والاتساعِ ، والتناسقِ والإبداع ، والتجدُّدِ والاختراعِ ؛ ورأيتَ هذه السماءَ الصافيةَ ، بكواكبها وأفلاكها ، وشموسها وأقمارها ومداراتها ، ورأيتَ هذه الأرضَ بنَبَاتها وخيراتِها ، ومعادِنِها وكنوزها وعناصرها وموادِّها ، ورأيتَ عالَم الحيوانِ وما فيه من غريبِ الهداية والإلهام ؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزةٍ كثيرةٍ ، كلٌّ يقومُ بعملِه ، ويؤ دي وظيفتَه ، ورأيتَ عالم البحارِ وما فيه من عجائبَ وغرائب ، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حكم وأسرارٍ ، من كهرباء ، ومغناطيس وأثير وراديوم ، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذواتِ العالَم وأوصافها ، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها ، وكيفَ أنّ كلا منها يتصلُ بالآخر اتصالا محكماً وثيقاً ، بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزءٍ منها يخدم الأجزاءَ الأخرى ، كما يخدم العضوُ في الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاءِ ، لخرجت من كلِّ ذلك ، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهـانٌ ، أو وَحْيٌ أو قرآنٌ ، بهذه العقيدةِ النظريةِ السهلةِ وهي : أن لهذا الكونِ خالقاً صانعاً موجداً ، وأن هذا الصانـعَ لا بد أن يكونَ عظيماً فوق ما يتصـورِ العقـلُ البشريُّ الضـعيفُ من العظمةِ ، وقادراً فوقَ ما يفهم الإنسانُ من معاني القدرةِ ، وحياً بأكملِ معاني الحياةِ ، وأنه مستغنٍ عن كلِّ هذه المخلوقات ؛ لأنه كانَ قبلِ أن تكون ، وعليماً بأوسع حدودِ العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكونِ لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجـودات لأنـه خالقُهـا ، وبعدَها لأنه الذي سيحكم عليها بالعدم . وإجمالا سترى نفسك مملوءاً بالعقيدةِ بأن صانعَ هذا الكون ومدبِّرهُ متصفٌ بكلّ صفاتِ الكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشريُّ الصغيرُ ، ومنزّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ ، وسترى هذه العقيدةَ وحْيَ وجدانِك لوجدانك ، وشعـورَ نفسك لنفسك : ﴿ فِطْرَةَ اللهِ التي فطرَ النّاسَ عليها لا تَبْديل لخلْقِ اللهِ ذلك الدِّينُ القيِّمُ﴾ الروم .

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمة بعضَ غرائبِ الحوادثِ في هذا الكوْن ، وسترى أنها - على قلتها ، بالنسبة لعظمةِ الكونِ وما فيه من دِقّةٍ وإحكامٍ ستكون كافية لأن تشعر في نفسك بما قدّمتُ لك .

الملاحظة الأولى : هذا الهواء الذي نستنشقه مركبٌ من عدةِ عناصرَ ، منها جزءان هامان : جزء صالح لتنفس الإنسان ويُسمّى باصطلاح الكيميائيين الأوكسجين ،وجزء ضار به ويُسمّى الكربون . فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هذا الجزء الضار بالإنسان يتنفسهُ النباتُ وهو نافع له ، ففي الوقت الذي يكون الإنسانُ فيه يستنشقُ الأوكسجين ويطردُ الكربون يكون النباتُ يعملُ عكسَ هذه العملية ، فيستنشقُ الكربون ويطرد الأوكسجين . فانظر الى الرابطة التعاونيَّةِ بين الإنسان والنبات في شيء هو أهم عناصر الحياة عندهما ، وهو التنفس . وقل لي ، بعد ذلك ، هل يفعل هذا في الكون العظيم غيرُ عظيمٍ قادرٍ واسعِ العلمِ ، دقيق الحكمةِ ؟ .

الملاحظة الثانية : أنتَ تأكلُ الطعامَ وهو يتركبُ من عدةِ عناصرَ نباتية أو حيوانية ، يقسمُها العلماءُ إلى مواد زُلاليةٍ ، أو نشَويّةٍ ، أو دُهنيَّة ، مثلاً ، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النّشوية ، ويذيبُ المواد السكريةَ ونحوَها مما يقبلُ الذوبانَ ، والمعدةَ يهضمُ عصيرُها الموادَّ الزُّلاليةَ كاللحمِ وغيرِه ، والصفراء المنفرزةَ من الكبدِ تهضم الدّهنيات ، وتجزئُها إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها ، ثم يأتي البنكرياسُ بعد ذلك فيُفرزُ أربعَ عُصارات تتولى كل واحدة منها تتميم الهضم في عنصُر من العناصر الثلاثة : النشوية أو الزلالية أو الدهنية ، والرابعةُ تحوِّل اللبن إلى جُبن . فتأمَّل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجسم البشريِّ ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التي يتغذى بها الإنسانُ ! .

الملاحظة الثالثة : ترى الزهرةَ في النبات فترى لها أوراقاً جميلةً جذّابةً ملونةً بألوانٍ بهيجة ، فإذا سألت علماءَ النبات عن الحكمة في ذلك ، أجابوك بأن هذا إغواء للنحل وأشباهه من المخلوقات التي تمتص رحيقَ الأزهارِ لتسقط على الزهرة ، حتى إذا وقفت على

عيدانها علقت حبوب اللقاحِ وانتقلتْ من الزهرةِ الذكر إلى الزهرةِ الأنثى فيتم التلقيح.

فانظر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجميلةُ في الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحيوان حتى يستخدم النباتُ الحيوانَ في عملية التلقيح الضروريةِ للإثمار والإنتاج ! .

كل ما في الكون ينبئك بوجودِ حكمةٍ عاليةٍ ، وارادةٍ سامية ، وسيطرةٍ قويةٍ ، ونواميس في غايةِ الدقّةِ والإحكام يسير عليها هذا الوجود . وربُّ هذهِ الحكمةِ ، وصاحبُ هذه العظمةِ ، وواضعُ هذه النواميس هو : الله .

وقد أفاضَ القرآنُ في ذلك ، وفي لفتِ الأنظارِ إلى هذه الحكمِ البارعةِ ، والأسرارِ العاليةِ ، فلا تكاد تخلو سورةٌ من سورةٍ من ذكر آلاء الله ونعمه ، ومظاهر قدرته وحكمتهِ ، وحثّ الناسِ على تجديد النظرِ في ذلك ، ودوامِ التفكر فيه .

قال تعالى : ﴿ ومنْ آياتهِ(١) أنْ خلَقَكُمْ من ترابٍ ، ثمّ إذا أنتمْ بَشرٌ تنتشرونَ . ومنْ آياتهِ ، أنْ خلقَ لكُم منْ أنْفُسكُمْ أزْواجاً لتَسكنُوا إليها وجعلَ بينكُمْ مودّةً ورَحمةً ، إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكّرُونَ . ومنْ آياتهِ ، خلقُ السمواتِ والأرضِ ، واختلافُ ألْسنتكمْ وألوانكُمْ(٢) ؛ إنّ في ذلك لآياتٍ للعالِمينَ(٣) . ومنْ آياتِه منامُكُمْ بالليلِ والنهارِ ، وابتغاؤكم منْ فَضلِهِ(٤) ؛ إنّ في ذلك لآياتٍ لِقومٍ يسمعونَ . ومنْ آياتهِ يُريكُم البَرْقَ خَوْفاً وطمعاً(٥) ، ويُنزّلُ منَ السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الأرضَ بَعدَ موتها ، إنّ في ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يَعقلونَ(٦) ﴾ .

---

(١) ﴿ومن آياته﴾ : أي ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته . ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ : أي تنتشرون في الارض تتصرفون فيما هو قيام معايشكم .

(٢) ﴿ واختلاف السنتكم وألوانكم ﴾ : أي اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما ، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم اولاد رجل واحد وامرأة واحدة .

(٣) ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ بفتح اللام وكسرها : أي ذوي العقول وأولي العلم .

(٤) ﴿ وابتغاؤكم من فضله ﴾ : أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ : أي سماع تدبر واعتبار .

(٥) ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً ﴾ : أي خوفا للمسافر من الصواعق وطمعاً للمقيم في المطر .

(٦) سورة الروم آية ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ اللهُ الذي يُرسلُ الرِّياحَ فتُثيرُ سحاباً[1] نيبسطُه في السَّماءِ كيفَ يشاءُ ، وَيجعلهُ كِسَفاً ، فترى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ، فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وإنْ كانوا منْ قبلِ أنْ يُنَزَّلَ عليهم من قبلِهِ لمُبْلِسِينَ . فانْظر إلى آثار رحمةِ اللهِ كيفَ يُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِها ؛ إنَّ ذلكَ لَمحيي الموتَى ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير[2] ﴾ .

وغيرُ ذلك كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ ، والقَصَصِ ، والأنبياء ، والنملِ ، وقَ ، وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم .

٢ ـ مجمل صفات الله في القرآن :

أشارت آياتُ القرآنِ الكريمِ إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ للهِ تعالى ، والتي يقتضيها كمالُ الألوهيةِ . وإليك بعضَ هذهِ الايات الكريمةِ :

وجود الله تعالى

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ اللهُ الذي رفعَ السمواتِ بغيرِ عمدٍ ترونها ، ثُمَّ استوى على العرشِ ، وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مسمىً ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وهُوَ الذي مَدَّ الأَرْضَ[3] ، وَجعلَ فِيها رواسِيَ ، وأنهاراً ، ومن كُلِّ الثمراتِ جعلَ فيها زَوْجينِ اثنين[4] ، يُغْشي اللَّيْلَ النهارَ ؛ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وفي الأرضِ قِطَعٌ مُتَجاوراتٌ ، وجنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وزَرْعٌ وَنَخيلٌ صِنْوانٌ

---

(١) ﴿ فتثير سحابا ﴾ : اي تزعجه ﴿ ويجعله كسفا ﴾ : اي قطعا متفرقا ﴿ فترى الودق ﴾ : اي المطر . ﴿ يخرج من خلاله ﴾ : اي من وسطه . ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾ : اي يفرحون بنزول المطر عليهم . ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ : أي ليائسين من نزوله .

(٢) سورة الروم آية ٥٠

(٣) ﴿وهو الذي مد الارض﴾ : أي بسطها طولاً وعرضاً . ﴿وجعل فيها رواسي﴾ : أي جبالاً ثوابت .

(٤) ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ : أي من كل نوع ﴿يغشي الليل النهار﴾ : أي يغطي الليل بظلمته النهار .

وغيرُ صِنْوَانٍ[1] يُسْقَى بماءٍ واحِدٍ ، ونُفَضِّـلُ بعضهـا على بعضٍ في الأُكُلِ[2] إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلونَ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وهُوَ الذي أنْشَأَلَكم السمعَ والأبصارَ والأفئدَةَ قليلاً ما تشكرون ، وهو الذي ذرأكُم[3] في الأرضِ وإليهِ تُحْشَرونَ ، وهـو الـذي يُحْيي ويميتُ ، ولهُ اختلافُ الليلِ والنَّهارِ أفلا تَعقِلونَ[4] ﴾ .

فكلُّ هذهْ الآياتِ تنبِئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى ، وتستدل عليه بما ترى من تصرُّفاتِهِ في شؤون هذا الكونِ العجيب .

قدم الله تعالى وبقاؤه

٢ ، ٣ ـ قال الله تعالى : ﴿ هو الأوّل والآخِرُ[5] ، والظاهِرُ والباطِنُ ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تَدْعُ مع اللهِ إلهاً آخرَ ، لا إله إلاّ هو ، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وجهَهُ ، له الحكم وإليهِ تُرْجعونَ[6] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كلُّ مَنْ عليها فانٍ ، ويبقَى وجْهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرام[7]﴾

وفي هذه الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ إلى صِفتَي القِدَم ، والبقاءِ لله تبارك وتعالى .

٤ ـ قال الله تعالى : ﴿ قل هو اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ[8] لم يَلد ولم يُولدْ ، ولم يكن

---

(١) ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ : جمع صنو وهو : النخلة. والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رؤ وس فتصير نخلاً .

(٢) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ . الأكل : الثمر ، يعني الحلو والحامض ، وهو من دلائل قدرة الله تعالى . سورة الرعد آية ٤

(٣) ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ : أي خلقكم . ﴿واليه تحشرون﴾ : أي تجمعون يوم القيامة للجزاء .

(٤) سورة المؤمنون آية ٨٠

(٥) ﴿هو الاول﴾ : أي قبل كل شيء بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس . سورة الحديد آية ٣

(٦) سورة القصص آية ٨٨

(٧) سورة الرحمن آية ٢٧

(٨) ﴿الله الصمد﴾ : أي المقصود في الحوائج على الدوام .

له كُفُواً أحدٌ[١]﴾ . وقال تعالى : ﴿ فاطِرُ السمواتِ والأرضِ[٢] جعلَ لكم من أنفُسِكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ، يذرَؤكم فيه ، ليس كمِثْلِه شيءٌ ، وهو السميع البصيرُ[٣]﴾ .

وفي ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادِث من خلقِه ، وتنزُّهِه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

قيام الله تعالى بنفسه

٥ ـ قال الله تعالى : ﴿ يأيها الناسُ أنتم الفقراءَ إلى اللهِ ، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ[٤]﴾ . وقال تعالى : ﴿ ما أشْهَدْتُهم خلْقَ السمواتِ والأرضِ ، ولا خلْقَ أنفُسهم[٥] ، وما كنتُ متَّخذَ المضِلِّينَ عَضُداً[٥]﴾

وفي ذلك إشارة إلى قيامِه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقِه مع حاجتهم إليه .

وحدانية الله تعالى

٦ ـ قال الله تعالى : ﴿ وقال اللهُ : لا تتَّخِذُوا إلهينِ اثنينِ إنما هو إلهٌ واحدٌ ، فإيّايَ فارْهَبونِ[٧] . وله ما في السمواتِ والأرضِ ، وله الدِّينُ واصِباً[٨] ، أفغَيرَ اللهِ تَتقون . وما بكُمْ من نِعمةٍ فمن اللهِ ، ثم إذا مسَّكم الضرُّ فإليه تجأرون[٩]﴾وقال تعالى :﴿ لقد كفَر

---

(١) ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ : أي ولم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . سورة الإخلاص .

(٢) ﴿فاطر السموات والارض﴾ . أي خالقتها على غير مثال سبق . ﴿جعل لكم من انفسكم أزواجاً﴾ : أي حيث خلق حواء من ضلع آدم . ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ : أي ذكوراً وإناثاً .

(٣) سورة الشورى آية ١١

(٤) سورة فاطر آية ١٥

(٥) ﴿ولا خلق انفسهم﴾ أي لم اشهد بعضهم خلق بعض . ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ : أي اعواناً في الخلق .

(٦) سورة الكهف آية ٥١

(٧) ﴿فإياي فارهبون﴾ : أي سافون دون غيري .

(٨) ﴿وله الدين واصباً﴾ : أي دائماً .

(٩) ﴿فإليه تجأرون﴾ : أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره . سورة النحل آية ٥٣

الذين قالوا : إنَّ اللهَ ثالِثُ ثلاثةٍ ، وما مِنْ إله إلاّ إلهٌ واحِدٌ ، وإن لم يَنْتَهُوا عما يقولونَ ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ . أفلا يتوبونَ إلى اللهِ ويستغفرونَه ؟ ! واللهُ غفورٌ رحيمٌ(١) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أمِ اتَّخَذُوا آلهةً من الأرضِ هُمْ يُنشِرونَ(٢) . لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ، فسبحانَ اللّهِ ربِّ العرشِ عما يصفونَ . لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ . أم اتخذوا من دونِه آلهةً ؟ ! قل : هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرُ مَن مَعي(٣) وذِكرُ مَنْ قَبْلي ، بل أكثرُهم لا يعلمونَ الحقَّ فهم مُعْرِضونَ . وما أرْسلنا من قبلِك من رسولٍ إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلا أنا فاعبدُونِ(٤) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل : لمنْ الأرضُ ومَن فيها إن كنتم تعلمونَ ؟ سيقولون : للهِ ، قل أفلا تَذكَّرون ؟ ! قل : مَن ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيمِ ؟ ! سيقولونَ : للهِ . قل : أفلا تتقونَ ؟ ! قل : مَنْ بيده ملكوتُ كلِّ شيء(٥) وَهو يجير ولا يجارُ عليه إن كنتم تعلمونَ ؟ ! سيقولون : للهِ . قل : فأنَّى تُسْحَرونَ(٦) ؟ ! بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبونَ . ما اتخذ اللهُ مِن ولَدٍ وما كان معه من إلهٍ ، إذاً لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ(٧) ولعلا بعضُهم على بعضٍ ، سبحان اللهِ عما يَصِفونَ . عالِمُ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عما يُشركونَ(٨) ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل : الحمدُ للهِ ، وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى ، آلله خيرٌ أمَّا يُشركونَ . أمَّنْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ، وأنزلَ لكم مِن السماءِ ماء فأنبتنا به حدائقَ ذاتَ بهجةٍ(٩) ما كان لكم

---

(١) سورة المائدة آية ٧٤

(٢) ﴿هم ينشرون﴾ : أي يحيون الموتى ، ولا يكون إلها إلا من يحيي الموتى .

(٣) ﴿هذا ذكر من معي﴾ : أي أمتي ، وهو القرآن . ﴿وذكر من قبلي﴾ من الأمم ، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى ، ليس في واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا ، تعالى الله عن ذلك .

(٤) سورة الأنبياء آية ٢٥

(٥) ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ : أي ملك كل شيء والتاء للمبالغة . ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ اي يحمي ولا يحمى عليه .

(٦) ﴿فأنى تسحرون﴾ : اي تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده : أي كيف يخيل لكم أنه باطل .

(٧) ﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق﴾ : أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا .

(٨) سورة المؤمنون آية ٩٢

(٩) ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ جمع حديقة وهي البستان الذي عليه حائط . والبهجة : الحسن والجمال .

أن تُنبتوا شجرها ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! بل هم قوم يَعْدِلونَ . أمَّن جعلَ الأرضَ قَراراً[1] ، وجعلَ خِلالَها أنهاراً ، وجعلَ لها رَواسي ، وجعلَ بين البحرينِ حاجزاً ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! بل أكثرُهم لا يعلمونَ . أمَّن يُجيبُ المضْطَرَّ إذا دَعاهُ[2] ، ويكشِفُ السوءَ ، ويجعلُكم خُلفَاءَ الارضِ[3] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! قليلا ما تَذكَّرونَ . أمَّن يهديكم في ظلماتِ البرِ والبحرِ[4] ، ومَن يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشراً بين يَدَيْ رحمتِه[5] ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! تعالى اللهُ عما يشركونَ . أمَّنْ يبدأ الخلقَ ثم يعيدُه ، ومَن يرزقُكم مِن السماء والأرضِ ، أإلهٌ مع اللهِ ؟ ! قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[5] ﴾ .

إلى غير ذلك من الآياتِ ، التي تثبتُ أنه تعالى واحدٌ في ذاتِه ، واحدٌ في صفاتِه ، واحدٌ في أفعالِه وتصرفاتِه ، لا رب غيرهُ ، ولا إله سواه .

قدرة الله تعالى

٧ ـ قال الله تعالى : ﴿ يأيها الناسُ إن كنتُم في ريبٍ من البَعْثِ فإنّا خلقناكُم من ترابٍ ثم من نُطْفَةٍ (٦) ثم من عَلَقَةٍ ثمَّ من مُضْغَةٍ مُخلَّقةٍ وغيرِ مُخلَّقةٍ ، لنُبيِّنَ لكم ، ونُقِرُّ في الأرحامِ ما نشاء إلى أجلٍ مُسَمًّى ، ثم نُخرجُكم طِفْلاً ، ثم لتبلغوا أشُدَّكم ، ومنكم من

---

(١) ﴿أمَّن جعل الأرض قراراً﴾ : أي لا تميد بأهلها . ﴿وجعل لها رواسي﴾ : أي جبالا اثبت بها الأرض . ﴿وجعل بين البحرين حاجزاً﴾ : أي بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر .

(٢) ﴿أمن يجيب المضطر﴾ : أي المكروب الذي مسه الضر . ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ : أي سكانها يهلك قوما وينشيء آخرين .

(٣) ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ : أي يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهاراً .

(٤) ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ : أي أمام المطر .

(٥) سورة النمل آية ٦٤

(٦) ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾ : أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من منيّ ﴿ثم من علقة﴾ أي دم جامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ : أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق . ﴿ثم لتبلغوا اشدكم﴾ : أي نعمركم لتبلغوا اشدكم ، اي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة . ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ : أي اخسه من الهرم والخرف . ﴿وترى الارض هامدة﴾ : أي يابسة لاتنبت شيئا . ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ : أي تحركت وارتفعت وزادت . ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ : أي من كل صنف حسن .

يُتَوفى ، ومنكم مَنْ يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكيلا يعلَم من بعدِ علمٍ شيْئاً ، وترى الأرضَ هامدة فإذا أنزلْنا عليها الماءَ اهتَزَّت ورَبَتْ وأنبتَتْ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ ، ذلك بأنَّ الله هو الحقُّ ، وأنّه يحيي الموتَى ، وأنّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ الله يبعثُ من في القُبورِ[1]﴾ . وقال تعالى : ﴿ما أشهدتُهم خَلْقَ السمواتِ والأرضِ ولا خَلْقَ أنفسِهم ، وما كنتُ متَّخِذَ المضلِّين عَضُداً[2]﴾ . وقال تعالى : ﴿ولقد خلقنا السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيامٍ ، وما مَسَّنا من لُغُوبٍ[3]﴾ . وقال تعالى : ﴿وهو الذي مَرَجَ البحرَيْنِ[4] هذا عذبٌ فُراتٌ . وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ، وجعلَ بيْنَهما بَرْزَخاً وحِجْراً محَجوراً . وهو الذي خَلَقَ من الماءِ بشراً فجعله نَسَباً وصهْراً وكانَ ربُّك قديراً[5]﴾ . وقال تعالى : ﴿ألم ترَ أنّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً[6] ثم يؤلِّف بينه ، ثم يجعلُه رُكاماً فترى الوَدْقَ يخَرجُ مِن خِلالِهِ ، ويُنَزِّلُ مِن السَّماءِ من جِبالٍ فِيها من بَرَدٍ فَيصيبُ به مَنْ يَشاء ويَصرفه عَن مَنْ يَشاءُ يكادُ سَنابَرْقه[7] يَذْهَبُ بالأَبْصارِ ، يقلِّبُ اللهُ الليل والنهار ، إنّ في ذلك لَعبرةً لأولي الأبصارِ . واللهُ خلَق كلَّ دابَّةٍ من ماء فمنهم مَن يمشي على بطنِهِ ، ومنهُم منْ يمشي على رجلَين ، ومنهم منْ يمشي على أربعٍ ، يخلقُ اللهُ ما يشاء ، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَدير[8]﴾ .

إلى غير ذلك من الآياتِ الدالةِ على عظيمِ قدرتِه تبارك وتعالى وباهرِ عظمتِه .

---

(١) سورة الحج آية ٧

(٢) سورة الكهف آية ٥١

(٣) ﴿وما مسنا من لغوب﴾ : أي تعب. سورة ق آية ٣٨

(٤) ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ : أي أرسلهما متجاورين . ﴿هذا عذب فرات﴾ : أي حلو شديد العذوبة . ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة . ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ : أي حاجز ألا يختلط أحدهما بالآخر . ﴿وحجراً محجوراً﴾ : اي سترا مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر . ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ : أي خلق من النطفة إنساناً ، قال القرطبي : وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في إيجادهم بعد العدم ، والتنبيه على العبرة في ذلك .

(٥) سورة الفرقان آية ٥٤

(٦) ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً﴾ : أي يسوقه . ﴿ثم يؤلف بينه﴾ : أي يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف . ﴿ثم يجعله ركاما﴾ : أي مجتمعا يركب بعضه بعضا . ﴿فترى الودق﴾ : أي المطر .

(٧) ﴿يكاد سنا برقه﴾ : أي لمعان برقه ﴿يذهب بالابصار﴾ الناظرة إليه : أي يخطفها ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة﴾ : أي دلالة ﴿لأولى الابصار﴾ : أي لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى .

(٨) سورة النور آية ٥٤

٨ ـ قال الله تعالى : ﴿ إنما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكُونُ[١] ﴾. وقال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أنْ نُهْلِكَ قريةً أمَرْنا مُتْرَفيها[٢] فَفَسَقوا فيها فحقَّ عليها القولُ فَدَمَّرْناها تدميرا[٣] ﴾ . وقال تعالى حكاية عن الخَضر في قصَّتِهِ مع موسَى عليهما السلام : ﴿ فأرَادَ رَبُّكَ أن يبلُغاَ أشُدَّهُما[٤] ويستخْرجَا كَنْزَهُما رحمةً من ربِّكَ ، وما فعلْتُهُ عن أمري ،ذلكَ تأويلُ مَا لم تَسْطعْ عليهِ صبراً[٥] . وقال تعالى : ﴿ يريدُ اللهُ لِيُبيِّنَ لكم[٦] ويَهْديكُمْ سُنَنَ الَّذينَ مِنْ قبلكم ، ويتوبَ عليكم ، واللهَ عليمٌ حكيمٌ . واللهُ يريدُ أن يتوبَ عليكم ويريدُ الذينَ يتَّبعون الشهواتِ أنْ تميلوا ميلاً عظيما . يريدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عنكم وَخُلِقَ الإِنسانُ ضعيفاً ﴾[٧] .

إلى غير ذلك من الآياتِ الكريمةِ التي تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ . ﴿ وَمَا تشاءونَ إلاَّ أنْ يشاءَ اللهُ[٨] ﴾ .

علم الله تعالى

٩ ـ قال الله تعالى : ﴿ الحمدُ للهِ الذي لهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ ولهُ الحمدُ في الآخِرةِ وهُوَ الحكيمُ الخبيرُ ﴾ .

يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ[٩] وما يخرجُ منها ، وما ينزلُ مِنَ السماء وما يعرُجُ فيها ،

(١) سورة يس آية ٨٢

(٢) ﴿امرنا مترفها﴾ : أي منعميها بمعنى رؤسائها ، أي امرناهم بالطاعة على لسان رسلنا . ﴿فحق عليها القول﴾ : أي بالعذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ : أي أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها .

(٣) سورة الإسراء آية ١٦

(٤) ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ : أي إيناس رشدهما . ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ : أي تطق صبراً عليه .

(٥) سورة الكهف آية ٨٢

(٦) ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ : أي شرائع دينكم ومصالح أمركم . ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ : أي طرائق الذين من قبلكم من الانبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم .

(٧) سورة النساء آية ٢٦

(٨) سورة الدهر آية ٢٠

(٩) ﴿يعلم ما يلج في الارض﴾ : أي يدخل فيها من ماء وغيره. ﴿وما يخرج منها﴾ أي من نبات وغيره ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزق وغيره . ﴿وما يعرج فيها﴾ : أي يصعدفيها من الملائكة وأعمال العباد .

وهو الرحيمُ الغفورُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ يعلمُ ما في السموات والأرض ويعلمُ ما تُسرُّونَ وما تُعْلِنُونَ واللهُ عليمٌ بذاتِ الصدور ﴾[2] . وقال تعالى حكاية عن لُقْمانَ في وصيَّته لابنه : ﴿ يا بُنَيَّ إنها إنْ تكُ مِثْقالَ حبَّةٍ من خرْدل فتكنْ في صخرةٍ أوْ في السمواتِ أو في الأرض يأْتِ بها اللهُ ، إنَّ اللهَ لطيفٌ خبير[3] ﴾ . وقال تعالى في حكاية ما وقع بين شُعَيْبٍ وقومِهِ : ﴿ قال الملأُ الذين استكبَروا من قومِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والذين آمنوا معكَ من قريتنا أو لَتَعودُنَّ في مِلَّتِنا . قال أَوَلَوْ كُنَّا كارهينَ ! قد افْتَرَيْنا على اللهِ كذباً إن عُدنا في مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نجَّانا اللهُ منها ، وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها إلا أن يشاء اللهُ ربُّنا ، وَسِعَ رَبُّنا كلَّ شيء عِلما ، عَلَى اللهِ توكلنا ربنا افتح بيننا وبينَ قومنا بالحقِّ[4] وأنْتَ خيرُ الفاتحين ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يعلمُ ما في السمواتِ ، وما في الأرض ما يكونُ من نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم[5] ، ولا خمسةٍ إلا هوَ سادسُهم ، ولا أدْنَى من ذلك ولا أكثرَ إلا هوَ معهم إينما كانوا ، ثم يُنَبِّئُهم بما عملوا يومَ القيامةِ ؛ إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليم[6] ﴾ . وقال تعالى ﴿ وما تكونُ في شأْنٍ وما تَتْلو منهُ مِنْ قرآنٍ ، ولا تعملونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كنَّا عليكم شُهوداً[7] إذْ تُفيضُونَ فيه وما يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِنْ مثقالِ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغرَ من ذَلك ولاَ أكبرَ إلاّ في كتابٍ مُبين[8] ﴾ .

إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الكثيرةِ الدالةِ علَى سَعَةِ علْمِهِ تبارك وتعالى ، وإحاطَتِهِ بكل شيء ، قلَّ أو كثر ، دقَّ أو عظُم .

---

(١) سورة سبأ آية ٢

(٢) ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ : أي بما فيها من الاسرار والمعتقدات . سورة التغابن آية ٤

(٣) سورة لقمان آية ١٦

(٤) ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ : أي احكم . سورة الاعراف آية ٨٨

(٥) ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ : أي بعلمه .

(٦) سورة المجادلة آية ٧

(٧) ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ : أي نعلمه . ﴿إذ تفيضون فيه﴾ : أي تأخذون فيه . ﴿وما يعزب عن ربك﴾ : أي يغيب

(٨) سورة يونس آية ٦١

حياة الله تعالى

١٠ ـ قال الله تعالى . ﴿اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ[١] لاَ تَأْخُذهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ ، لَهُ مَا في السَّمٰوَاتِ وَمَا في الأرْضِ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿إلم . اللهُ لا إلٰهَ إلاّ هُوَ الحيُّ القيُّومُ ، نَزَّلَ عليكَ الكتابَ[٣] بالحقِّ مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يديهِ وأنزلَ التَّوْراةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً للناسِ ، وأنزلَ الفُرْقان﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿اللهُ الذي جعلَ لكمُ الأرضَ قراراً ، والسماءَ بِنَاءً ، وصَوَّركم فأحْسَنَ صُوَرَكم ، ورَزَقَكُمْ مِنَ الطيِّباتِ ، ذٰلِكم اللهُ رَبُّكُمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ . هُوَ الحيُّ لاَ إلٰهَ إلاَّ هُوَ ، فادْعُوهُ مُخْلِصِين لهُ الدِّينَ ، الحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالمين﴾[٥] .

إلى غيرِ ذلك من آياتٍ كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى مُتَّصِفٌ بالحياةِ الكاملة التي ليس ثَمَّ أكمل منها .

سمع الله تعالى وبصره

١١ ـ قال الله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتي تُجَادِلُكَ[٦] في زوجِها ، وتشتكي إلى اللهِ ، واللهُ يَسْمَعُ تحاوُركما ؛ إنَّ اللهَ سميعٌ بصير﴾ . وقال تعالى : ﴿أرَأيْتَ الذي يَنْهي عَبْداً إذا صلَّى . أرَأيْتَ إنْ كانَ عَلَى الْهُدَى أو أمَرَ بالتَّقْوَى . أرأيْتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ألَمْ يَعْلَمْ بِأنَّ اللهَ يَرَى[٧]﴾ . وقال تعالى لموسى وهٰرون حين أرسلهما إلى فرعون : ﴿إذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى . فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَى . قالا : رَبَّنَا إنَّنا نَخَافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا[٨] أو أنْ يَطْغَى . قال : لا تَخَافَا إنَّني مَعَكُمَا أسْمَعُ وَأرَى﴾ وقال

---

(١) ﴿القيوم﴾ : أي القائم بتدبير خلقه . ﴿لا تأخذه سنة﴾ السنة بكسر السين : النعاس .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) ﴿نزل عليك الكتاب﴾ : أي القرآن ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ : أي لما قبله من الكتب المنزلة . ﴿وانزل الفرقان﴾ : أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل .

(٤) سورة آل عمران آية ٤

(٥) سورة غافر آية ٦٥

(٦) ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾ : أي تراجعك ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ : أي تراجعكما . سورة المجادلة آية ١

(٧) سورة العلق آية ١٤

(٨) ﴿قالا : ربنا إننا نخاف ان يفرط علينا﴾ : أي يعجل بالعقوبة . ﴿أو أن يطغى﴾ علينا : أي يتكبر . سورة طه آية ٤٦ .

تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ (١) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، واللهُ يَقْضِي بالحقِّ والذينَ يَدْعونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَقْضُونَ بشَيْءٍ ، إنَّ اللهَ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ (٢)﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر .

كلام الله تـعالى

١٢ ـ قال الله تعالى : ﴿وكلَّمَ اللهُ موسى تكليماً (٣)﴾ وقال تعالى : ﴿أفَتَطْمَعُونَ أنْ يُؤْمِنُوا لكم وقد كان فَريقٌ منهم يَسْمَعُونَ كلام (٤) اللهِ ثم يُحَرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمونَ(٥)﴾ . إلى غير ذلك من الآيات التي تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بصفـة الكلام .

صفات الله لا تتناهى

وصفاتُ اللهِ تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرةٌ ، وكمالاتُه تبـارك وتعالـى لا تتناهَى ، ولا تدرِكُ كُنْهَهَا عقولُ البشر ، سبحانَه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثْنَى على نفسِه .

بين صفات الله وصفات الخلق

والذي يجب أن يتفطَّنَ له المؤمنُ أن المعنى الذي يُقْصَدُ باللفظِ في صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافاً كلياً عن المعنى الذي يقصد بهذا اللفظ عينه في صفاتِ المخلوقين . فأنتَ تقولُ : الله عالم والعلم صفة للهِ تعالى ، وتقولُ : فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس ، فهل ما يقصدُ بلفظة العلمِ في التركيبين واحد ؟ حاشا أن يكون كذلك ؛ وإنما علِم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهَى كمالُه ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئاً إلى جانبه .

---

(١) ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ : أي بمسارقتها النظر إلى محرم . ﴿وما تخفي الصدور﴾ : أي القلوب .

(٢) سورة غافر آية ٢٠ .

(٣) سورة النساء ١٦٤

(٤) ﴿يسمعون كلام الله﴾ : أي التوراة . ﴿ثم يحرفونه﴾ : أي يغيرونه . ﴿من بعد ما عقلوه﴾ : أي فهموه .

(٥) سورة البقرة آية ٧٥

وكذلك الحياة ، وكذلك السمع ، وكذلك البصر ، وكذلك الكلام ، وكذلك القدرة والإرادة . فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظِ فيها تختلفُ عن مدلولاتها في حق الخلقِ من حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافاً كليًّاً ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحداً من خلقِه . فتفطّن لهذا المعنى فإنه دقيق . ولستَ مطالباً بمعرفةِ كُنْهها ، وإنما حسبُك أن تعلم آثارَها في الكون ولوازمَها في حقِّك . واللهَ نسألُ العصمةَ من الزللِ وحسنَ التوفيقِ .

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى

يعمد علماء العقائِد إلى إثباتِ صفاتِ الله تبارك وتعالى بأدلةٍ عقليةٍ ، وأقيسةٍ منطقيةٍ ؛ ونحن نقولُ : إن ذلك حسنٌ ؛ لأن العقلَ أساسُ المعرفةِ ، ومناطُ التكليفِ ، وحتى لا يكونَ في نفسِ أحدٍ أثرٌ من آثارِ الشُّبُهاتِ والاباطيلِ ؛ ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك ، ووجودُ الخالقِ تبارك وتعالى وإثباتُ صفاتِ الكمالِ المطلقِ له صار في حكم البدهيات التي لا يُحْتَاجُ في إثباتِها إلى دليلٍ أو برهانٍ ، ولا يطالِب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضِ القلبِ لا يجْديه دليلٌ ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ ؛ ومع هذا فتتميماً للفائدةِ نذكر بعضَ الأدلةِ العقليةِ الإجماليةِ والتفصيليةِ ، فنقولُ :

الدليل الأول : هذا الوجودُ الذي يدل بعظمتِه وإحكامِه على وجودِ خالقِه وعظمتِه وكمالِه .

الدليل الثاني : أن فاقدَ الشيء لا يعطيه ، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفاً بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات في مخلوقاتِه .

الدليل الثالث : وهو خاصٌّ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد : إن التعدُّد مدعاةُ الفسادِ والخلافِ والعلوِّ ولا سيما وشأنُ الألوهيةِ الكبرياءُ والعظمةُ ؛ وأيضاً فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرفِ تعطلتْ صفاتُ الآخرين ، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم ، وتعطيلُ صفات الألوهيَّة يتنافىَ مع جلالِها وعظمتِها ، فلا بد أن يكون الإِله واحداً لا ربَّ غيره .

هذه نماذجُ من الأدلة المنطقيَّة على وجودِ الخالقِ ، وإثباتِ صفاتِه . ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولاتِ . على أن الأمرَ مركوزٌ في فِطَرِ النفوسِ الصافيَة ، مستقِرٌّ في أعماقِ القلوبِ السليمةِ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ .

وردَ في حديثٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهﷺ : « لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذا : خلقَ اللهُ الخلْقَ فمَن خلقَ اللهَ ؟ فَمَن وجدَ مِن ذلك شيئاً فلْيَقل : آمنتُ باللهِ [1] » رواهُ مسلمٌ .

وهذا السؤالُ وإن كان خطأ من أساسِه ؛ لأننا أُمرنا ألاّ نبحثَ في ذاتِ الله تبارك وتعالى ؛ لأن عقولَنا القاصرةَ التي تعجز عن إدراك حقيقةِ نفسِها تعجزُ من باب الأولى ، عن إدراكِ حقيقةِ ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى ، إلا أنه يختلج في نفوسِ بعضِ الناس ، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم ، إن شاء اللهُ تعالى ، فنقول :

إذا وضعتَ كتاباً على مكتبِك ثم خرجتَ من الحجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذي تركتَه على المكتبِ موضوعاً في الدرج ، فإنك تعتقدُ تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه في الدرج ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه . احفظ هذه النقطة وانتقل معي إلى نقطةٍ أخرى : لو كان معك في حجرةِمكتبِك شخص جالسٌ على الكرسيِّ ثم خرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالساً على البِساطِمثلا فإنك لا تسألُ عن سببِ انتقالهِ ، ولا تعتقدُ أن أحداً نقله من موضعِه ؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذا الشخصِ أنه ينتقلُ بنفسِه ولا يحتاج إلى من ينقله . احفظ هذه النقطة الثانية ثم اسمع ما أقولُ لك : لما كانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحن نعلم من طبائِعها وصفاتِها أنها لا توجدُ بذاتِها بل لا بد لها من موجِدٍ ؛ عرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى ؛ ولما كان كمالُ الألوهيّة يقتضي عدم احتياج الإله إلى غيرِه ، بل إن من صفاتِه قيامَه بنفسِه ، عرفنا أن اللهَ تبارك وتعالى موجود بذاتِه وغيرُ محتاجٍ إلى من يوجِدُه . وإذا وضعتَ النقطتين السابقتين إلى جانبِ هذا الكلام ، اتّضح لك هذا المقام ، والعقلُ البشريُّ أقصرُ من أن يتورّطَ في أكثرَ من ذلك . واللهَ نسألُ العِصْمةَ من الزللِ ؛ إنه رؤوف رحيم .

---

(١) قال الإمام المازري : ظاهر الحديث انهﷺ امرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها . قال : والذي يقال في هذا المعنى ان الخواطر على قسمين ، فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها يتطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمراً طارئاً وبغير أصل دفع بغير نظر في دليل ، إذلا أصل له ينظر فيه . وأما الخواطر المستقرة التي اجتلبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها ، والله أعلم .

وإليك أقوالَ علماء الأوربيين في إثباتِ وجود اللهِ تعالى والإقرار بكمالِ صفاتِه ، واللهُ وليُّ توفيقِنا وتوفيقك :

كلام العلماء الطبيعيين في إثبات وجود الله وصفاته

قدمنا لك أن هذه العقيدة فطرية في النفوس السليمة ، مستقرة في الأذهان الصافية ، تكاد تكون من بدهيّاتِ المعلومات، تؤيدها نتائجُ العقولِ جيلا بعد جيلٍ ، ولذلك اعتقدها علماءُ الكونِ من الأوربيينَ وغيرِهم وإن لم يتلقوها عن دينٍ من الأديانِ ؛ وسننقلُ لك بعضَ شهاداتِهم ، لا تأييداً للعقيدةِ ، ولكن إثباتاً لاستقرارِها في النفوسِ ، وقطعاً لألسنةِ الذينَ يريدونَ أن يتحلّلوا من رباطِ العقائِد ، ويخادعوا ضمائرَهم وأرواحَهم بالباطلِ .

١ ـ قال ديكارت العالِم الفرنسي :

« إني مع شعوري بنقص ذاتيّ أحسُّ في الوقت نفسه بوجوبِ وجودِ ذاتٍ كاملةٍ ، وأراني مضطراً للاعتقادِ بأن هذا الشعورَ قد غرسته في ذاتي تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ ، وهي : اللهُ » .

فهو يثبتُ في كلامِه هذا ضعفَ نفسِه ونقصَها ، ووجودَ اللهِ وكمالَه ، ويعترفُ بأن شعورَه وإحساسَه هبةٌ من اللهِ له وفِطْرةٌ فيه ﴿فِطْرةَ اللهِ التي فطَر الناسَ عليها [1]﴾ .

٢ ـ وقال إسحاق نيوتن العالِم الإنجليزيُّ الشهير ، ومكتشفُ قانونِ الجاذبيةِ :

« لا تشكوا في الخالِق فإنه مما لا يعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هي قائدةَ هذا الوجودِ » .

٣ ـ وقال هرشل الفلكيّ الإنكليزيّ :

« كلما اتسع نطاقُ العِلم ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزليّ لا حدَّ لقدرتِه ولا نهاية ؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ ، والفلكيونَ ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه » .

٤ ـ وقال لينيه ،كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسي في كتابِه المسمّى « اللهُ في الطبيعة » :

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

« إن اللهَ الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقْتَدِرَ على كل شيءٍ ، قد تجلّىٰ لي ببدائعِ صُنْعِهِ حتى صرتُ مندهشاً مبهوتاً ؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حِكمةٍ وأيُّ إبداعٍ أبدعَه في مصنوعاتِه ! سواءً في أصغرِ الأشياء أو أكبَرِها ! إن المنافعَ التي نستمدُّها من هذهِ الكائناتِ تشهدُ بعظمةِ رحمةِ اللهِ الذي سَخَّرَها لنا ، كما أن كمالَها وتناسُقَها يُنبيءُ بواسعِ حِكمتِه ، وكذلك حفظُها عن التلاشي وتجدُّدُها يقرُّ بجلاله وعظمتِه » .

٥ ـ ويقول « هربرت سبنسر الإنجليزيُّ » في هذا المعنى في رسالته في التربية :

« العِلمُ يناقضُ الخُرافاتِ ، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ . يوجدُ في شيء كثيرٍ من العِلم الطبيعيِّ الشائع روحُ الزندقةِ ، ولكنِ العلمَ الصحيحَ الذي تجاوز المعلوماتِ السطحيةَ ، ورسبَ في أعماقِ الحقائقِ ، براءٌ من هذه الروح . العلمُ الطبيعيُّ لا ينافي الدينَ ، والتوجُّهُ للعِلم الطبيعيِّ عبادةٌ صامِتَةٌ واعترافٌ صامِتٌ بنفاسةِ الأشياء التي تعايَن وتُدرسُ ، ثم بقدرةِ خالِقِها ، فليس ذلك التوجهُ تسبيحاً شفهيّاً ، بل هو تسبيحٌ عمليٌّ ، وليس باحترامٍ مُدَّعىً ، إنما هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقتِ والتفكيرِ والعمل . وهذا العلم لا يسلك طريقَ الاستبداد في تفهيمِ الإنسانِ استحالةَ إدراكِ السببِ الأوَّلِ وهو « اللهُ » ، ولكنهُ ينهجُ بنا النَّهْجَ الأوضَحَ في تفهيمنا الاستحالةَ ، بإبلاغِنا جميعَ أنحاء الحدودِ التي لا يستطاعُ اجتيازُها ، ثم يقف بنا ، في رفقٍ وهوادةٍ ، عند هذه النهايةِ ؛ وهو بعد ذلك يُرينا بكيفيةٍ لا تعادلُ صِغَرَ العقلِ الإنسانيِّ إزاء ذلك الذي يفوتُ العقلَ . . . » ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال : « إنَّ العالِمَ الذي يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين والإيدروجين بنسبةٍ خاصةٍ ، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخرَ غيرَ الماء ، يعتقدُ عظمةَ الخالِق وقُدْرَتَه وحكمتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِم الطبيعيِّ الذي لا يرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب ، وكذلك العالِمُ الذي يرى قطعةَ البرَد [1] فيرى تحتَ مجهرِه ما فيها من جمالِ الهندسةِ ، ودقةِ التقسيمِ ، لا شكَ أنهُ يشعر بجمالِ الخالِق ودقيقِ حِكمتِه أكبَر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمَّدَ من شدةِ البَرْدِ » .

وأقوالُ علماء الكونِ في ذلك لا تقع تحت حصر ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ . وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلَم شبابُنا أن دينَهم مُؤَيَّدٌ من عِند اللهِ تباركَ وتعالى ، لا يزيدُه

(١) أي قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطراً .

العِلمُ إلا قُوَّةً وثباتاً وتأييداً ، مِصْداقاًلقولِ اللهِ تعالى : ﴿سَنُرِيهم آياتِنـا في الآفـاقِ وفي أنفسِهم حتّى يَتَبَيَّنَ لهم أنهُ الحقُّ ، أولَمْ يكْفِ بربِّكَ أنهُ على كل شيءٍ شهيدٌ﴾ [1] .

آيات الصفات وأحاديثها

وردت في القرآن الكريمِ آياتٌ وفي السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ أحاديثُ ، تُوهِمُ بظاهرِها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتِهم ، نوردُ بعضَها على سبيل المثالِ ، ثم نُقَفِّي بذكر ما وردَ فيها من الأقوالِ . واللهَ نسألُ أنْ يوفقنا إلى بيانِ وجهِ الحق في هذه المسألةِ ، التي طال فيها جدَلُ الناسِ ونقاشُهم إلى هذا العصر ، وأن يُجَنِّبَنا الزلَلَ ، ويُلهِمَنا الصَّوابَ ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ .

نماذج من آيات الصفات

١ ـ قال اللهُ تعـالى : ﴿كلُّ مَن عليهـا فانٍ [2] ، ويَبقـى وجـهُ رَبِّـك ذو الجـلالِ والإكرام﴾ .

ومثلُها كل آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافاً إلى الحقِّ تبارك وتعالى .

٢ ـ قال اللهُ تعالى : ﴿ولقد مننَّا عليك مرةً أخرى ؛ إذْ أوحينا إلى أمِّك ما يُوحَى : أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ [3] ، فلْيُلقِهِ اليمُّ بالساحل يأخذْهُ عدوٌّ لي وعدوٌّ له ، وألقيتُ عليك محبةً مني ، ولِتُصنَعَ عَلَى عيني﴾ . وقال تعالى : ﴿وأوحيَ إلى نوح أنه لن يؤ منَ من قومِك إلا مَن قد آمنَ فلا تبتَئِس [4] بما كانوا يفعلونَ . واصنع الفلك بأعْيُنِنَا

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣

(٢) ﴿كل من عليها﴾ : أي على الارض ﴿فان﴾ : أي هالك . ﴿ويبقى وجه ربك﴾ : أي ذاته . قال الزمخشري : والوجه يعبَّر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان . سورة الرحمن آية ٢٧

(٣) ﴿فاقذفيه في اليم﴾ : أي في نهر النيل . ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ : أي بالشاطىء . ﴿ولتصنع على عيني﴾ : أي تربى على رعايتي وحفظي لك . سورة طه آية ٣٩

(٤) ﴿فلا تبتئس﴾ أي فلا تحزن ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ : أي بمرأى منا وحين نراك . وقال الربيع بن أنس : بحفظنا إياك حفظ من يراك . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : بحراستنا .

ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرقونَ [1]﴾ .

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافاً إلى الله تبارك وتعالى .

٣ ـ قال الله تعالى : ﴿إن الذينَ يبايعونكَ [2] إنما يبايعونَ اللهَ يَدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، فمن نكثَ فإنما ينْكُثُ علىَ نَفْسِه ، ومن أوْفىَ بما عاهدَ عليهُ اللهَ فسيؤ تيه أجراً عظيماً﴾ .
وقال تعالى : ﴿وقالتِ اليهودُ يدُ اللهِ مغلولةٌ [3] غُلّتْ أيديهم ولُعِنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطَتانِ يُنفقُ كيف يشاءُ﴾ . وقال تعالى : ﴿أولَمْ يرَوْا أنّا خلقنا لهم ممّا عملتْ [4] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكونَ﴾ .

٤ ـ قال الله تعالى : ﴿لا يتّخِذِ المؤ منونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤ منينَ ، ومن يفعلْ ذلك فليس من الله في شيءٍ إلا أن تتّقوا منهم تقاةً ، ويحذّرُكُمُ الله نفسَهُ [5] وإلى الله المصيرُ﴾ . وقال تعالى : ﴿وإذ قال اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذوني وأمّيَ إلهَينِ مِنْ دونِ اللهِ . قال : سبحانَك ! ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليس لي بحقٍ ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِك [6] ؛ إنك أنت علامُ الغيوب﴾ .

٥ ـ قال الله تعالى : ﴿الرّحْمٰنُ علىَ الْعَرْشِ آسْتَوَىٰ [7]﴾

---

(١) سورة هود آية ٣٧

(٢) ﴿إن الذين يبايعونك﴾ : أي بيعة الرضوان . ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ : أي التي بايعوا بها النبيﷺ : أي هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها . ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ : أي فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه . سورة الفتح آية ١٠

(٣) ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ : أي مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك . ﴿غلت أيديهم﴾ : أي امسكت عن فعل الخيرات . ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ : مبالغة في الوصف بالجود ، وثنى اليد لإفادة الكثرة ؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطي بيديه . سورة المائدة آية ٦٤

(٤) ﴿اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما﴾ : أي أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين . والانعام هي الإبل والبقر والغنم . سورة يس آية ٧١

(٥) ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ : أي يخوفكم الله إياه . آل عمران آية ٢٨

(٦) ﴿تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك﴾ : أي تعلم سري وما انطوى عليه ضميري الذي خلقته ، ولا اعلم شيئاً مما استأثرت به من غيبك وعلمك . سورة المائدة آية ١١٦

(٧) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ : العرش سرير الملك . واستوى قال ابو الحسن الاشعري وغيره : استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : يريد : خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة . طه آية ٥

ومثلُها كل آية نُسب فيها الأستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى .

٦ ـ قال الله تعالى : ﴿وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ [١] ويرسِلُ عليكم حفَظَةً حتى إذا جاء أحدَكُم الموتُ توفَّتْهُ رُسُلُنا وهم لا يفرِّطون﴾ . وقال تعالى : ﴿أأمِنْتم مَن في السماءِ [٢] أن يَخْسِفَ بكُم الأرضَ فإذا هي تَمُورُ﴾ وقال تعالى : ﴿من كانَ يريدُ العزَّةَ فَلِلّهِ العزةُ جميعاً إليهِ يصعَدُ الكلِمُ [٣] الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُه والذين يمكرُونَ السيِّئاتِ لهم عذابٌ شديدٌ ، ومكرُ أولئك هو يَبورُ﴾ .

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى .

٧ ـ قال الله تعالى : ﴿إنَّ الذين يُؤذونَ اللهَ [٤] ورسولَه لعنهم اللهُ في الدنيا والآخرةِ ، وأعدَّ لهم عذاباً مُهيناً﴾ . وقال تعالى : ﴿ومريمَ ابنَةَ عِمْرانَ التي أحْصَنَتْ فرجَها فنفخنا فيه من رُوحِنا وصدَّقَتْ بكلماتِ رَبها وكُتُبِهِ ، وكانت من القانتين [٥]﴾ . وقال تعالى : ﴿كلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكاً دكاً . وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صفاً صفاً [٦]﴾ .

نماذج من أحاديث الصفات

وردت في الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتي وردت في الآياتِ السابقةِ ، منسوبةً إلى الله تبارك

---

(١) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قال القرطبي : القهر : الغلبة والقاهر الغالب . ومعنى ﴿فوق عباده﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم : أي هم تحت تسخيره لا فوقية مكان . كما تقول : السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة . ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ : أي ملائكة تحصي اعمالكم ﴿توفته رسلنا﴾ : أي الملائكة الموكلون بقبض الارواح . سورة الانعام آية ٦١

(٢) ﴿أأمنتم من في السماء﴾ أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته . قال القرطبي : وخص السماء وإن عم ملكه ، تنبيهاً على أنه الإله الذي تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض ﴿فإذا هي تمور﴾ : أي تذهب وتجيء . سورة الملك آية ١٦

(٣) ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ : أي الله تبارك وتعالى ، يصعد الكلم الطيب : أي يعلمه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ : أي يرفعه الله : أي يقبله . والكلم الطيب : هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة . ﴿ومكر اولئك هو يبور﴾ : أي يهلك . سورة فاطر آية ١٠

(٤) ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﷺ . سورة الاحزاب آية ٥٧

(٥) ﴿التي احصنت فرجها﴾ أي حفظته عن الفواحش ﴿فنفخنا فيه﴾ : أي أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها ﴿من روحنا﴾ أي روحا من أرواحنا وهي روح عيسى عليه السلام ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ : أي بشرائعه ﴿وكانت من القانتين﴾ : أي من المطيعين . سورة التحريم آية ١٢

(٦) ﴿دكادكا﴾ : أي مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضاً فتكسر كل شيء على ظهرها ﴿وجاء ربك﴾ أي امره وقضاؤه ﴿والملك﴾ اي الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾ : أي صفوفاً . سورة الفجر آية ٢٢

وتعالى : كالوجْهِ واليدِ ، ونحوهما ، فنكتفي بالآيات عن ذكرها ؛ وورد في أحاديث كثيرةٍ ألفاظٌ أخرى من هذا القبيل منسوبةٌ إلى ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى نوردُ بعضَها ؛ فمن ذلك :

١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ عن النبيِّ ﷺ قال : « خلَقَ اللهُ آدمَ على صورتهِ[١] طولُه ستون ذراعاً ، فلما خلَقَه قال : اذهب فسلم على أولئك ـ نفرٍ من الملائكةِ جلوسٍ ـ فاستَمِعْ ما يحيُّونك فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذريتك ، فقالَ : السلامُ عليكم . فقالوا : السَّلامُ عليكَ ورحمةُ اللهِ ، فزادوه ورحمةُ اللهِ ، فكل من يدخلُ الجنةَ على صورةِ آدمَ ، فلم يزل الخلقُ ينقصُ بَعدُ حتى الآنَ » رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ .

٢ ـ عن أنسٍ بن مالِكٍ رضي اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « لا تزالُ جهنمُ يُلقَى فيها وتقولُ : هل من مزيدٍ حتى يضعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها قدمَه[٢] فينزوي بعضُها إلى بعضٍ ، وتقولُ قط قط بعزّتك وكرمك ، ولا يزالُ في الجنةِ فضلٌ حتى يُنْشِيءَ اللهُ لها خَلقاً فيسكنهم فضل الجنةِ » رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ .

٣ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « للهُ أشَدُّ فَرَحاً[٣] بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالَّتِهِ إذا وَجَدَهَا » رواهُ البخاريُّ ومسلم .

انقسم الناس في هذه المسألة على أربع فرق :

١ ـ فرقة أخذت بظواهرها كما هي ، فنسبت إلى الله وجهاً كوجُوه الخلقِ ، ويداً أو أيدياً كأيْديهمْ ، وضحكا كضحكهم ، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخاً ، وبعضهم فرضه شاباً ، وهؤلاء هم المجَسِّمة والمشبِّهةُ ، وليسوا من الإسلام في شيء ، وليس لِقولِهم نصيبٌ من الصحةِ ، ويكفي في الردِّ عليهم ، قولُ اللهِ تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

(١) « على صورته » أي على صورة آدم عليه السلام . قال الحافظ العسقلاني : المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم يتنقل في النشأة أحوالا ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله رجلا كاملا سوياً من أول ما نفخ فيه الروح .

(٢) « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » . قال الزمخشري : وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع . وقوله ﷺ : « فينزوي بعضها إلى بعض » أي ينقبض بعضها إلى بعض « وتقول قط قط» : أي تقول حسبي حسبي .

(٣) « لله أشد فرحاً » . قال النووي : قال المازري : الفرح ينقسم على وجوه : منها السرور ، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به ، فالمراد هنا ان الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته ، فعبّر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع ومبالغة في تقريره

شيءٌ وهو السَّميعُ البصير[1]﴾ وقولُهُ تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ . اللهُ الصَّمَدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولَدْ . ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أحدٌ﴾

٢ ـ فرقة عطَّلَت معاني هذه الألفاظِ على أيِّ وَجْهٍ ، يقصدون بذلك نفي مدلولاتها مطلقـاً عن الله تبارك وتعالى ، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحةٍ ، والجوارحُ يجبُ أنْ تُنْفَى عنهُ سبحانه ؛ فبذلك يعطِّلون صفات اللهِ تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسِه ، وهؤلاء هم المعطِّلةُ . ويطلق عليهم بعضُ علماءِ تاريخ العقائدِ الإسلاميةِ الجَهْمِيَّة . ولا أظن أن أحداً عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهافِتَ ! وها قد ثبتَ الكلامُ والسَّمْعُ والبصرُ لبعض الخلائق بغير جارحةٍ ، فكيفَ يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارحِ ؟ ! تعالى الله عن ذلك عُلُواً كبيرا

هذان رأيان باطِّلانِ لا حظَّ لهما من النظر ، وبقي أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظـار العلماءِ في العقائدِ ، وهما رأي السَّلَفِ ورأي الخَلَفِ

مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها

٣ ـ أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا نؤمنُ بهذه الآياتِ والأحـاديثِ كمـا وردت ، ونتركُ بيانَ المقصودِ منها للهِ تبارك وتعالى ، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواءَ والضَّحِكَ والتعجبَ الخ وكلُّ ذلك بمعانٍ لا ندركُها ، ونتركُ للهِ تبارك وتعالى الإحاطةَ بعلمها ، ولا سيما وقد نهينا عن ذلك في قول النبي ﷺ « تَفَكَّروا في خَلْقِ اللهِ ولا تفكَّروا في اللّه فإنكم لن تَقْدُروه قَدْرَهُ »

قال العراقيُّ : رواهُ أبو نعيمٍ في « الحِلْيَة» بإسنادٍ ضَعيفٍ ، ورواهُ الأصبهانيُّ في الترغيبِ والترهيبِ بإسنادٍ أصحَّ منه ، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضـوان اللهِ عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ وبين الخلق . وإليك أقوالَهم في ذلك :

(أ) روى أبو القاسم اللالكائيُّ في ﴿أصـولِ السُّنَّة﴾ عن محمدِ بنِ الحسنِ صاحبِ أبي حنيفةَ رضي الله عنهما قال «اتفـقَ الفقهاءُ كلُّهم من المشرقِ إلى المغرب

---

(١) سورة الشورى آية ١١

على الإيمانِ بالقرآن والأحاديثِ التي جاءت بها الثقاتُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم في صفةِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ ، فمن فسَّر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ ﷺ وفارق الجماعة ؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّروا ، ولكن أفتوا بما في الكتابِ والسنةِ ثم سكتوا » .

(ب) وذكر الخلاّلُ في كتابِ « السُّنةِ » عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ في كُتُبِه مثل كتاب « السُّنةِ والمحنةِ » قال حنبلٌ : « سألتُ أبا عبدِ اللهِ عن الأحاديثِ التي تروى « إن اللهَ تبارك وتعالى ينزلُ إلى سماءِ الدنيا » . و « إن اللهَ يرى » و « إنّ اللهَ يَضعُ قدمَه » وما أشبه هذه الأحاديث ؟ فقال أبو عبدِ اللهِ : نُؤْمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نَرُدّ منها شيئا ، ونعلمُ أن ما جاءَ بهِ الرسولُ ﷺ حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صحاح ، ولا نرد على اللهِ قولَه ، ولا يوصف اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حَدٍّ ولا غايةٍ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » .

(جـ) وروى حَرْملةُ بنُ يحيَىٰ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ وَهْبٍ يقولُ : سمعتُ مالكَ بنَ أَنَسٍ يقولُ : مَنْ وصف شيئا من ذات اللهِ مثل قَوْلِه : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مغلولَةٌ﴾ فأشار بيده إلى عنقهِ ، ومثل قولِه ﴿وهُوَ السَّميعُ البصيرُ﴾ فأشار إلى عينِه أو أُذُنِهِ أو شيء من يديه ، قطع ذلك منه ؛ لأنهُ شَبَّهَ اللهَ بنفسه . ثم قال مالكٌ : أما سمعتَ قولَ البَراءِ حين حدَّث أن النبيَّ ﷺ لا يضحي بأربعٍ من الضحايا وأشارَ البَرَاءُ بيده كما أشارَ النبيُّ ﷺ ، قال البَراءُ : ويدي أقصرُ من يَدِ رسولِ اللهِ ﷺ فكره البراء ان يصف يدَ رسولِ اللهِ ﷺ إجلالاً لَهُ وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذي ليس كَمِثْلهِ شيءٌ ؟!

(د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ ، وأبو عَمْرو الطلمنكيُّ وأبو عبدِ اللهِ بنِ أبي سَلَمَةَ الماجِشون كلاماً طويلاً في هذا المعنى ختمهُ بقولهِ : « فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ عَلَى لسانِ رسولهِ سمَّيناهُ كما سمّاهُ ، ولم نتكلّفْ منهُ صفة ما سواهُ ، لا هذا ولا هذا ، لا نجحد ما وصفَ ، ولا نتكلّفُ معرفةَ ما لم يصِف » .

« اعلم ، رحمك اللهُ ، أن العصمةَ في الدينِ أن تنتهي حيثُ انتُهِيَ بك ، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك ؛ فإنَّ من قِوامِ الدِّينِ معرفةَ المعروفِ ، وَإنكارَ المنكر ، فما بُسطتْ عليه المعرفةُ ، وسكنَتْ إليهِ الأفئدةُ ، وذُكر أصله في الكتابِ والسُّنةِ ، وتوارَثَ عِلْمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ في ذكرهِ وصفتِه من ربك ما وصف من نفسِه عيناً ، ولا تكلفنَّ بما

وصف من ذلك قدراً ، وما أنكرته نفسُك ، ولم تجد ذكره في كتابِ ربِّك ، ولا في الحديثِ عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلَّفَنَّ علمه بعقلِك ، ولا تصفه بلسانك ، واصمُتْ كما صَمَتَ الربُّ عنه من نفسِه ، فإنَّ تكلُّفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها ، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه ، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها ، فقد واللهِ عزَّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف ، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر ، يسمعون ما وصف اللهُ به نفسَه من هذا في كتابِه ، وما يبلغهم مثلهُ عن نبيِّه ، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم ، ولا تكلُّف صِفة قدره ، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ ، وما ذكر عن رسول اللهِ ﷺ أنه سماهُ من صِفة ربه فهو بمنزلة ما سمَّى ووصفَ الرّب تعالى من نفسِه ، والرَّاسخونَ في العِلْمِ ، الواقفونَ حيْثُ انتهى بهم علمهُمْ ، والواصِفونَ لربهم بما وصَفَ نفسَهُ ، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمَّى منها جَحداً ، ولا يتكلَّفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمى ما سمَّى ، ومَن ﴿يتَّبِعْ غيرَ سبيلِ المؤْمِنِين نُوَلِّهِ مَا تَوَلّىٰ ، ونُصْلِهِ جهنَّمَ وساءَتْ مَصِيرا﴾ النساء . وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكما ، وألحقنا بالصالحين » .

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنَّ السلَفَ ، رضوانُ اللهِ عليهم ، يؤ منونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثِها كما وردت ، ويتركون بيانَ المقصودِ منها للهِ تبارك وتعالى ، مع اعتقادِهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقِهِ .

فأما الخلَفُ فقد قالوا : إننا نقطعُ بأن معاني ألفاظِ هذه الآياتِ والأحاديثِ لا يرادُ بها ظواهرُها ، وعلى ذلك فهي مَجازاتٌ لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوِّلون « الوجهَ » بالذاتِ و « اليَدَ » بالقدرةِ وما إلى ذلك ؛ هرباً من شبهةِ التشبيه . وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم في ذلك .

١ ـ قال أبو الفرج بنُ الجوزيُّ الحنبليُّ في كتابه « دفع شبهة التشبيه » : قال الله تعالى : ﴿ويبقى وجْهُ ربِّك[1]﴾ قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿يريدونَ وَجْهَهُ[2]﴾ . أي يريدونه . وقال الضحّاكُ وأبو عبيدةَ : ﴿كلُّ شيءٍ

(١) سورة الرحمن آية ٢٧

(٢) سورة الأنعام آية ٥٢

هالكٌ إلاّ وَجْهَهُ[1]﴾ أي إلا هو .

وعقد في أول الكتاب فصلا ضافياً في الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهر هذه الآياتِ والأحاديثِ هو مذهبُ السلَفِ ؛ وخلاصةُ ما قاله أن الأخذ بالظاهر هو تجسيمٌ وتشبيهٌ ؛ لأن ظاهرَ اللفظِ هو ما وُضع له ، فلا معنى لليد حقيقةٌ إلا الجارحة ، وهكذا . وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرها ، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها . وأيضاً فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفاتٍ وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد في كتاب ولا في سنة ، وليست حقيقيةٌ فإنها إضافات ليس غير ، واستدل على كلامه في ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ لا مجالَ لذكرها هنا .

٢ ـ وقال فخرُ الدينِ الرازيُّ في كتابه « أساسُ التقديس » : واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤ ها على ظاهرها لوجوهٍ : الأول أن ظاهرَ قوله تعالى : ﴿ولِتُصنَعَ على عيني[2]﴾ يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ ، والثاني أن قوله تعالى : ﴿واصنَعِ الفُلْكَ بأعيُنِنا[3]﴾ يقتضي أن يكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين ، والثالثُ أن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لا بد من المصير إلى التأويل ، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ .

٣ ـ قال الإمامُ الغزاليُّ في الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » عند كلامهِ عَلَى نسبةِ الْعِلم الظاهر إلى الباطنِ وأقسام مَا يتأتّى فيهِ الظهورُ والبطونُ ، والتأويلُ وغير التأويلِ : القسمُ الثالثُ أن يكون الشيءُ بحيثُ لو ذُكِرَ صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضررٌ ، ولكن يُكنَّى عنهُ عَلَى سبيل الاستعارة والرمز ؛ ليكونَ وقْعُهُ في قلبِ المستمعِ أغلبُ . . . ومنه قوله ﷺ : « إنّ المسجِدَ لَيَنْزَوي[4] من النُّخَامةِ كما تنزوي الجِلْدَةُ على النار » . ومعناهُ أن روحَ المسجدِ وكونَهُ معظَّماً ، ورَمْيَ النخامة فيه تحقيرٌ لهُ فيضاد معنى

---

(١) سورة القصص آية ٨٨

(٢) سورة طه آية ٣٩

(٣) سورة هود آية ٣٧

(٤) قوله ﷺ : « إن المسجد لينزوي » أي لينقبض . قال الزبيدي في شرح الإحياء : قال العراقي : هذا لم أر له أصلا في المرفوع وإنما هو من قول أبي هريرة ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه . قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبي هريرة ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في المسجد في القبلة فقال : « ما بال أحدكم مستقبل ربه فيتنخع أمامه ! أيحب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه ؟ » .

المسجدية مضادّة النار لاتصال أجزاء الجلدة . وأنت ترى أن ساحةَ المسجدِ لا تنقبضُ من نخامةٍ ، وكذلك قوله ﷺ : « أمَا يخشَى الذي يرفَعُ رأْسَهُ قبلَ الإمَامِ أنْ يُحَوِّلَ اللهُ رأسَه رأسَ حِمارٍ »[1] وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ، ولكن من حيث المعنى هو كائنٌ ؛ إذ رأسُ الحمارِ لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته ، وهي البلادةُ والحمقُ ، ومَن رفعَ رأسَه قبلَ الإمام فقد صار رأْسُهُ رأْسَ الْحِمارِ في معنى البلادةِ والحمقِ ، وهو المقصودُ دونَ الشكلِ . وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليلٍ عقليٌّ أو شرعيٌّ . أما العقليُّ فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن ، كقوله ﷺ : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابع الرحمن[2] » إذ لو فتّشنا عن قلوب المؤمنين لم نجد فيها أصابع ، فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سرُّ الأصابعِ ورُوحُها الخفيُّ ، وكنّى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الأقتدار » .

وقد تعرض لمثل هذا الكلام في موضع آخَر من هذا البحث ، وفيما ذكرناه كفاية .

إلى هنا وضح أمامَك طريقَا السَّلَفِ والخلَفِ ؛ وقد كان هذان الطريقان مثارَ خلافٍ شديدٍ بين علماءِ الكلام من أئمة المسلمينَ ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحجج والأدلةِ ، ولو بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخلْفِ بين الطريقين لا تحتملُ شيئا من هذا لو ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ ، وأن البحثَ في مثل هذا الشأن ، مهما طال فيه القولُ ، لا يؤدي في النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ ، هي التفويضُ لله تبارك وتعالى ، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى .

بين السلف والخلف

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَفِ في الآياتِ والأحاديثِ التي تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمِرُّوها على ما جاءَت عليه ، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها ؛ وأن مذهب الخلف أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيهِ اللهِ تبارك وتعالى عن مشابهة خلقِه . وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألقاب العصبيةِ ؛ وبيانُ ذلك من عدة أوجهٍ :

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

أولا : اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ .

ثانيا : كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظِ هذه النصوصِ في حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التي وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ في حق المخلوقاتِ ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفي التشبيه .

ثالثا : كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ في النفوسِ ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها ، وأن اللغاتِ ، مهما اتسعت ، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقِه علمٌ ، وحقائقُ ما يتعلقُ بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظِ التي تدلُّ على هذه الحقائق ، فالتحكمُ في تحديدِ المعاني بهذه الألفاظِ تغريرٌ .

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السَّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ ، وانحصرَ الخلافُ بينهما في أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيهِ إلى ذلك حفظا لعقائدِ العوامِّ من شبهةِ التشبيهِ ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولا إعناتاً .

ترجيح مذهب السلف

ونحن نعتقدُ أن رأي السلَفِ من السكوتِ وتفويضِ علمِ هذه المعاني إلى اللهِ تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباعِ ، حسما لمادةِ التأويلِ والتعطيلِ ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينةِ الإيمانِ ، وأثلجَ صدرَه ببردِ اليقينِ فلا تعدل به بديلا ؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلاتِ الخلَفِ لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسوقٍ ، ولا تستدعي هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً ، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه . وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكا برأيِ السلَف ، رضوانُ اللهِ عليهم ، إلى التأويل في عدةِ مواطنَ ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حنْبلٍ رضي الله عنه ؛ من ذلك تأويلهُ لحديثِ : « الحَجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ في أرضِه[1] » وقوله ﷺ : « قلبُ المؤمنِ بين إصبعينِ من أصابعِ الرّحمنِ[2] » وقوله ﷺ : « إني لأجد نفس الرّحمنِ من جانب اليمن[3] » .

---

(١) قال العراقي : رواه الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه : « وأجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات .

وقد رأيتُ للإمام النوويّ رضي الله عنه ما يفيد قرب مسافة الخلافِ بين الرأيين مما لا يدعُ مجالاً للنزاعِ والجدالِ ولا سيما وقد قيَّد الخلفُ أنفسهم في التأويلِ بجوازه عقلاً وشرعاً، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدينِ .

قال الرازيُّ في كتابه « أساسُ التقديسِ » : « ثم إنْ جوَّزْنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلاتِ على التفصيلِ ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى اللهِ تعالى ، فهذا هو القانون الكليُّ المرجوعُ إليه في جميع المتشابهاتِ ، وبالله التوفيقُ » .

* * *

وخلاصةُ هذا البحثِ أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهر المتعارفِ بين الخلقِ ، وهو تأويلٌ في الجملةِ ، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائزٍ ، فانحصرَ الخلافُ في تأويلِ الألفاظِ بما يجوزُ في الشرعِ ، وهو هينٌ كما ترى ، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلفِ أنفسُهم ، وأهَمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه هممُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيلُ .

المأثورات

تقديـــم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه الغُرّ الميامين .

وبعد : فهذه تعليقات مختصرة حررتها على رسالة « المأثورات » للأستاذ التقي الصفي الجليل شقيق الروح المرحوم الشيخ حسن البنا طيب الله ثراه ، توضح الغامض من ألفاظها وتعين قراءها على فهم معانيها ومقاصدها . وقد عنيت بمقابلة أحاديثها على أصولها من : « الجامع الصحيح » للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، و« الجامع الصحيح » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، و« السنن » للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، و« السنن » للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، و« السنن » للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب النسائي ، و« السنن » للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، و« عمل اليوم والليلة » للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدنيوري الشهير بابن السني ، وغيرها ، فأصلحت ما ألفيت فيها من غلط أو تحريف وتصحيف حيث لم أظفر بنسخة فضيلة الأستاذ المؤلف رضي الله عنه التي حررها بخطه .

وأرجو أن أكون بذلك كله قد قمت ببعض الواجب عليّ نحو الحديث النبوي ، ونحو الأستاذ المؤلف وقراء مأثوراته .

رضوان محمد رضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الذاكرين ، وسيّدِ الشاكرين ، وإمام المرسَلين وخاتم النبيين وقائدِ الغرّ المحَجَّلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومَن سلك طريقهم الى يومِ الدين .

١ ـ الذكر في كل حال :

وبعد : فاعلم يا أخي ـ رزقني الله وإياك حسن التوفيق ـ أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكارهُ وتتّجه نحوها أعمالهُ ، وتتركز حولها آماله ؛ وهي التي يسمونها « المثل الأعلى » ومتى سمَت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمالٌ سامية مجيدة ، وانطبعت نفسُ صاحبها بصورة من الجمال الروحي ، وحَدَت به إلى الكمال دائماً حتى يأخذ فيه بالنصيب الذي قدرَ له .

والاسلام ، وقد جاء لإصلاح نفوس البشر وتزكيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها ، أوضح للإنسانية جميعاً الغاية القصوى ، وحدا بها نحو المثل الأعلى ، وكان هذا المثل هو « قدس حضرة الله جل وعلا » والآية الكريمة تقول :

﴿فَفِرُّوا إلىَ اللهِ[١] إنِّي لكم مِنْه نَذيرٌ مُبِين﴾ .

وإذ عرفت هذا أيها الأخ الكريم فلا تستغرب بعدُ أن يكون المسلم ذاكراً لله على كل حال ، وأن تؤثر عن النبي ﷺ ـ وهو أعرف الخلق بربه ـ تلك الصِّيَغُ الرائعة البليغة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتحميد في كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها

(١) ﴿ففروا إلى الله﴾ : أي فروا إلى ثوابه من عقابه وذلك بأن تطيعوه ولا تعصوه . سورة الذاريات آية ٥٠ .

وحقيرها ، فقد كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحواله[1] ولا تعجب إذا طالبنا الاخوان المسلمين أن يَستَنّوا بسُنَّةِ نبيهم ويقتدُوا بهِ ﷺ فيحفظوا هذه الأذكار ويتقرّبوا بها إلى العزيز الغفار :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[2] لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرا﴾ .

٢ ـ فضل الذكر والذاكرين

وقد ورد الأمر بالذكر والإكثار منه وبيان فضله وفضل الذاكرين في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ ، وحسبك أن كان خاتمة المراتب في قوله تعالى :

﴿إنَّ المُسْلِمينَ والمسلِماتِ وَالمؤمِنِين وَالمؤمِنَاتِ ، والقَانِتِين[3] والْقَانِتَاتِ ، والصَّادقينَ والصادقَاتِ ، والصَّابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ[4] والخاشعاتِ والمتصدِّقين والمتصدِّقَاتِ والصائمينَ والصائماتِ ، والحافظينَ فُرُوجَهُمْ والحافظاتِ ، والذَّاكِرينَ اللهَ كَثيراً والذَّاكراتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما﴾ .

وقد أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى :

﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آذْكُروا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا[5]﴾ .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل الذكر ، قال رسولُ الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : قال الله تبارك وتعالى :

« أَنا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا معَهُ إذَاذكَرني ،فَإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسي

---

(٢) هذا حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه .

(٢) ﴿أسوة حسنة﴾ : أي اقتداء برسول الله ﷺ و ﴿يرجو الله﴾ : أي يخاف الله تعالى . سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٣) ﴿والقانتين﴾ أي العابدين المطيعين .

(٤) ﴿والخاشعين﴾ : أي الخائفين من الله . سورة الأحزاب آية ٣٥ .

(٥) ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ، أي أول النهار وآخره . سورة الأحزاب آية ٤٢ .

وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ[1] ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » مُتَّفَقٌ عليه[2] .

من حديث أبي هريرة .

وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قالَ : يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شرائعَ الإِسْلاَمِ[3] قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ به . قال « لا يَزَالُ لسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسَنٌ .

٣ - آداب الذكر :

واعلم يا أخي أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولي فحسب بل إن التوبة ذكر ، والتفكر من أعلى أنواع الذكر ، وطلب العلم ذكر ، وطلب الرزق إذا حسنت فيه النية ذكر ، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر ؛ ولهذا كان العارف ذاكراً على كل حالاته . ولا بد ليكون للذكر أثره في القلب من مراعاة آدابه وإلا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها . وقد ذكروا له آداباً كثيرة أهمها وأولاها بالرعاية :

(١) الخشوع والتأدُّب ، واستحضار معاني الصِّيغ ، ومحاولة التأثر بها ، وملاحظة مقاصدها وأغراضها .

(٢) خفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمة الكاملة حتى لا يشوِّش على غيره . وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب فقال تعالى :

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ[4]﴾ .

(٣) موافقة الجماعة إن كان الذكر مع جماعة فلا يتقدم عليهم ولا يتأخر عنهم ولا يبني على قراءتهم ، بل ان حضر وقد بدأوا ابتدأ معهم من أول صيغة ثم قضى ما فاته بعد

---

(١) « وإن ذكرني في ملأ » ، الملأ الجماعة .

(٢) أي رواه البخاري ومسلم .

(٣) « شرائع الإسلام » ما شرع الله لعباده من الفرائض والسنن ، وقوله : « أتشبث به » أي أتعلق به وأستمسك . قال الطيبي طيب الله ثراه : ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأساً بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه .

(٤) ﴿بالغدو والآصال﴾ أي أول النهار وآخره . سورة الأعراف آية ٢٠٥ .

انتهائه ، وإن تأخر عنهم في أثناء القراءة قرأ ما فاته وأدركهم ، ولا يبني على قراءتهم أصلاً ، لئلا يكون بذلك قد حرَّف القراءة وغيَّر الصيغ ، وذلك حرام اتفاقاً .

(٤) النظافة في الثوب والمكان ، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة ، حتى يكون ذلك أدعى إلى اجتماع همته ، وصفاء قلبه ، وخلوص نيته .

(٥) الانصراف في خشوع وأدب ، مع اجتناب اللغط واللهو الذي يذهب بفائدة الذكر وأثره .

فإذا لاحظ هذه الآداب فانه سينتفع بما قرأ ويجد أثر ذكره حلاوة في قلبه ، ونوراً لروحه ، وانشراحاً في صدره ، وفيضاً من الله ، إن شاء الله تعالى .

٤ ـ الذكر في جماعة :

ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر ففي الحديث الذي يرويه مُسلم :

« لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ[١] وَغَشيَتْهُمُ الرَّحْمة ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السكينةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » .

وكثيراً ما ترى في الأحاديث أنه ﷺ خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم[٢] .

والجماعة في الطاعات مستحبة في ذاتها ولا سيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل : تألف القلوب ، وتقوية الروابط ، وقضاء الأوقات فيما يفيد ، وتعليم الأمي الذي لم يحسن التعلم وإظهار شعيرة من شرائع الله تعالى .

نعم إن الجماعة في الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعي كالتشويش على

---

(١) « إلا حفتهم الملائكة » ، أي طافت بهم ودارت حولهم « وغشيتهم الرحمة » أي عمتهم .

(٢) منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال، آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : (ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومنَّ به علينا . قال : « أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة » رواه مسلم والترمذي والنسائي .

مصلّ ، أو لغو وضحك ، أو تحريف للصيَغ ، أو بناء على قراءة غيره ، أو نحو ذلك من المحظورات الشرعية ، فحينئذ تمنع الجماعة في الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة في ذاتها ، وخصوصاً إذا كان الذكر في جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة ، كما في هذه الوظيفة . فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحاً ومساء في ناديهم أو في مسجد من المساجد مع اجتناب هذه المكروهات . ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفرداً ولا يفرّط في ذلك .

الخاتمة :

وبعد : فإلى الإخوان المسلمين نتوجَّه بهذه الوظيفة ، وما هي بخاصة بهم ولكنها للمسلمين عامة ، لعل فيها إعانةً لهم على طاعة الله تبارك وتعالى . وهي تقرأ صباحاً من الفجر إلى الظهر ، ومساء من العصر إلى ما بعد العشاء فرادى وجماعة . ومن فاتته كلها فلا يفوتنه بعضها حتى لا يعتاد إهمالها وتضييعها .

والورْد القرآني في الوقت المناسب ليلاً أو نهاراً ، وما بعدهما من الأدعية والأذكار يقرأ عند مناسباته .

ونسأل الله لنا ولهم حسن التوفيق ، وكمال الهداية ، ونسألهم ألا يحرمونا صالح دعواتهم في الخلوة والجلوة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

غرة رمضان سنة ١٣٥٥ هـ

حسن البنا

المرشد العام للاخوان المسلمين

القسم الأول

الوظيفة

أعوذُ باللهِ السَّميعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ* الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٢)* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ* إِهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ* صِراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينَ(٣) .

بِسْمِ الله الرحمنِ الرَّحِيم الٓمٓ ذٰلِكَ الكِتَابُ(٤) لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ* الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِالغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* والَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنونَ* أُولئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحونَ(٥) .

اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ(٦) لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ والأَرضَ ولاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا(٧) وَهُوَ

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وأخرج ابن السني عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، أجير من الشيطان حتى يمسي » .

(٢) ﴿ مالك يوم الدين ﴾ : أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة .

(٣) في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها (الفاتحة) وأنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيته » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح وروى أبو داود وغيره بسنده عن رسول الله ﷺ ، قال : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » . أي قليل البركة .

(٤) « ذلك الكتاب » أي : القرآن ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه أنه من عند الله تعالى . سورة البقرة آية ٥ .

(٥) روى الدارمي ، والبيهقي في الشعب ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار لم يقربه شيطان حتى يمسي ، وإن قرأها حين يمسي لم يقربه شيطان حتى يصبح ولا يرى شيئاً يكرهه في أهله وماله » .

وروى الطبراني في الكبير ، والحاكم وصححه ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشر آيات : أربعاً من أول البقرة ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ، وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح » .

(٦) ﴿ القيوم ﴾ . القائم بتدبير شؤون خلقه . والسنة : النعاس .

(٧) ﴿ ولا يؤوده حفظهما ﴾ أي لا يثقله حفظ السموات والأرض .

العَليُّ العَظيمُ* لاَ إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ[1] وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى[2] لاَ انْفِصامَ لَهَا واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ فِيها خَالِدُون[3] .

للهِ مَا فِي السَّمٰواتِ ومَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبدوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخفوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ واللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير* آمَنَ الرسُولُ بما أُنْزِل إِليْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ ومَلائِكتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ المصير* لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا ، رِبَّنَا ولاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً[4] كمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا ، رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنا مَا لاَ طَاقَةَ لَنا بِهِ ، واعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنا عَلى القَوْمِ الكافِرِينَ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* الٓمٓ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ[5] .

وَعَنَتِ الوُجُوهُ[6] للحيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِن فَلاَ يَخافُ ظُلْماً ولا هَضْماً[7] .

---

(١) الطاغوت : الشيطان .

(٢) ﴿العروة الوثقى﴾ : العقد المحكم .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٤) ﴿ولا تحمل علينا إصراً﴾ الاصر : الأمر الذي يثقل حمله . سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٥) سورة آل عمران آية ٢ .

(٦) ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ اي خضعت لله تعالى .

(٧) ﴿ولا هضماً﴾ . أي بنقص من حسناته . سورة طه آية ١١٢ . وعن القاسم بن عبد الرحمن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن . في سورة البقرة وآل عمران ، وطه . قال القاسم ، فالتمستها فوجدتها في سورة البقرة آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي سورة آل عمران . (الٓمٓ الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي سورة طه . (وعنت الوجوه للحي القيوم) رواه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي .

حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ[1] (سبعاً)

قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ، وَلاَ تَجْهَرْ بِصلاتِكَ وَلا تَخافِتْ بِها وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً* وقُلْ الحمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ ولداً ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ولَمْ يكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكْبِيراً[2] .

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وأَنَّكُم إِلَيْنَا لاَ تُرجعونَ* فَتعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكريمِ* ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافِرونَ* وقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ[3] .

فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ* ولَهُ الحَمْدُ فِي السَّمٰواتِ والأَرْضِ وَعَشِياً وحِينَ تُظْهِرونَ[4]* يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ ويُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيِّ ويُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وكَذلِكَ تُخرَجونَ* ومِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ*[5] وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتسكُنُوا إِلَيْها وَجَعَل بَيْنَكُمْ مَودَّةً ورَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفكَّرُونَ* ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّمواتِ والأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ للعالِمينَ* ومِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهار

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٩ . عن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي : (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبع مرات كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر الدنيا ، والآخرة » أخرجه ابن السني وابن عساكر مرفوعاً ، وأخرجه ابو داود موقوفاً على أبي الدرداء .

(٢) سورة الاسراء آية ١١٠ ـ ١١١ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ في مصبح أو ممسى (قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن) إلى آخر السورة لم يمت قلبه في ذلك اليوم ولا تلك الليلة » أخرجه الديلمي في مسند الفردوس .

(٣) سورة المؤمنون آية ١١٥ ـ ١١٨ عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : « وجهنا رسول الله ﷺ في سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا (أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً) الآيات فقرأنا فغنمنا وسلمنا » أخرجه ابن السني وأبو نعيم وابن منده . قال الحافظ : سند ابن منده لا بأس به .

(٤) ﴿وحين تظهرون﴾ أي تدخلون في الظهيرة .

(٥) ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾أي تنتشرون في الأرض .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح :﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ إلى ﴿وكذلك تخرجون ﴾أدرك ما فاته في يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته » رواه أبو داود .

وابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ[1] إنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقومٍ يَسْمَعُونَ* وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خوْفاً وطَعماً ويُنزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحيي بِهِ الأرض بَعدَ مَوْتِها إنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقومٍ يعْقلونَ* ومِنْ آياتِهِ أن تقومَ السَّماء والأرضُ بأمرِهِ ثُمَّ إذا دَعاكُمْ دَعْوةً مِنَ الأرضِ إذا أنْتُم تَخرُجُونَ* ولَهُ مَنْ في السَّمٰواتِ والأرضِ كلٌّ لهُ قانِتُونَ[2] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* حمٓ تنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العليمِ* غافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ[3] شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ[4] لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المصيرُ[5] .

هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيم* هُوَ اللهُ الَّذي لاَ إِلٰهَ إلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ[6] السَّلامُ المؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجبَّارُ المُتكبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكونَ* هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِىءُ[7] المُصوِّرُ لَهُ الأسماءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا في السَّمٰواتِ والأرضِ وهُوَ العَزِيزُ الحكيمُ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* إذا زُلْزِلَتِ الأَرضُ زِلْزالَها*[8] وأَخرجتِ الأَرضُ أثقالها*[9] وقَالَ الإنسانُ مَالَها* يومَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها* يومئِذٍ

---

(١)﴿وابتغاؤكم من فضله﴾. أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته سبحانه وتعالى .

(٢)﴿كل له قانتون﴾. أي مطيعون . سورة الروم آية ٢٦ .

(٣) ﴿وقابل التوب﴾: أي التوبة .

(٤) ﴿ذي الطول﴾ أي الإنعام الواسع .

(٥).﴿إليه المصير﴾ : أي المرجع . سورة غافر آية ٣ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ « من قرأ (حم)المؤمن إلى﴿اليه المصير﴾ وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي ، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بها حتى يصبح » أخرجه الترمذي والدارمي وابن السني والمروزي .

(٦) ﴿القدوس﴾ ، أي المنزه عن كل نقص ، الطاهر عما لا يليق به و(المهيمن) : الشهيد على عباده باعمالهم .

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قرا خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة) أخرجه البيهقي .

(٧) ﴿الباري﴾ ، أي المنشيء من العدم . سورة الحشر آية ٢٤ .

(٨) (إذا زلزلت الارض زلزالها) أي حُركت لقيام الساعة .

(٩) (وأخرجت الأرض أثقالها) كنوزها وموتاها فالقتها على ظهرها .

يَصْدُرُ النَّاسُ أَشتاتاً[1] لِيُروا أعمالَهُمْ* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه* ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرَاً يره[2] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ* قُلْ يأَيُّها الكافِرُون* لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون* ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُد* ولا أَنَا عَابدٌ مَا عَبَدْتُمْ* ولاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* لَكُمْ دينُكُمْ وليَ دين[3]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ* إِذا جاءَ نَصْرَ اللهِ والفَتْحُ*[4] ورأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلونَ في دِينِ اللهِ أَفْواجاً*[5] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ توَّاباً[6] .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ* قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ[7] لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ* ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً[8] أحدٌ* ﴿ثلاثاً﴾ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنْ الرَّحيمِ* قُلْ أَعُوذُ بِربِّ الفَلَقِ[9] مِنْ شَرِّ مَا خَلَق* وَمِنْ شَرِّ

---

(١) ﴿يصدر الناس أشتاتاً﴾ أي متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة واخذ ذات الشمال إلى النار .

(٢) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « إذا زلزلت تعدل نصف القرآن » رواه الترمذي والحاكم من حديث يمان بن المغيرة .

(٣) في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « ﴿قل يأيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن » رواه الترمذي والحاكم وقال . صحيح الاسناد .

(٤) ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ، أي فتح مكة .

(٥) ﴿يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ . أي جماعات فوجاً بعد فوج بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة ، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين .

(٦) في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٧) ﴿الله الصمد﴾ . أي المقصود في الحوائج على الدوام .

(٨) « ولم يكن له كفواً أحد » أي لم يكن له أحد مكافئاً ومماثلاً .

(٩) ﴿الفلق﴾ : الصبح .

غَاسِقٍ[1] إذا وَقَبَ* وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ[2] فِي العُقَدِ* ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ[3] (ثلاثاً) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* قُلْ أَعُوذُ بِربِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إلهِ النَّاسِ* مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ[4] الخَنَّاسِ* الَّذي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الجِنَّةِ والنَّاس (ثلاثاً) .

أصْبَحنا وأَصْبح المُلْكُ للهِ والحَمْدُ للهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لاَ إلٰهَ إلاَّ هُوَ وإليهِ النُّشُورُ[5] (ثلاثاً) .

أَصْبَحْنا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ ، وكلمَةِ الإخلاصِ وعَلَى دِينِ نَبِيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ ، وعَلى مِلةِ أَبينا إبْراهيم حَنيفاً[6] وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِين[7] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ إنِّي أصبحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَسِتْرٍ ، فأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وَعافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيا والآخِرةِ[8] (ثلاثاً) .

---

(١) ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي الليل إذا أظلم .

(٢) ﴿ومن شر النفاثات﴾ أي الساحرات اللاتي ينفثن ﴿في العقد﴾ أي في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يفعل من يرقي .

(٣) عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أنه قال : « خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال : (قل) فلم أقل شيئاً . ثم قال : (قل) فلم أقل شيئاً . ثم قال : (قل) . فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل هو الله أحد ، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٤) ﴿من شر الوسواس﴾ ، أي من شر الشيطان . ﴿الخناس﴾ ، الذي يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله تعالى .

(٥) ﴿وإليه النشور﴾ : أي المرجع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول إذا أصبح : « أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله لا شريك له لا إله إلا الله وإليه النشور » ، وإذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله لا شريك له ، لا إله إلا الله وإليه المصير » أخرجه ابن السني والبزار . وقال البيهقي : إسناده جيد .

(٦) « حنيفاً » قال ابن سيده في المحكم : الحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق .

(٧) عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا ان نقول : « أصبحنا على فطرة الاسلام ، وكلمة الاخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين » وإذا أمسينا مثل ذلك ، أخرجه عبد الله ابن الامام أحمد في زوائده .

(٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى ، كان حقاً على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السني .

اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي من نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ ، وَلَكَ الشُّكْرُ[1] (ثلاثاً) .

يَا رَبِّي لَكَ الْحَمْدُ كما يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ[2] (ثلاثاً) .

رَضِيت بِاللهِ رَبًّا ،وبالإِسلامِ ديناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولا[3] (ثلاثاً) .

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ[4] (ثلاثاً) .

بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[5] (ثلاثاً) .

---

(١) عن عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

(٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين (أعيتهما) فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء . فقالا : يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها ؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدي . قالا : يا رب إنه قد قال : يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك . فقال الله عز وجل لهما : اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها . رواه الامام أحمد وابن ماجه ، ورجاله ثقات .

(٣) عن أبي سلام رضي الله عنه خادم النبي ﷺ مرفوعاً أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال اذا أصبح واذا أمسى : رضينا بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، كان حقاً على الله أن يرضيه » رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم .

(٤) عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة ، حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : « ما زلت اليوم على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . فقال النبي ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لو زنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » رواه مسلم .

(٥) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلن يضره شيء » ، رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

اللّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِما لا نَعْلَمُه[١] (ثلاثاً) .

أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ[٢] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ والبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجالِ[٣] (ثلاثاً) .

اللّهُمَّ عَافِنِي في بَدَنِي ، اللّهُمَّ عافِنِي في سَمْعِي ، اللّهُمَّ عافِنِي في بَصَرِي (ثلاثاً) ، اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالْفَقْرِ ، اللّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عذَابِ الْقَبْرِ ، لاَ إلهَ إلاَّ أَنْتَ[٤] (ثلاثاً) .

اللّهُمَّ أَنْتَ ربِّي لا إلهَ إلاَّ أنتَ ، خلقْتَني وأنا عبْدُكَ وأنا على عهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِك مِنْ شر مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ[٥] بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي

---

(١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « يأيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل » فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : « قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد ، وورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : « يقول كل يوم ثلاث مرات » .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يمسي ثلاث مرات : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة » رواه ابن حبان في صحيحه ، والحمة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم : السم أو لدغة كل ذي سم .

(٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسولُ الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال : « يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة ؟ » قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله ، قال : « أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ؟ » قال : قلت : بلى يا رسول الله قال : « قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال : ففعلت ذلك فأذهب الله همي ، وقضى عني ديني . أخرجه أبو داود .

(٤) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال لأبيه : يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة : اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا انت ، تعيدها حين تصبح ثلاثاً ، وثلاثاً حين تمسي : فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب ان أستن بسنته رواه ابو داود وغيره .

(٥) « ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي » أي أقر وأعترف .

فَاغْفِرْ لي فإنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنتَ[1] (ثلاثاً) .

أستغْفِرُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إلَيْهِ[2] (ثلاثاً) .

اللّهُمَّ صلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كما صَلَّيْتَ عَلى سَيِّدِنَا إبْراهِيمَ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا إبْراهِيمَ وَبَارِكْ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بارَكْتَ عَلى سَيِّدنَا إبراهِيمَ وَعَلى آلِ سَيِّدِنَا إبراهِيمَ في الْعَالَمِينَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[3] (عَشْراً) .

سُبْحَانَ اللهِ ، وَالحمدُ للهِ ، وَلا إلَهَ إلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أكْبَرُ[4] (مائة) .

لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحمدُ ، وَهُوَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[5] (عشراً) .

---

(١) عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها موقناً بها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقناً بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » رواه البخاري وغيره .

(٢) عن زيد مولى النبي ﷺ قال : سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غفر له وإن كان فرَّ من الزحف » رواه أبو داود والترمذي والحاكم ، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم .

(٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى علي حين يصبح عشراً ، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة » رواه الطبراني .

(٤) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله ، أو قال : غزا مائة غزوة ، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل ، ومن كبَّر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد أكثر مما أتى به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ، وأخرج نحوه النسائي .

وعن أم هانيء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : « يا أم هانيء اذا أصبحت فسبحي الله مائة ، وهلليه مائة ، واحمديه مائة ، وكبريه مائة ، فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة تهدينها ، ومائة تهليلة لا تبقي ذنباً قبلها ولا بعدها » أخرجه الطبراني .

(٥) عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يصبح : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكن كعتق عشر رقاب ، وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره ، ولم يعمل يومئذ عملا يقهرهن . وإن قالها حين يمسي فمثل ذلك » أخرجه أحمد والطبراني وسعيد بن منصور وغيرهم .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ[1] (ثلاثاً) .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم تَسْلِيماً عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ ، وَخَطَّ بِهِ قَلَمُكَ ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ وعَلِيٍّ ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمعِينَ ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّينِ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلامٌ عَلى الْمُرْسَلِين ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين[2] .

الوظيفة الصغرى

إذا وجد الأخ ضيقاً في وقته ، أو فتوراً في نفسه ، أو في إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم ، فليختصرها على هذا النحو: يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين كل منها (ثلاثاً) ، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير :

﴿أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَه إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ . .﴾ إلخ ، ثم يتبع الاستغفار مباشرة بصيغة : ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ﴾ إلى آخر الوظيفة .

(١) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قال : سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك ،في مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ، ومن قالها في مجلس لغو كان كفارة له » رواه النسائي والطبراني والحاكم وغيرهم .

(٢) قال الإمام النووي في الأذكار : روينا في حلية الأولياء عن علي كرم الله وجهه : « من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم : سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

القسم الثاني

الورد القرآني

فضل القرآن :

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الاسلام ، وهو المنبع الذي يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة ، وهو أفضل ما يتقرّب المتعبدونَ بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

﴿إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ[1] فَاقْبَلُوا مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ؛ إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ[2] والنُّورُ الْمُبِينُ والشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، ونَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، ولاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ، ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ولا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ[3] . أُتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلى تِلاوَتِهِ كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ . أَما إِنِّي لاَ أَقُولُ لَكُم الْم حَرْفٌ ، ولَكِنْ أَلِفٌ ولاَمٌ وَمِيمٌ » رواه الحاكم .

وفي وصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ لأبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنهُ : ﴿عَلَيْكَ بِتِلاوةِ الْقُرْآنِ فإنَّهُ نُورٌ لَكَ في الأرضِ وذُخْرٌ لَكَ في السَّماءِ﴾ رواه ابن حبان في حديث طويل .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْمَاهِرُ[4] بِالقُرْآنِ مَعَ

(١) « إن هذا القرآن مأدبة الله » أي مدعاته ، شبه النبي ﷺ القرآن بصنيع صنعه الله لهم فيه خير ومنافع .

(٢) « إن هذا القرآن حبل الله » أي نور هداه .

(٣) « ولا يخلق » قال النووي : بضم اللام ويجوز فتحها والياء فيهما مفتوحة ، ويجوز ضمها مع كسر اللام . يقال : خلق الشيء ، وخلق ، وأخلق إذا بلي ، والمراد هنا لا تذهب جلالته وحلاوته من كثرة التلاوة والقراءة .

(٤) « الماهر » : الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه . و« السفرة » : الملائكة . « البررة » : المطيعون « ويتتعتع فيه » قال القرطبي : التتعتع التردد في الكلام عياً وصعوبة . وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ، ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة .

السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

ولقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يحملُ الناس عَلى الْقُرْآنِ حَمْلاً ، وَيُفَاضِلُ بَيْنَهُم بِمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ الْقُرْآن ، وَيُوصي مَنْ عَجز عنِ القراءةِ بِأَنْ يَسْتَمِعَ وَيَتَفَهَّمَ حَتَّى لاَ يُحْرَمَ بَرَكة الصِّلَةِ الرُّوحية بكتاب الله تبارك وتعالى .

عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : «مَنِ اسْتَمَعَ إِلى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ ، وَمَنْ تلاَهَا كانَتْ لَهُ نوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواهُ أحمد .

وفي حديث أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بعثَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم بَعْثاً وَهُمْ ذَوو عَدَد فَاسْتَقْرَأَهُمْ[1] ، فَاسْتَقْرَأَ كلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، يَعْنِي مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فقالَ : « ما مَعَكَ يَا فُلانُ ؟ » قالَ : مَعي كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقْرَةِ . قالَ : « أَمَعَكَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ؟ » قالَ : نَعَمْ . قالَ : « اذْهَبْ فأَنْتَ أَميرُهُمْ[2] » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته ، فجعلوه مصدر تشريعهم ، ودستور أحكامهم ، وربيع قلوبهم ، وورد عبادتهم ، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم ، وتشربت معانيه السامية أرواحهم ، فأثابهم الله في الدنيا سيادة العالم ، ولهم في الآخرة عظيم الدرجات ؛ وأهملنا القرآن فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف في الدنيا ورقة في الدين .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :«عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُها الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتي فَلَمْ

---

(١) « فاستقرأهم » . أي طلب منهم أن يقرأوا

(٢) تمام الحديث : فقال رجل من أشرافهم : والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها ، فقال رسول الله ﷺ : « تعلموا القرآن واقرأوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان ، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكيء على مسك »

وقوله ﷺ « وكيء على مسك » أي ربط بالوكاء وهو الخيط الذي يشد به فم القربة

أَوْ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيَها رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَها» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه .

ولهذا عُني الإخوان المسلمون بأن يجعلوا كتاب الله تبارك وتعالى أول أورادهم ، وكان من تعهدهم أن يرتب الأخ على نفسه كل يوم حزباً من القرآن الكريم .

مقدار الورد :

تختلف ظروف الإخوان وأحوالهم ، ولهذا لم يحدد مقدار الورد ، وترك ذلك لظروف كل شخص ومقدرته[1] والمهم ألاَّ يمر به يوم بغير أن يقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى .

وسنورد هنا أوجه تقسيم الورد القرآني عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، على سبيل المثال والتوضيح فنقول :

(١) أقل مدة للختمة ثلاثة أيام ، وقد كرهوا أن يختم الإنسان في أقل من ثلاث وفي أكثر من شهر وقالوا : إن في الختم في أقل من ثلاث إسراعاً لا يعين على التفهم والتدبر، وفي الختم في أكثر من شهر إسرافاً في هجر التلاوة .

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم «لَمْ يَفْقَهْ[2] مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ » رَوَاهُ أَبو داوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وابنُ ماجَه وقال الترمذيُّ : حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ .

(٢) الحد الوسط أن يختم كل أسبوع مرة إذا تمكن من ذلك ،وقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو أن يختم في كل أسبوع مرة[3] ، وكذلك كان جماعة من الصحابة رضوان

---

(١) قال النووي في التبيان ، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة .

(٢) « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » أي لم يفهم ظاهر معانيه وأما فهم دقائقه فلا تفي به الأعمار ، والمراد نفي الفهم لا نفي الثواب .

(٣) هاك حديثه : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كنت أصوم الدهر واقرأ القرآن كل ليلة ، فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إلي ، فأتيته فقال لي : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ » فقلت : بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : « فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » ، قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال : =

الله عليهم يفعلون : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم. وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، يعني القصص ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى صۤ ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، وليلة الخميس يختم الختمة . وكان لابن مسعود رضي الله عنه تقسيم آخر يختلف في عدد السور ، ولكنه يتفق في الختم كل أسبوع ، وقد ورد في التقسيم في الأسبوع أخبار كثيرة(١) .

سور يستحب الاكثار من تلاوتها

من أوراد الإخوان القرآنية المواظبة على تلاوة هذه السور كل يوم ، وهي : يس ، والدخان ، والواقعة ، وتبارك الملك ، ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة ، ويضاف إليها سورة الكهف ، وسورة آل عمران ، وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ :

(١) عَنْ مَعْقَلِ بنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : «قَلْبُ الْقُرْآنِ يٰس لا يَقْرَؤُها رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ ، اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُم» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسائي وَغَيْرُهُمْ .

(٢) وعن عبد الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُسَمِّيها الْمَانِعَةَ ،

« فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس » قلت : يا نبي الله وما صوم داود ؟ قال : « كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، واقرأ القرآن في كل شهر » قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « فاقرأه في كل عشرين » قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « فاقرأه في كل عشر » قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك . قال : « فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ، فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً » فشددت فشدد علي ، وقال لي النبي ﷺ : « إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر » فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ . فلما كبرت وددت اني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ . رواه البخاري ومسلم .

وقوله ﷺ : « ولزورك عليك حقاً » أي لزائرك . وقوله : « في كل سبع ولا تزد » قال النووي : هذا من الإرشاد إلى الاقتصاد في العبادة ، والإرشاد إلى تدبر القرآن .

(١) ليس هذا التقسيم بمتعين بل هو على سبيل الاتباع والأفضلية ، وللأخ أن يقرأ حسب مقدرته بحيث لا يمضي يوم بغير تلاوة ، فإن لم يكن من أهل القراءة فليجتهد في الاستماع أو في حفظ بعض السور يتلوها كلما سنحت له الفرصة .

وإنَّها في كتَابِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ سُورَةٌ مَنْ قَرأَ بِها في لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ » رَواهُ النَّسائيُّ : وَرَوَى مِثْلَهُ الحاكم وَصَحَّحَهُ .

(٣) وَفي حَديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مَنْ قَرأَ ﴿حم الدُّخان﴾ في لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » رَواهُ التِّرْمِذِيُّ والأصبهاني .

(٤) وفي حديثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : مَنْ قَرأَ سُورَةَ الْكَهْفِ في يَوْمِ الْجُمعةِ أَضاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ » رَواهُ النَّسائيُّ والبيهقي مَرْفُوعاً .

(٥) وفي حديث ابن عباس رضي اللهُ عنهما قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن قَرَأَ السُّورَةَ الَّتي يُذْكَرُ فِيها آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الجُمُعَة صلى عَلَيْهِ اللهُ وَمَلائِكَتُهُ حتَّى تَغيبَ الشَّمْسُ » رَواهُ الطَّبراني في الأوسط والكبير .

(٦) وقد وردت الآثار كذلك مرفوعة وموقوفة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بفضل سورة الواقعة ، ولا سيا وفيها البعث والجزاء والاستدلال على ذلك بما لا يدع شبهة لقائل ،فيستحب للاخ المسلم ألا يحرم نفسه فضل تلاوة هذه السورة مرة كل يوم وفي الليل أفضل وفي يوم الجمعة لا بأس من تلاوتها في الليل مرة وفي النهار مرة ، ويجعل وقت العصر إلى المغرب لسورة آل عمران لعلها ساعة الإجابة فيكون فيها مشغولاً بأفضل الذكر وهو تلاوة القرآن .

آداب التلاوة

ذكرنا في المقدمة طرفاً من آداب الذكر ، ونزيد هنا أن من آداب التلاوة الاجتهاد كل الاجتهاد في التدبر والتفكر فذلك هو المقصود الأول منها . والله تبارك وتعالى يقول :

﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ولِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[1] .

ولا سيا إذا لاحظ أنَّ في ذلك خطاب ربِّ العالمين العزيز الحكيم ، كما أنَّ من آداب

---

(١) سورة ص آية ٢٩ .

التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد ، فيُخرج الحروف من مخارجها ، ويؤدِّيها على قواعدها ، ويمد الممدود ويغنّ ما يستحق الغنّة ، ويفخم المفخم ويرقق المرقّق وهكذا .

عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رسول الله ﷺ : « إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا ، فَإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا وَتَغَنَّوْا بِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا » . رواهُ ابنُ مَاجَهْ .

والمراد بالتَّغَنِّي هُنا التحزّن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة،فقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ :

« إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً بِالْقُرْآنِ الَّذِي إذَا سَمِعْتُموهُ يَقْرَأ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى الله »[1] رواهُ ابنُ مَاجَهْ .

مجلس الاستماع :

ومن أوراد الإخوان المسلمين القرآنية الاجتماع لسماع كتاب الله تبارك وتعالى ممن يحسن تلاوته ، وعلى القارىء في مجلس الاستماع أن يقرأ قراءة مرسلة يلاحظ فيها الآداب السابقة . وعلى الإخوان إذا استمعوا أن ينصتوا ويفكروا في المعاني ، وأن يكونوا على غاية الخشوع والتوقير والتعظيم لكتاب الله تبارك وتعالى ويستحضروا الآية الكريمة :

﴿وَإذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[2]﴾ .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون القرآن وكأن على رؤوسهم الطير ، وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي رضي الله عنه ، وكان حسن القراءة ، فقرأ عليهم واستمعوا فلا يرى الراوون أكثر بكاء منهم في حالهم تلك حين الاستماع :

(١) قال ابن كثير : والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي ، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك .

(٢) سورة الأعراف آية ١٠٤ .

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحق[1]﴾ .

ويستحب إتماماً للفائدة إذا حضر مجلسهم هذا أهل العلم أن يلخصوا لهم مقاصد ما تلي من آيات .

ورد الحفظ :

ويستحب كذلك للأخ المسلم ، وهو من أورادنا القرآنية ، أن يجتهد ما استطاع في حفظ ما يمكن من القرآن الكريم ، فيرتب على نفسه كل يوم آية أو آيات بقدر طاقته يحفظها حفظاً جيداً ، وبهذه الطريقة التدريجية يمكنه أن يحفظ الشيء الكثير من كتاب الله تبارك وتعالى .

وفي الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي ذرٍّ رضي اللهُ عنهُ : « يا أبا ذرٍّ لأنْ تَغْدُوَ[2] فَتَعْلَمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مائَةَ رَكْعة» رواهُ ابْنُ مَاجَه بإسناد حسن ، ويعضده حديث مسلم وأبي داود في هذا المعنى[3] .

فاجتهد يا أخي أن تفوز بهذه الفضيلة ، واللهَ نسأل أن يجعلنا وإياك من أهل القرآن ، فنكون بذلك من أهل الله وخاصته ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) سورة المائدة آية ٨٣ .

(٢) « يا أبا ذر لأن تغدو » الغدوة : أول النهار .

(٣) وإليك لفظه : عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال : أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم ؟ » فقلنا : يا رسول الله نحب ذلك . قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيـه أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من اربع ومن اعدادهن من الإبل » رواه مسلم وأبو داود .

و « بطحان » بضم الباء وسكون الطاء والمد : موضع بالمدينة . و « الكوماء » بفتح الكاف وسكون الواو : الناقة العظيمة السنام . « ومن أعدادهن من الابل » : اي وأكثر من اربع آيات يعلمها أو يقرؤها خير له من أعداد النوق ، فخمس آيات خير من خمس إبل ، ودواليك . . .

القسم الثالث

أدعية اليوم والليلة

أولاً : دعاء الاستيقاظ من النوم

(١) عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ وأبي ذَرٍّ رَضي اللهُ عَنْهُمَا قالا : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذَا اسْتَيْقَظَ قالَ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنا وَإِلَيْه النُّشُورُ[١] » رَواه البخاريُّ .

(٢) وَعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قالَ : « إذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الحمدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحي ، وعَافاني في جَسَدِي ، وَأَذِنَ لي بِذِكْرِه » رَوَاهُ ابنُ السُّنِّي .

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رضي اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يَرُدُّ اللهُ تعالَى رُوحَه : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الحمدُ وَهُوَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إلاَّ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذُنوبَهُ وَلَوْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ[٢] » رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٤) وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَنَبَّهُ مِنْ نَوْمِهِ فَيَقُولُ : الحمدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ النَّوْمَ وَالْيَقظَةَ ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بعثَني سالماً سَوِيًّا ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إِلاَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى : صَدَقَ عَبْدِي » رواهُ ابنُ السُّنِّي .

(٥) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا استيقظ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ : « لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبي ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً ، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » رواه أبو دَاوُدَ .

---

(١) وإليه النشور : أي المرجع .

(٢) زبد البحر : الزبد بفتحتين : الرغوة ، أي ولو كانت ذنوبه في الكثرة مثل زبد البحر .

ثانيا   دعاء لبس الثوب وخلعه

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إِذَا لَبِسَ ثَوْباً سَمَّاه باسْمِه قميصاً أَوْ رِداءً أَوْ عِمَامَةً يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٢) وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال . « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَدِيداً فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هٰذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٣) وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْرَحَ ثِيَابَهُ : بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي

ثالثاً : دعاء الخروج من المنزل ودخوله :

(١) عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ قَال ، يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ · بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، يُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ وَوُقِيتَ وهُدِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » رواهُ أبو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) وَعَنْ أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِاسْمِ اللهِ وَلَجْنَا ، وَبِاسْمِ اللهِ خَرَجْنَا وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ » . رواهُ أَبُو دَاوُدَ .

رابعا : دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه :

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَهُوَ

يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُوراً ، وَفي بصَرِي نُوراً ، وفِي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَميني نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَفَوْقي نُوراً ، وتَحتي نُوراً ، وَأَمَامِي نُوراً وَخَلْفِي نُوراً ، وَاجْعَلْ لي نُوراً » رواهُ البخاريُّ .

(٢) وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قالَ : « أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيم ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم . قالَ : فَإِذَا قالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ : حُفِظَ مِنِّي سائِرِ الْيَوْمِ » رواهُ أَبُو دَاوُد .

(٣) وَعَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قالَ : « بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَإِذا خَرَجَ قالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد » رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

(٤) وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّم عَلى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوابَ رَحْمَتِكَ ، فاذا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي إِسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » رواهُ مُسْلِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

خامساً : دعاء التخلي والمباشرة

(١) عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ[١] : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ » رواهُ الشَّيْخَان .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ من الْخَلاءِ قالَ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ ، وَأَبْقَى فِيَّ قُوَّتَهُ ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ » رواهُ ابْنُ السُّنِّي وَالطَّبَرَانِيُّ .

(١) الخلاء ، بفتح الخاء والمد : موضع قضاء الحاجة . والخبث بضم الباء : جمع خبيث ، والخبائث : جمع خبيثة . استعاذ ﷺ من مردة الجن ذكورهم وإناثهم .

(٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قالَ : « غُفْرَانَكَ[١] » رواهُ أَبُو دَاوُد .

(٤) وَعَنْ عبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً » رواهُ الْبُخَارِيُّ .

سادساً : دعاء الوضوء والغسل والأذان

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي » قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَدْعو بِكَذَا وكَذا ؟ قالَ : « وَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ مِنْ شَيْءٍ » رواهُ النَّسَائِيُّ وابْنُ السُّنِّي .

(٢) وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ[٢] فُتِحَتْ لَهُ ثَمانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شَاءَ » رواهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمذِيُّ .

(٣) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ قالَ حِينَ

---

(١) غفرانك أي أسألك مغفرتك . قال الخطابي : وقيل في تأويل ذلك وفي تعقيبه الخروج من الخلاء بهذا الدعاء قولان : أحدهما أنه قد استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء ، وكان ﷺ لا يهجر ذكر الله إلا عند الحاجة ، فكأنه رأى هجران الذكر في تلك الحالة تقصيراً وعدّه على نفسه ذنباً فتداركه بالاستغفار . وقيل معناه : التوبة من تقصيره في شكر النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه فأطعمه ثم هضمه ثم سهل خروج الأذى منه فرأى شكره قاصراً عن بلوغ حق هذه النعم ففزع إلى الاستغفار منه ، والله أعلم .

(٢) « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » قال المباركفوري في شرح الترمذي . جمع بينهما إلماماً بقوله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ولما كانت التوبة طهارة الباطن من أدران الذنوب ، والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى ، ناسب الجمع بينهما .

يَسْمَعُ ٱلنِّدَاءَ[1] : اللّٰهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواهُ البُخَارِيُّ .

سابعاً : دعاء الطعام

(١) عن عبد اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي اللهُ عنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنهُ كانَ يَقُولُ فِي الطَّعامِ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ : « اللّٰهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيما رَزَقْتَنَا ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، بِسْمِ ٱللهِ » . رواهُ ابنُ السُّنِّيِّ .

(٢) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسمَ اللهِ تَعَالَى ، فإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ ٱسْمَ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قالَ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه .

(٤) وعن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هٰذَا وَرَزَقَنيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٥) وَعَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ فَجَاءَ بِخبْزٍ وَزَيْتٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ قالَ النَّبِي ﷺ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَة » رواهُ أَبُو دَاوُد .

---

(١) النداء : الأذان ، والوسيلة : منزلة في الجنة ، والفضيلة : المرتبة الزائدة على سائر الخلائق . والمقام المحمود : هو شفاعة النبي ﷺ العظمى يوم القيامة .

ثامناً : دعاء التهجد والأرق والرؤيا

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يتهَجَّدُ[١] قالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ أنت قَيِّمُ السَّمواتِ والأرضِ ومَنْ فِيهِنَّ ولكَ الحمدُ، أنتَ نُورُ السَّمواتِ والأرضِ ومَنْ فِيهِنَّ ولَكَ الحمْدُ، أنْتَ الحَقُّ ، ووعْدُكَ الحَقُّ ، ولقاؤكَ حقٌّ ، وقولُكَ حقٌّ وَالْجنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حاكَمتُ ، فَاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إلا أَنْتَ ؛ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » رواهُ الْبُخَارِيُّ .

(٢) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فإنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بها ، وَإِذَا رَأى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شرِّهَا وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ فَإِنَّهَا لاَ تضرُّهُ » رواهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(٣) وَعَنْ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّومِ فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ[٢] وَأَنْ يَحْضرون فَإِنَّهَا لَنْ تَضرَّهُ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

(٤) وَعَنْ خَالِدِ بن الْوليدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَصابَهُ الأَرَقُ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمْوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ وَرَبَّ

---

(١) التهجد : اسم لدفع النوم بالتكلف ، والهجود : هو النوم . يقال : هجد إذا نام ، وتهجد إذا أزال النوم .

(٢) « ومن همزات الشياطين » . الهمز : النخس والغمز وكل شيء دفعته فقد همزته .

الأَرضِين وَمَا أَقَلَّتْ وَرَبَّ الشَّياطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لِي جَاراً مِنْ شرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَفْرُطَ عليَّ أَحَدٌ مِنهُمْ[1] أَوْ أَنْ يَطْغَى ، عَزَّ جَارُكَ ، وَتَبَارَكَ آسْمُكَ » ، فَقَالَهُنَّ فَنَامَ . رواهُ الطبرانيُّ في الأوسط وآبْنُ شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ .

(٥) وَعَنْ زَيْدِ بْن ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : شكَوْتُ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ أَرَقاً أَصابَنِي فَقَالَ : قُلْ : اللّهُمَّ غَارَتِ النُّجُومُ ، وَهَدَأَتِ العُيُون ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، يَا حَيُّ يا قَيُّومُ ، إهدِ لَيْلِي ، وَأَنِم عَيْنِي » ، فَقُلْتُهَا فَأَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كُنْتُ أَجِدُهُ . رواهُ ابْنُ السُّنِّي .

تاسعاً : دعاء النوم

(١) عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ : « إِذَا جَاءَ أَحدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنفَةِ ثَوْبِهِ[2] ثَلاثَ مَرَّاتٍ ولْيَقُلْ : بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إن أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا ، وَأَنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ » رواهُ الجماعة[3] .

(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ وَنَفَخَ فِيهما فقرَأَ فِيهما : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِما مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَبْدَأُ بِهِما عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ » رواهُ البُخاري .

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الحَيَّ آلْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ آلْبَحْرِ وَإِنْ كانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَإِنْ كانَتْ عَدَدَ

---

(١) « أن يفرط علي أحد منهم » أي يعجل بالعقوبة « أو أن يطغى » يتكبر علي .

(٢) الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وفتح الفاء : طرف الثوب .

(٣) رواه الجماعة أي البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي والنسائي وابن ماجه .

رمل عالج[1] وإنْ كانتْ عدد أيام الدنيا » . رواهُ الترمذيُّ وقالَ : حديثٌ حسنٌ .

(٤) وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يأوي إلى فراشِهِ : لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، لا حوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ ، سُبْحانَ اللهِ ، والحمْدُ للهِ ، ولا إلـهَ إلاَّ اللهُ واللهُ أكبَرُ ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبدِ البَحْرِ » رواهُ ابْنُ حبَّان .

(٥) وعن البَراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا أتيْتَ مَضْجَعَكَ فتوضأ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ ، ثُمَّ اضْطجِعْ على شِقِّكَ الأيمنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وَجْهِي إلَيْكَ ، وفَوَّضْتُ أمْري إلَيْكَ ، وألْجَأْتُ ظَهري إلَيْكَ رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجَى مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ ، وبِنَبِيِّكَ الَّذِي أرْسَلْتَ ، فَإنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأنْتَ على الفِطْرَةِ ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بِهِ » أخرجهُ الجماعةُ .

عاشراً : ختام الصلاة وختام المجلس

(١) عن أبي هريرة رضي اللهُ عنهُ عن رسول اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ سَبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وثَلاثينَ ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثاً وثَلاثينَ ، وكَبَّرَ اللهَ ثَلاثاً وثَلاثينَ ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ ، وقَالَ تمامَ المائةِ : لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، غُفِرَتْ خطاياهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » رواهُ مُسْلِمٌ .

(٢) وعَنْ مُعاذِ بن جَبَل رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخَذَ بِيَدِهِ وقَالَ : « يا مُعاذُ واللهِ إنِّي لأحِبُّكَ ، أُوصيكَ يا مُعاذُ لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ أنْ تَقُول : اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ ، وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ » رواهُ أبُو داوُدَ .

(٣) وعن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قَالَ : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرةٍ[2] إذا أراد

---

(١) « وإن كانت عدد رمل عالج » بفتح اللام وكسرها ، موضع بالبادية فيه رمل كثير

(٢) كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة بفتح الهمزة والخاء المعجمة : أي في آخر الأمر .

أنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ : « سُبْحَانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أشْهَدُ أنْ لاَ إِلهَ إلاَّ أنْتَ ، أسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى ؟ قَالَ : « ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يكُونُ فِي الْمَجْلِسِ » رواهُ أبُو دَاودَ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرك .

(٤) وعن عليٍّ رضي اللهُ عنْهُ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ أنْ يَكْتَالَ بالْمِكْيَالِ الأوْفى فَلْيَقُلْ فِي آخرِ مجْلسِهِ أوْ حِينَ يقُومُ : سُبْحانَ ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمَّا يَصِفُونَ ، وسَلامٌ على المُرسلِينَ والحمْدُ للهِ ربِّ العالمِينَ » . رواهُ أبُو نُعيم في الحلية .

القسم الرابع

الادعية المأثورة في حالات مختلفة

أولا : دعاء الاستخارة الشرعية

عَنْ جَابِرِ بن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعلِّمُنَا الاسْتِخَارة فِي الأمُورِ كلِّها كَما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ ، يَقُولُ : « إذا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ فَلْيَركَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللّهُمَّ إنِّي أسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وأسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ ، فَإنَّكَ تَقْدِرُ ولاَ أقْدِرُ ، وتَعْلَمُ ولا أعْلَمُ ، وأنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ . اللّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هٰذَا الأمْرَ خَيْرٌ لي في دِيني ومَعَاشي وعَاقِبَةِ أمْرِي ، أوْ قَالَ عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ فاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هٰذَا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِيني ومَعَاشي وعَاقِبَةِ أمْرِي ، أوْ قَالَ في عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، واصْرِفْني عَنْهُ ، واقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كانَ ثُمَّ ارْضِنِي بِهِ » قَالَ : ويُسَمِّي حَاجَتَهُ .
رواهُ البُخَارِيُّ .

ثانياً : صلاة الحاجة :

عن عبد اللهِ بن أبي أوْفَى رضي اللهُ عنهما قالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « مَنْ كانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إلى اللهِ تَعَالَى أوْ إلَى أحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ ، فَلْيَتَوَضَّأ ولْيُحْسِنْ وضُوءَهُ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُثْنِي عَلَى اللهِ تَعَالَى ، ولْيُصَلِّ عَلى النَّبِيِّ ﷺ ولْيَقُلْ : لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، أسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ[1] وعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، والعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ لاَ تَدَعْ لي ذَنْباً إلاَّ غَفَرْتَهُ ، ولاَ هَمّاً إلاَّ فَرَّجْته ولاَ حاجةً هِيَ لَكَ

---

(١) « أسالك موجبات رحمتك » بكسر الجيم : أي اسبابها « وعزائم مغفرتك » قال الطيبي : أي أعمالا تتعزم وتتأكد بها مغفرتك .

رِضاً إلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ثُمَّ يَسْأَل مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُقَدَّرُ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي وَالنَّسَائِيُّ وابْنُ مَاجَه .

ثالثاً : من أدعية السفر

يَقُولُ الْمُقِيمُ لِلْمُسَافِرِ : « أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ[1] ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ » رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ من حديثِ عبد الله بْنِ عُمَر .

ثُمَّ يُوصيه فيقول : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ[2] ، اللَّهُمَّ اطْوِلَهُ الْبُعْدَ ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ » رواه التِّرْمِذِيُّ وَالنسَائِيُّ مِنْ حديث أبي هريرةَ .

ثُمَّ يَدْعُو لَهُ بِقَوْلِهِ : « زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » أخرجَه التِرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حديثِ أَنس .

وَيَقُولُ الْمُسَافِرُ لِلْمُقيم : « أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ » رواه الطَّبَرانيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبي هُرَيْرَةَ .

ثُمَّ يَدْعُو اللهَ بِقَوْلِهِ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أَجُولُ ، وَبِكَ أَسيرُ . اللَّهُمَّ إِني أَسأَلُكَ في سفَرِي هٰذا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنا سفَرَنا هٰذَا واطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ والْخَلِيفَةُ في الأَهْلِ . اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[3] ، وكَآبَةِ الْمَنْظَرِ ، وَسوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي المَالِ والأَهْلِ وَالْوَلَدِ . وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » رواه أَحمدُ وَالْبَزَّارُ ومسلمٌ وغيرهُم من حديثِ عَلِيٍّ وابْنِ عُمَرَ وَعبدِ اللهِ بنِ سَرْجِس وَغَيْرِهِمْ .

فَإِذَا بَدَأَ الرُّكوبَ قَال : ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ ، فإذَا استَوَى عَلى مَرْكَبِهِ قالَ : الْحَمْدُ للهِ

---

(١) « وأمانتك » قال الخطابي : الأمانة هنا أهله ، ومن يخلفه ، وماله الذي عند أمينه . وذكر الدين هنا لأن السفر مظنة المشقة فربما كان سبباً لإهمال بعض أمور الدين .

(٢) « والتكبير على كل شرف » بالتحريك : أي على كل مكان عال .

(٣) « وعثاء السفر » بفتح الواو وسكون العين المهملة وبالمد : أي مشقته وشدته .

الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ[1] وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ » رواه أبو داودَ وَالتِرْمِذِيُّ من حديثِ عليٍّ رضي الله عنه .

رابعاً : من أدعية الظواهر الكونية

(١) إِذَا رأى المطَرَ قال : « اللَّهُمَّ صَيِّباً[2] نافِعاً » مرتَّيْنِ أَوْ ثَلاثاً رواه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيث عَائِشَةَ ، فإِذَا كَثُرَ المطَرُ أَوْ خَافَ ضَرَرَهُ قال : « اللَّهُمَّ حَوالَيْنَا ولاَ عَلَيْنَا ، اللَّهُمَّ عَلَى الآكام ، وَالآجَام[3] وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . رواه البخاريُّ مِنْ حديث أنَس .

(٢) إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ وَالصَّوَاعِق قال : « اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذلكَ » رواهُ التِّرْمِذِيُّ والْحَاكِمُ في المسْتَدْرَكِ من حديث عبد اللهِ بْنِ عُمَرَ .

(٣) إِذَا رأى الْهِلاَلَ قال : « اللهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ[4] وَالإِيمَانِ ، وَالسَّلامَةِ والإِسْلامِ ، وَالتَّوْفِيقِ لِما تحِبُّ وتَرْضَى ، رَبِّي وَرَبُّكَ الله » . « هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ » . ثُمَّ يَقُولُ ثلاثاً : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذَا الشَّهْرِ وَخَيْرِ الْقَدَرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّهِ » رواه الدَّارِمِيُّ وَالتِرْمِذِيُّ وَالطبراني وغيرهُم من حديثِ عبد الله بن عُمَرَ وَغيره .

خامساً : من أدعية الزواج والأولاد

(١) يَقُولُ لِمَنْ تَزَوَّجَ : « بَارَكَ اللهُ لكَ وَبارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُما في خَيْرٍ » . رواهُ البخاريُّ ومسلِمٌ والأربعةُ من حديث أنس وأبي هريرة .

---

(١) « وما كنا له مقرنين » أي مطيقين .

(٢) « اللهم صيباً » هو بتشديد الياء المثناة : أي منهمراً متدفقاً .

(٣) « اللهم على الآكام » الآكام جمع أكمة وهي الرابية . والآجام : الشجر الكثير الملتف . والظراب : الجبال الصغار .

(٤) اللهم « أهله علينا باليمن » البركة .

(٢) إِذَا أُتِيَ بِمَوْلُودٍ أَذَّنَ في أُذنِهِ حِينَ وِلادَتهِ رواه أبو داودَ والنَّسائِيُّ .

(٣) تَعْوِيذ الأَطْفَالِ : « أُعِيذُكَ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ[١] وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ » رواه البخاريُّ من حديث ابن عباس .

(٤) إِذَا أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فَلْيُعَلِّمْهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَإِذَا أَثْغَرَ[٢] فَلْيَأْمُرهُ بِالصَّلاةِ . أخرجهُ ابنُ السُّنِّي من حديث عبدِ اللهِ بْن عُمَر .

سادساً : من أدعية المرئيات

(١) إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قال : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ » . وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قال : « الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حال » رواهُ الْحَاكِمُ وابنُ مَاجَه من حديثِ عائشةَ .

(٢) إِذا رأى وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قال : « اللَّهُمَّ أَنْتَ حَسَّنْتَ خَلْقِي فحَسِّنْ خُلُقِي وَحَرِّمْ وَجْهِي عَلى النَّار ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَلَهُ ، وكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي فأَحْسَنَها وَجَعَلَنِي مِنَ الْمسلمين » رواه ابنُ حِبَّانٍ وَابْنُ مَرْدويه وَالطَّبَرَانِـيُّ مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ وَعائشةَ وأَنَسٍ .

(٣) إِذَا رَأَى بَاكُورَةَ ثَمَرَةٍ أَوْ فَاكِهَةٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، وَبَارِكْ لَنا فِي صَاعِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللَّهُمَّ كما أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنا آخِرَهُ » ، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصبيَانِ ، رواهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حديثِ أَبي هُرَيْرَةَ .

(٤) إِذَا رَأَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ يَضْحَكُ ، قَالَ : « أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ » رواهُ البخاريُّ ومُسْلِمٌ مِنْ حديث سعيد بن أَبي وقَّاص .

---

(١) « من كل شيطان وهامة » الهامة بتشديد الميم : هي كل ذي سم يقتل . واللامة بتشديد الميم : أي ذات لمم وهي التي تصيب بسوء ما نظرت إليه .

(٢) « وإذا أثغر » . أي سقطت رواضعه .

سابعاً : من أدعية السلام والتحية

(١) إِذَا بُلِّغَ عَنْ أَحَدٍ سَلاَمَاً رَدَّهُ عَلى الْمُبَلِّغِ وَالْمُسَلِّم مَعاً . أَخْرَجَهُ النَّسائيُّ وَابْنُ الْقَطانِ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ فِي سَلاَمِ خَدِيجةَ .

(٢) إِذَا قَالَ لَهُ إِنْسانٌ إِنِّي أُحِبُّكَ قالَ : « أَحبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ » رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسائيُّ وَابْنُ حِبَّان مِنْ حَدِيثِ أَنسٍ .

(٣) إِذَا قِيلَ لَهُ : « كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ » يَقُولُ : « أَحْمَدُ اللهَ الَيْكَ ، أَوْ يَقُولُ : بِخَيْرٍ أَحْمَدُ اللهَ » رواهُ أَحمدُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حديثِ عبد اللهِ بن عُمَرَ وأَنَس .

(٤) إِذَا صَنَعَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مَعْرُوفاً قالَ : « جَزَاكَ اللهُ خَيْراً » رواهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ .

ثامناً : من أدعية عوارض الحياة

(١) إِذَا أصابه الكرب أو الهَمُّ أو الغم أو الحزن يقول : « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْكَرِيمُ العظيمُ سُبْحَانَه تَبَارك اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم ، الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالمينَ » «تَوكَّلْتُ على الْحَيِّ الَّذي لاَ يَمُوتُ » ، « الْحمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً ، وَلَم يكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، ولَم يكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً » ، « اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فلا تكِلْني إِلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كلَّهُ ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ » « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ » « لاَ إِله إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَك إِنِّي كُنْتُ من الظالِمينَ » ، « اللَّهُمَّ إِني عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمتِكَ ناصيتي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ ، أَسأَلُكَ بِكلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِك ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ بَصَرِي ، وَجَلاءَ حُزْنِي ، وَذهَابَ هَمِّي » « لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » رواهُ النَّسائي وابْنُ حِبَّان من حديث عليٍّ ، والْحاكِمُ من حديث أبي هريرة وعبدِ اللهِ بن مسعودٍ وَالتِّرمِذِيُّ من حديثِ سعد بن أبي وقاصٍ ، وأَحمدُ وَالبَزَّارُ من حديث ابن مسعودٍ .

(٢) إِذَا وَقَعَ لَهُ مَا لاَ يَخْتَارُهُ فَلْيَقُلْ : « قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، ولاَ يقُولُ لَوْ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ بَابَ الشَّيْطَانِ » رواه النسائيُّ من حديث أبي هريرة .

(٣) إِنْ غَلَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ : «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » رواه أبو دَاوُدَ من حديثِ عَوْف بن مَالك .

(٤) إن أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ : « إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ، اللّهُمَّ عِنْدكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيها وَأَبْدِلْنِي مِنْهَا خَيْراً » رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ .

(٥) إِذَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَال : « اللّهُمَّ لا سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعلتَهُ سَهْلاً ، وأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ(١) إِذَا شِئْتَ سَهْلاً » رواهُ ابْنُ حِبَّان مِنْ حديثِ أَنَسٍ .

(٦) إِذَا غَضِبَ قَالَ : « أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانَ الرَّجِيمِ » رواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدٍ .

(٧) إِذَا ابْتُلِيَ بِالدَّيْنِ قَالَ : « اللّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ » رواهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِم مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ .

تاسعاً : من أدعية المرض والوفاة

(١) إِذَا اشْتَكَى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ الأَلَمِ مِنْ جَسَدِهِ ثُمَّ قَالَ : «بِسْمِ اللهِ، ثلاثَ مَرَّاتٍ ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ » رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بنِ أَبِي الْعَاصِ .

(٢) إِذَا عَادَ مَرِيضاً قالَ : « اللّهُمَّ أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً » وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ وَيُطَيِّبُ خَاطِرَهُ . رواهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ .

---

(١) الحزن بفتح الحاء : الصعب .

(٣) وفي العزاءِ يُسَلِّمُ ويقولُ « إنَّ للهِ مَا أَخَذَ ولَه ما أعْطَى وكلُّ شيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجلٍ مُسمًّى فَلْتَصبِرْ ولتحْتَسِبْ[1] » رواهُ البُخاريُّ مِنْ حديثِ أُسامةَ

وكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى مُعاذٍ يُعزِّيهِ في ابْنِهِ . « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إلَى مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ : سَلامٌ عَلَيْكَ فَإنِّي أَحْمَدُ إلَيْكَ اللهَ الَّذِي لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ . أمَّا بَعْدُ فَأعْظَمَ اللهُ لَكَ الأجْرَ وألْهَمَكَ الصبْرَ ، ورَزَقَنَا وإيَّاكَ الشُّكْرَ ، فَإنَّ أنْفُسَنَا وأَمْوالَنَا وأَهْلِينَا وأَوْلادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْهَنِيَّةِ ، وعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ ، نُمَتَّعُ بِهَا إلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، وَيَقْبِضُهَا لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إذَا أعْطَى ، والصَّبْرَ إذَا ابْتَلَى ، وكانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ الْهَنِيَّةِ ، وعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ ، مَتَّعَكَ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وسُرُورٍ ، وقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَثِيرٍ : الصَّلاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَى إن احْتَسَبْتَ ، فَاصْبِرْ ولاَ يُحْبِطْ جَزَعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدمَ ، وَاعْلَمْ أنَّ الْجَزَعَ لاَ يَرُدُّ شَيْئاً ، وَلاَ يَدْفَعُ حُزْناً ، وَمَا هُوَ نَازِلٌ فَكَأَنْ قَدْ ، وَالسَّلامُ » . رواهُ الحاكِمُ وابْنُ مَرْدُويه .

(٤) وَفِي صَلاةِ الْجَنَازَةِ يَدْعُو لِلمَيِّتِ بِقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ » رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ .

(٥) في زِيَارَةِ الْقُبورِ يَقُولُ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ[2] وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ ، وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُمْ » رواهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وابن ماجه وابنُ السُّنِّي .

---

(١) « ولتحتسب » : أي لتحتسب ثواب ما نزل بك عند الله تعالى .

(٢) « أنتم لنا فرط » بفتحتين . أي متقدمون قال ابن الأثير : يقال : فرط يفرط فهو فارط وفرط ، إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيء لهم الدلاء والأرشية

عاشراً : صلاة التسبيح

أَرْبعُ ركَعَاتٍ بِتَسْلِيمَةٍ واحِدَةٍ أَوْ بِتَسْلِيمَتَيْنِ ، يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةٍ ثُمَّ يُسَبِّحُ قَائِماً خُمْسَ عَشَرَةَ مَرَّةً يقُولُ : « سُبْحَانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، واللهُ أَكْبَرُ . وَيُسَبِّحُ في الرُّكُوعِ عَشْراً ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهُ عَشْراً ، وَفِي السُّجُودِ عَشْراً ، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ عَشْراً ، وَفِي السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ عَشْراً ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهَا قَبْلَ ٱلْقِيَامِ أَوِ ٱلتَّشَهُّدِ عَشْراً ، فَهِيَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ تَسْبِيحَةً ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ في كلِّ رَكْعَةٍ » الحديث . أخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالحاكِمُ مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

من أوراد الاخوان

بعد الورد القرآني وورد المأثورات

١ ـ ورد الدعاء

« أَستَغفرُ اللهَ » مائة مرة « اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمَّدٍ وعَلى آلِهِ وصحبه وسلِّم » مائة مرة . « لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ » مائة مرة . الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعد ذلك بما تيسر من الدعوات .

ويقرأ الورد صباحاً بعد صلاة الصبح ، ومساءً بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخشوع التام ، وألا يقطع ورده بكلام دنيوي إلا للضرورة استكمالاً للخشوع وتأدباً في الذكر .

٢ ـ ورد الرابطة

يتلو الأخ الآية الكريمة في تدبر كامل : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ ، توْتي المُلْكَ مَن تشَاءُ ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّك على كلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ ، وتُولِجُ النَّهَارَ في اللَّيْلِ ، وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الميِّتِ ، وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغيْرِ حِسَابٍ﴾ .

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك :

« اللَّهُمَّ إنَّ هذَا إقْبَالُ ليْلِكَ ، وَإِدْبَارُ نَهارِكَ ، وأَصْوَاتُ دعاتِك ، فاغْفِرْ لي » ثم يستحضر صورة مَن يعرف من إخوانه في ذهنه ويستشعر الصلة الروحية بينه وبين من لم يعرفه منهم ، ثم يدعو لهم بمثل هذا الدعاء : « اللهم إنكَ تعلم أن هذه القلوبَ قد اجْتَمَعَتْ على مَحبَّتِكَ ، والْتَقَتْ على طاعتكَ ، وتَوَحَّدَتْ على دَعْوتك ، وتَعَاهَدَتْ على نُصْرَةِ شريعَتِك ، فَوَثِّقْ اللَّهُمَّ رَابِطَتَهَا ، وأَدم وُدَّهَا ، واهْدِها سُبُلَهَا ، واملأْهـا بِنُـورِكَ الَّذِي لا يَخْبُو ، وَاشْرَحْ صدُورَهَا بِفَيْضِ الايمانِ بك ، وَجميلِ التَّوكُّلِ عليك، وَأَحْيِها بِمعْرِفَتِكَ ، وأَمِتها على الشَّهادة في سبيلكَ ، إنك نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ، اللَّهُمَّ آمين .

وصلِّ اللهمَّ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وسلِّم ، ووقت هذا الوردِ ساعة الغروب تماماً من كلِّ لَيلةٍ

٣ ـ ورد المحاسبة

وهو استعراض أعمال اليوم ساعة النوم فإن وجد الأخُ خيراً فليحمَدِ الله ، وإن وجَدَ غيرَ ذلكَ فليستغفر ، وليسأل ربه ، ثم يجدد التوبة وينامُ على أفضل العزائم .

وصلى اللهُ على سيِّدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس الرسائل والمواضيع

دار الشهاب